



مِنَّا بِجُودِ الْمَوْتَرِ الْعِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ السَّنَوِيِّ الْحَادِي عَشَرَ لِفَكْرٍ

الْأَمَامُ الْحَسَنُ الْمَجْتَبَى



الجزء الثاني

البحوث الأكاديمية



العنوان: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي

الحادي عشر لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية - قسم النشر

الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: علي عبدالحليم - احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:9789922262031

العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف،
وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي الحادي عشر لفكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام =
Academic researches that participating in the activities of the eleventh annual international
scientific conference on the thought of Imam Hassan Al-Mujtaba
الفكرية والثقافية-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية،
جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1447 هـ. = 2025.
22، 242 صفحة : 24 سم
يتضمن الرجاءات ببلوغرافية.
النص باللغة العربية : ويتضمن مستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
ISBN : 9789922262031
1. الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، العام، 50-3 هجري - مؤتمرات، 2. أهل بيت الرسول
عليهم السلام (شيعه) - مؤتمرات، أ. وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي لفكر الإمام الحسن المجتبي
عليه السلام (الحادي عشر : 2025 : كربلاء، العراق)، ب. العنوان.

LCC: BP193.12 .A836 2025
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩/٣٠٦٣

م ٦٨٨ المؤتمر العلمي الدولي السنوي (١١ : ٢٠٢٥ : العراق . كربلاء)
وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي الحادي عشر
لفكر الإمام الحسن المجتبي (ع) : البحوث الاكاديمية / المؤتمر . -
ط ١ . - كربلاء : جمعية العميد العلمية ، ٢٠٢٥ .
٢٦٤ ص ؛ ٢٤ سم .
١ . الحسن بن علي (المجتبي)(ع) - الامام الثاني - مؤتمرات .
٢ . أهل بيت النبي أ. العنوان .

رقم الايداع

٢٠٢٥ / ٢٩٢١

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٩٢١) لسنة ٢٠٢٥

المحتويات

٩	أديّة الخطاب الإعلامي عند الإمام الحسن (عليه السلام) (قراءة في أسلوب المغالطات)	أ.د. كريمة نوماس محمّد المدني جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
٣٢	دراسة المعاني التربويّة والاجتماعيّة في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)	أ.د. دلال عباس المعهد العالي للدكتوراه / الجامعة اللبنانية
٦٣	الحسن المجتبي (عليه السلام) بين المدح والذمّ في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي (ت: ٧٤٧هـ) (دراسة عرض ونقد)	أ.م. محمّد جاسم علوان الكصيرات مديرية تربية بابل
٨٥	الطبيعة الفقهيّة للبيعة والتزاماتها بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) أنموذجاً	السيد الدكتور إياد حمزة عبد الشريفي
١٢١	الوعي القيادي وأثره في اتّخاذ القرار عند الإمام الحسن (عليه السلام)	م.د. أحمد عدنان عبود مدير الإدارة العامّة - ديوان محافظة بابل
١٣٩	صلح الإمام الحسن (عليه السلام) في المصادر الشيعيّة	أ.م.د. محمّد منصور حسين البيّاتي مديرية تربية بابل

١٦٦ القيم الخلقية عند الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الباحث موسى جعفر حسن الخفاجي
مديرية تربية ذي قار

٢١٢ الأبعاد الفكرية والعقدية الباحثة سندس سعدون مهدي الشمري
ومقاصدها عند الإمام الحسن (عليه السلام) / شعبة مدارس الكفيل الدينية النسوية /
العتبة العباسية المقدسة وأثرها في بناء المجتمع

2 A Pragma-Stylistic Study of Acceptance in Selected Sermons by AL-Imam AL-Hassan
Asst.Lect.Saja Sattar Ali Hamza
Al-Imam Al-Kadhum University
for Islamic Sciences

كلمة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كان في أوَّلَيْتِه، وحدانيًّا في أزلَّتِه، متعظِّمًا بإلهيَّتِه، متكبرًا بكبريائه وجبروته، ابتداءً ما ابتدع، وأنشأ ما خلق، على غير مثالٍ كان سبق ممَّا خلق، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده في ربوبيته ووجوده ووحدانيَّتِه، صمدًا لا شريك له، فردًّا لا ظهير له. وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، اصطفاه وانتجبه وارتضاه، وبعثه داعيًا إلى الحقِّ سراجًا منيرًا، وأشهد أنَّ الخلافة في أهل بيته، فهم الأوصياء والهادون بأمر الله تعالى، فعليه وعليهم الصلاة والسلام...

أما بعدُ

فإنَّ الإمامة زعامة ربَّانيَّة ورئاسة إلهيَّة عامَّة في حفظ الدِّين وسياسة الدُّنيا، يخلف فيها الإمام الرسول في إقامة الدِّين وأداء وظائفه ومسؤوليَّاته، وهذه الوظيفة بهذا الثقل الرسالي لا يستطيع إلَّها أيُّ أحدٍ، ولا يُطيقها جميع بني البشر؛ فهي فرع النبوة بما تحمل من خلافة الله تعالى على الأرض في تطبيق أحكامه ورعاية دينه، والزعامة على العباد؛ بغية إرشادهم إلى ما يريد الله تعالى منهم في هذه الحياة الدُّنيا، ولذلك فالإمامة تبعًا للنبوة تكون بالنَّصِّ من لدن الله تعالى؛ لخطورة هذه الوظيفة بوصفها الراعية لتنظيم حياة النَّاس وحفظ دينهم وسياسة معاشهم، وهذه الحاجة لا يمكن للأُمَّة أن تصل بها إلى التكامل المطلق على نحوٍ أن تكون قادرة على إدارة دينها ودنياها بنفسها، والدَّليل في ذلك الاختلاف على مدى العصور حتَّى في الدِّين الواحد، ولذلك وجب أن لا يخلو عصر من العصور من إمامٍ مفترض الطاعة على الأُمَّة كافَّة، منصوب من لدن الله تعالى، خلافة عن النبيِّ في رعاية الأُمَّة ولا سيَّما في الوظيفة الرساليَّة. وقد نصَّ القرآن الكريم في أكثر من موضع على خلافة الإمامة للنبوة ولا سيَّما في دورها الرساليِّ فقال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)) [النساء: ٩٥]، فالأمر من الله تعالى للمؤمنين بالطَّاعة المطلقة غير المقيدة لله تعالى، ثمَّ عطف تلك الطاعة بإطلاقها التام للرسول ولأولي الأمر، وهم الأئمَّة. والمحصَّلة تكمن في أنَّ الأُمَّة بحاجة ماسَّة لإمامٍ في

كل عصر يرفع شؤونها ويتابع وظيفتها الدينية بما يملك من خلافة رسالية.

ومن خلفاء نبينا محمد ﷺ الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، الخليفة الشرعي للرسول بعد أبيه أمير المؤمنين ﷺ، وقد مثل الخلافة للنبوّة في عصره فساس الناس في دينهم وديارهم، على الرغم من التقلبات الواسعة التي شهدتها عصره، بدءاً من معاشته لمحنة أبيه في إدارة الأمة والفتن التي حدثت مروراً باستشهاده ﷺ، ومن ثمّ وراثته الإمام الحسن ﷺ له، فكانت الأمة منقسمة؛ نتيجة ما أحدثه أهل المصالح الدنيوية فيها، فوجد نفسه في قبال انقسام الأمة وتشطّيتها ما بين متخاذل ولاهث على دنيا ومصالح لا تتعدى نفسه؛ ما خلا ثلاثة مؤمنة أوكلت قيادها إلى إمامها، وهكذا ظروف تتطلب رعاية رسالية خاصة، فبذل الإمام الحسن ﷺ جهوداً لا تُحصى في سبيل الارتقاء بالأمة بعدما تركه سوادها وأوكل زمام أمره إلى بني أمية، ونتيجة لذلك أرسى الإمام الحسن ﷺ لمشروعه الرسالي مستويات كثيرة موزعة على كل ما يمكن في تلك الظروف وما يسمح به ذلك المقام، بدءاً من إعلان الحرب ضدّ من حارب الإمامة ونصّ الخلافة، ومن ثمّ الهدنة، وما بعدها وانتهاءً باستشهاده ﷺ، وفي كل تلك المراحل كان الرائد في تنظيم أمور الدين وسياسة الرعيّة بحسب الظرف المتاح عملاً بوظيفته الرسالية.

وهذا الدور الرسالي للإمام الحسن ﷺ وما صاحبه من مراحل متنوّعة لم يأخذ حقّه في البحث العلميّ ممّا دفع الهيئة العليا لمشروع مدينة الإمام الحسن المجتبي ﷺ وجمعية العميد العلميّة والفكرية وجامعة الكفيل وجامعة العميد وكلية الإمام الكاظم ﷺ / أقسام بابل في أن يتصدّوا لهذا المضمار البحثي، فتخصّص المؤتمر الدوليّ السنويّ الحادي عشر لفكر الإمام الحسن المجتبي ﷺ في دراسة هذا الإمام بوصفه منهجاً رسالياً، فكان عنوان المؤتمر: الإمام الحسن ﷺ منهجٌ رساليّ. بغية فتح النوافذ للباحثين من أجل أن يعملوا فكرهم وأفلامهم في محاولات جادة لرفد المكتبة الإسلامية بدراسات مبتكرة ترعى هذا الجانب الفكري، وتكون بوابة لدراسات مستقبلية تسهم بشكل فاعل في الريادة العلميّة ونشر فكر أهل البيت ﷺ؛ إحياء لأمرهم.

وقد وردت جملةً من البحوث إلى هذا المؤتمر المبارك منها ما يتعلّق بدراسة أدبيّة الخطاب الإعلامي للإمام الحسن (عليه السلام)، وكذلك الأبعاد التربويّة والاجتماعيّة، ومنها اتخذت الجانب النقدي لترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، وأخرى درست الجوانب الفقهيّة للبيعة والتزاماتها، وكذا الوعي القيادي في اتّخاذ القرار، وتوجّهت دراسة في بحث صلح الإمام الحسن (عليه السلام) ومساراته الرساليّة، فيما بحثت دراسة القيم الخلقيّة، وتخصّصت أخرى بالجوانب الفكريّة والعقدية.

نأمل أن تكون هذه الدّراسات مليّةً لطموح القارئ الكريم، وفاعلةً في الإجابة عن بعض أسئلة المعرفة في الجانب البحثي الذي درسته. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين...

جمعية العميد العلمية والفكرية

أدبيّة الخطاب الإعلاميّ عند الإمام الحسن عليه السلام
(قراءة في أسلوب المغالطات)



أ.د. كريمة نوماس محمد المدني
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

إنَّ خطابات الأئمة المعصومين (عليه السلام) تمثل فضاءات واسعة لا محدودة من المرجعيّات الدينيّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة؛ بل تمثّل خطاباتهم بتنوّع مقاصدها وحيثيّاتها منظومة ثقافيّة كاملة بوصفها نظاماً ومنهجاً دينياً ومعرفياً، يعالج كلّ التحوّلات الفكرية والدينيّة والمغالطات السياسيّة التي يشهدها المجتمع بكلّ فئاته، ولما كان الخطاب الإعلامي يتكئ في بثّ ارساليّاته على المضمر والظاهر، والردّ على الشبهات والمغالطات التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي، فقد مثّلت خطابات الإمام الحسن (عليه السلام) منظومة معرفيّة - ثقافيّة للردّ على جميع المغالطات السياسيّة والسلطويّة والتشريعيّة التي عاصرت مدّة وجوده الطاهر بعد استشهاد أبيه الإمام علي (عليه السلام)، وقد تمثّلت شخصيّة الإمام الحسن (عليه السلام) بالإدارة الفاعلة الناجحة في سياسة الأمور بأصعب الأزمات السياسيّة التي تمرّ بها الأمّة الإسلاميّة، فقد تمكّن بحنكته الذكيّة وسياسته الناجعة أن يرد على كثير من المغالطات الكلاميّة والشبهات التي وردت في المجتمع آنذاك، وعبر أسلوب المغالطات البلاغي والتقنيات الحجاجيّة من تفنيد كلّ المغالطات الكلاميّة والادّعاءات الوهميّة والاستدلالات المغالطيّة، وتمثّلت خطة الدراسة بمقدمة توضح مفهوم أسلوب المغالطة واستراتيجياته التأثيريّة في المتلقين فجاء بعنوان: (الخطاب الإعلامي والمغالطات)، أمّا المبحث الأوّل فتمثّل بدراسة صور أسلوب المغالطات والرد عليها، فكانت على النحو الآتي: أولاً الهويّة المعرفيّة، ثانياً: الذاكرة الخطابيّة .

أمّا المبحث الثاني فتمثّل بقراءة استراتيجيّات الخطاب الإعلامي عند الإمام الحسن (عليه السلام) فكانت تتمثّل باستراتيجية الايتوس^(١)، فتمثّلت بدراسة ايتوس الكفاءة القياديّة، ايتوس القدرة الكفائيّة، ايتوس المرجعيّة التضامنيّة. أمّا النوع من الاستراتيجيّات هو ايتوس الباتوس^(٢) الذي يتضمّن التخويف والسخرية والصمت والانكار.

أمّا المبحث الثالث فتضمّن دراسة أسلوب الخطاب الإعلامي فكان متمثلاً بأسلوب البنيات اللفظيّة والبنيات التصويريّة. وختم البحث بأهمّ النتائج .

Abstract

The speeches of the Infallible Imams (peace be upon them) represent vast and boundless spaces of religious, cultural, political, and social references. Their discourses, with their diverse objectives and contexts, constitute a complete cultural system, serving as a religious and cognitive framework. They address all intellectual, religious, and political fallacies encountered by society in all its segments.

Given that media, discourse relies on both overt and covert messages to respond to doubts and fallacies prevalent in Islamic societies, the speeches of Imam Hassan (peace be upon him) have served as a cognitive and cultural platform to counter all political, authoritarian, and legislative fallacies that characterized the era after the martyrdom of his father, Imam Ali (peace be upon him). The personality of imam Hassan embodied effective and successful leadership in navigating the most challenging political crises faced by the Islamic nation. Through his astute tact and sound policies, he was able to refute many verbal fallacies and doubts that arose in society at the time. He employed rhetorical fallacies and argumentative techniques to dismantle all verbal fallacies, illusory claims, and mistaken arguments.

This study is structured as follows: an introduction that defines the concept of fallacies and their influential strategies on the audience, titled "Media Discourse and Fallacies." The first chapter examines types of fallacies and responses to them, divided into two sections: epistemological identity and rhetorical memory. The second chapter explores the strategies of media discourse for Imam Hassan, focusing on the ethos strategy, which includes the ethos of leadership competence, the ethos of practical ability, and the ethos of solidarity. The second type of strategy is pathos, which encompasses intimidation, sarcasm, silence, and denial. The third chapter analyzes the style of media discourse, encompassing both linguistic and visual structures. The study concludes with a summary of the most important findings.

المقدمة

إنَّ من جماليَّات اللغة العربيَّة امتلاكها آليَّات خطابيَّة، ومؤثِّرات فاعليَّة ومحفِّزات نصيَّة قابلة للتأثُّر في المتلقِّي، وهذا يؤدِّي إلى سعة خطاباتها، وتعدُّد مجالات اشتغالها، وتنوُّع فضاءاتها ونتائجها الدلاليَّة والإيجائيَّة، وهذا كله يكمن في تشكيلاتها النسيقيَّة، ومثيراتها اللغويَّة، وممارستها الإبداعية التي تحقق بؤرتها الجماليَّة والنصيَّة .

ومن هذه الأساليب التي تنماز بها لغتنا الغراء هو امتلاكها آليات إجرائيَّة ناجعة في إظهار جماليَّات التخاطب هو ما يُسمَّى بـ (بلاغة المغالطة)

ويتوارد لفظ الكلمة في معناها اللغوي من اللغط وأغلطه أي أوقعه في الغلط، وأغلط في الأمر أي فهو غلطان .

أمَّا في المعجمات الأجنبية فيعني به الحجَّة والاستدلال الفاسد، ويأتي بمعنى التضليل والخداع والوهم والخطأ والحجاج .

نفهم من ذلك أنَّ لفظة المغالطة لا تكاد تختلف في المعجمات العربيَّة والأجنبيَّة، فهي تعني الاستدلال المضلل والوهم والحجَّة الفاسدة الذي يقصد منه الباث أو منتج الخطاب التأثير في المتلقين لإقناعهم بدعواه .

ومفهوم المغالطة قديم في فكرته يعود إلى آراء السفسطائيين الذين كانوا معروف عنهم بأنهم يشيعون الأفكار المغلوطة بين الناس، ويغالطون الآخرين بأفكارهم وطروحاتهم، وأوَّل ما استعمله الخطباء في قضاياهم السياسيَّة والدينيَّة والمرافعات القضائيَّة، وعبر تتبُّع المسيرة الفكريَّة والخلفيَّة المعرفيَّة لهذا المصطلح عند البلاغيين والنُّقاد وجدوا أنَّ المفهوم يتمثَّل بمجموعة من الأفكار والمبادئ وهي كالآتي:

المغالطة هي الحجج التي تبدو في ظاهرها صحيحة؛ ولكنَّها غير ذلك في الحقيقة، وهي أيضًا حيل كاذبة يوظفها الخطيب في إطار جهوده الرامية لتحقيق مقاصده الدينيَّة والسلطويَّة، وقيل أيضًا بأنَّها استنتاجات غير صحيحة وحيل جديَّة لا يمكن توليدها بالقواعد.

وأسلوب المغالطة يكمن في أمرين:

الأول يكون متعلق ببنية اللفظية واللغوية، والأمر الثاني متعلق بالصورة المرئية والمشهدية، وتعاقد هذين الركنين يتم أسلوب المغالطة الذي عرف عند بعض البلاغيين بأنه: (استخدام الاستدلال والتفكير غير الصحيح والأفعال الخاطئة في التعليل، وبناء الحجّة وأسلوبها المراوغة والتضليل والخداع والتدليس)، ولهذا رأى بعض النقاد والبلاغيين المعاصرين بأنها نظرية في نقد الخطاب ومتعلقة ببنيتها الحجاجية والاستدلالية، وتنبني على مقدّمات صحيحة موهومة واستدلالات مضلّة للوصول إلى نتائج صحيحة وصادقة بتحليل الأفكار لا الأشخاص وآلياتها التضليل، الخداع، التدليس؛ بغية إقناع المخاطب أو المتلقّي.

أمّا أهمّ استراتيجيات التأثير في الخطاب بأسلوب المغالطة فهي على النحو الآتي:

أولاً: الاستهواء ويعني به توظيف الأسلوب الذي يستميل به مشاعر المتلقّين، وعنده يغيب المنطق والحكمة، وهي منطقة ملتبسة بين الإقناع الحجاجي وبين العنف اللغوي التخيلي.

ثانياً: الانحراف وهي آلية من الآليات المغالطة تعتمد تحريف مسار النقاش من مجال تغليط المستمع إلى مجال آخر، كأن يتم تناول قضايا سياسية بقضايا دينية، وبالتالي ينحرف مجال الحوار من جوهر الموضوع إلى مواضيع عرضية لا علاقة لها بالموضوع وجوهر النقاش.

ثالثاً: الاستدراج، وهي تقنية تغليطية أيضاً يعتمد عليها الخطيب في طرح أسئلة أو قضية للنقاش للاستدراج بموضوع معيّن أو موقف خارج الموضوع.

رابعاً: التهويل: وهي أيضاً استراتيجية خطابية تغليطية يوظفها الخطيب عبر استعمال أساليب التخويف من موضوع ما أو موقف ما، وذلك بإعطاء الموضوع أكثر من قيمته الحقيقية، ويكون أمّا بتهويل أخطاء الذكرة أو تهويل الاختلاف في الرأي.

رابعاً: الإيهام وهي أيضاً استراتيجية تغليطية يعتمد عليها الخطيب عبر الميل للغنوص، ونقل الوقائع والأحداث بغية إيهام المستمع.



خامساً: التقويل أي إضافة أقاويل موهومة وغير صحيحة يلزم المخاطبين بها وتصديقها .
سادساً: ازدواجية الخطاب أي أنّ الخطيب يوظّف خطابين متناقضين بحسب السياق،
والمقام وتكثر هذه الأساليب في الخطابات السياسيّة .

تقنيات أسلوب المغالطة

سابعاً: مغالطة الهجوم وتمثّل هذه التقنيّة بالهجوم على الخصم والتعريض بسلوكيّاته
للتدليل على صدق دعواه، وتفنيد دعوى المقابل وإضعافها وكذبها .
ولا يخلو أي خطاب سياسي من هذه الاستراتيجيات، وفيه تتمثّل بعض السمات مثلاً:
استراتيجيات الايتوس: ويمارس فيها الخطيب السياسي أسلوب الجدّة والمصداقيّة، وأنّه
سيتعامل بكلّ مهنيّة واحترافيّة لتحقيق مطالب المتلقّين، فتظهر الكفاءة والفضيلة والمقدرة
والتكاتف والتضامن بشكل مضلل .

استراتيجيّات الباتوس: وتظهر فيها مقدّرات الخطيب على التغير عبر الإمكانيّات التي
يملكها، وفهم انفعالات الآخرين واقناعهم ببرنامجهم السياسي موظّفاً مشاعر العاطفة،
ومشاعر الصمت والإنكار لما تقدّم من مغالطات .

١٤

الدراسات التي تمّت الإفادة منها:

١_ بلاغة المغالطة واستراتيجيّات التأثير في الخطاب السياسي: د عبد الوهاب صديقي، دار
كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن.

٢_ استراتيجيّات الاقناع والتأثير في الخطاب السياسي خطب الرئيس السادات، د: عماد عبد
اللطيف، ط ١، منشورات الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

إنّ من بين أهداف الخطيب السياسي أو الدّيني الإقناع بجدوى القرار، لذلك يلجأ إلى
توظيف المغالطة بمختلف تجلياتها اللغويّة والمنطقيّة والتداوليّة، والمغالطة هي مجانبة الصواب
في الخطاب، ولهذا ارتبطت بالاستدلالات الكاذبة والموهمة قصد يروم منه العارض تضليل
المعرّض، وتمويهه بإظهار الباطل في صورة الحقّ، والحق في صورة باطل، والكذب في صورة
الصدق، والزيف في صورة الحقيقة.^(٣)



وتقسم المغالطات على مغالطات الغموض ومغالطات الصلة، فمغالطات الغموض تكون معارض نحوي أو تركيبية، أمّا مغالطات الصلة فهي لا تقدّم تبريراً منطقيّاً للآراء المصرّح بها، ويمكن أن تكون فعالة في جهة إقناع الجمهور .
وتعد المغالطات استنتاجات غير صحيحة .

وكذلك حيل جدليّة توهم المستمع، وحيل خاطئة في عمليّة الاتّصال الخاصة بالخطاب، أو هي عاتق أو عقبة في طريق تسوية الخلافات السياسية وغيرها .^(٤)
وبهذه تكون المغالطة نظرية في نقد الخطاب، فيما يتعلق ببنية الحجائيّة والاستدلاليّة؛ لأنّ الأصل في الحجاج هو دفاع العارض عن دعواه بناء على استدلال منطقي، فهو ينطلق من مقدّمات حجاجيّة صحيحة للوصول إلى نتائج صحيحة وصادقة وغير الأفكار، لا الأشخاص تفادياً للتجريح والسخرية والتنقيص أو احتقاره وسبّه ونقد الأفكار من دون نقد منتجها .^(٥)
تصنيف المغالطات عند الفلاسفة والمنطقيين والنقاد^(٦):

أولاً: مغالطات متعلّقة بالاشتراك اللفظي:

وهو يحتمل تأويلات عدّة ويقصد بها أن يستعمل منتج الخطاب ألفاظاً متعدّدة الدلالة بغية تغليط المخاطب لإيقاعه في الخلط أو اللبس، وتكثر هذه النوع في الخطابات السياسية .

ثانياً: مغالطات متعلّقة بالاشتراك في التركيب:

فهذا النوع من المغالطات يتمثّل في توارّد تراكيب تحتمل قضايا متعدّدة؛ بغية إيهام المخاطب واللبس عليه في القضايا، فقد تتوارّد مفاهيم عامّة لغرض تضليلها .

ثالثاً: مغالطات متعلّقة بصورة اللفظ:

تستعمل هذه المغالطات باستعمال صورة اللفظ للتعبير عن أشياء متعدّدة؛ بغية تضليل المخاطب، وهي مرتبطة بالسياق التداولي لفكّ شفراته وتحديد محدّداته المقاليّة والمقاميّة، مثلاً استعمال العبارات في معناها المقيّد للمطلق، مغالطة أخذ ما ليس بعلة علة، مغالطة المصادرة على المطلوب .

رابعاً: مغالطات خرق قواعد الحوار الجدلي



المبحث الأول: أولاً - الهوية المعرفية -

يمثل المتلقي محوراً مهماً وفاعلاً في العملية التخاطبية، ولذا تكون استجاباته مؤثرة وخطيرة حين يستمع ويتلقى الخطاب؛ ولكن دوره متباين ومتردّد بحسب طبيعة الشخصية التي تلقي الخطاب، ومدى تأثيرها وتبعاً للتأثيرات السياسية التي تتدخل بطريقة التهديد أو الترغيب بأخرى فينزاح عن إدراك القيم الحقيقية والثوابت الصحيحة أو بالعكس، ويُسمّى عند النقاد أيضاً بـ (المتقبل فهو الذي يؤدّي وظيفة السؤال والجواب عن الجوانب القيمية والجمالية في آن واحد، وله صورتان ضمنية من داخل النصّ وصريحة من خارجه تتحدّد من خلال هذه الصور ووظائف التقبّل)^(٧).

وهنا يبرز دور الذاكرة الخطابية التي يسعى فيها الخطيب أو ملقي الخطاب إلى تنشيط ذاكرة المتلقي من خلال تذكيره بأعجاز الأمة التاريخية، والأشخاص الذين حقّقوا إنجازات تاريخية في التاريخ الإسلامي؛ لتحقيق إجماع شعبي وجاهيري بذلك، وأكثر ما يكون هذا في الخطابات السياسية والدينية، وقد حاول بعض الأشخاص بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ أن يدّعون قربهم من الرسول ﷺ؛ ليكونوا في صدارة الشخصيات التي تتولّى قيادة أمور المسلمين أمثال: معاوية بن أبي سفيان وغيره من المنافقين، والمرتدّين عن الإسلام.

لذا جاءت خطابات الإمام الحسن عليه السلام ذات معنى عميق وتذكير بصلة قراباتهم من رسول الله ﷺ سواء من حيث قرب اقرب الصلة ال

فجاءت خطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام لتذكّرهم بمواقف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته في الدفاع عن الإسلام ونشر الدعوة ومحاربة الكفار والمنافقين، وتبين صلة قرابتهم من رسول الله ﷺ فخطب بجمع من الناس فقال عليه السلام:

(فنحن النجباء، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن خلفاء الأرض، ونحن المخصوصون، في كتاب الله، ونحن أولى الناس بنبي الله، ونحن الذين شرع الله لنا الدين، وكونوا على جماعة محمد ﷺ)^(٨)

وقال في مناسبة أخرى:



(إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ أَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَلَمَّا أَنْ قُبِضَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَكُنَّا أَهْلَ بَيْتِهِ فَنَحْنُ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْمَنِيَا وَالْبَلَايَا، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةِ النِّفَاقِ، وَإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَعْرِفُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ، يَرُدُّونَ مَوَارِدَنَا وَيَدْخُلُونَ مَدَاحِلَنَا، لَيْسَ عَلَى مَلَّةِ أَبْنَاءِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرُنَا وَغَيْرِهِمْ، إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذِينَ بِحِجْزَةِ نَبِيِّنَا، وَإِنَّ نَبِيَّنَا أَخَذَ بِحِجْزَةِ النُّورِ، وَإِنَّ شِيعَتَنَا آخِذُونَ بِحِجْزَتِنَا) (٩)

تدل هذه الخطب التي خطبها الإمام الحسن (عليه السلام) على التعريف والتذكير بأحق الناس لتولية أمور المسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وبعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأن معاوية دس الدسائس بين صفوف المسلمين ليضلل بخطاباته الخبيثة أنه أحق من الإمام الحسن (عليه السلام) في قيادة شؤون الأمة الإسلامية مدعيًا ادعاءات مضللة، فكان ينتهز الفرص؛ لبيان أحقيته المضللة عبر خطاباته ورسائله التي يوجهها للإمام الحسن (عليه السلام) وعامة المسلمين.

فكانت من إحدى خطبه التي رد على معاوية بن أبي سفيان:

(إِنَّ عَلِيًّا ﷺ لَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ قُبُضَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، وَلَآئِي الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ إِلَّا يَزِيدَنَا فِي الدُّنْيَا الزَّائِلَةَ شَيْئًا مِمَّا يَنْقُصُنَا بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ الْإِعْذَارَ فِيمَا مَضَى بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَمْرِكَ، وَلَكَ فِي ذَلِكَ إِنْ فَعَلْتَ الْحِظَّ الْجَسِيمَ، وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صِلَاحٌ، فَدَعِ التَّهَادِي فِي الْبَاطِلِ وَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ بَيْعَتِي، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ كُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ، وَمَنْ لَهُ قَلْبٌ مَنِيبٌ) (١٠)

ثم خطب الإمام الحسن (عليه السلام) خطبة تعريفية بشخصه، وبصلة قرابته من رسول الله (ﷺ)، بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

(لَقَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الْأَوَّلُونَ بِعَمَلٍ، وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُونَ بِعَمَلٍ، وَلَقَدْ كَانَ يَجَاهِدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقِيهِ بِنَفْسِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُوْجِّهُهُ بِرَأْيِهِ، فَيَكْتَنِفُهُ جَبْرِئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ تَوَقَّيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الَّتِي عُرِجَ فِيهَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَلَقَدْ تَوَقَّيْتُ فِيهَا يَوْشَعَ بْنَ نُوحَ وَصِيَّ مُوسَى، وَمَا خَلَّفَ صَفَرَاءَ وَلَا بِيضَاءَ إِلَّا



سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه: ثم قال:

أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله (عزَّ وجل) بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل بيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١١)

ثانياً: الذاكرة الخطابية والتضفير الخطابي

وهاتان التقنيتان مترابطتان مع بعضهما في أداء المعنى الذي يريده الخطيب، فيعزَّز كلامه وأدلَّته بتفعيل الذاكرة الخطابية للجمهور عبر استعراض الأحداث التاريخية والسياسية، معززة ومستندة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة تقوي حجج الخطيب في ادِّعاءاته، وتعزيز هذه الذاكرة يسترجع فيها ثقة الجماهير وإجماعهم على مصداقية كلامه، وهي أيضاً ما يشير إليها بـ (سرديات الماضي).^(١٢)

وتمكن الخطيب عبر توظيفها من إكساب خطابه مشروعية دينية تثبت أحقيته فيما يقول، وقد وظَّفت جلَّ الخطباء هذه التقنية الخطابية من نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأحداث التاريخية والشعر والأمثال، ممَّا يكسب الخطابة قوة تحفيزية، ومثيرات خطابية تنشط الذاكرة المجتمعية لتتضافر فيما بينها لتحقيق مصداقية الاستجابة عند الجمهور المستمع .

وهاتان الآليتان اتَّبَعهما معاوية بن أبي سفيان في تعزيز خطاباته لنيل الخلافة، واستطاع عبر هذه الأدلة أن يكسب مشروعية ما يدَّعيه من مغالطات منطقية في خطبه ورسائله؛ لكن الإمام الحسن عليه السلام تمكَّن بقوة أسلوبه وحتتكة السياسية، أن يجابه كل تلك الدعوات المضللة، والأفكار المغلوطة التي بثَّها للأمة الإسلامية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

فمن أبرز الخطب التي ذكرها الرواة ما نقل عن الإمام الحسن عليه السلام في الردِّ على ادِّعاءات معاوية بن أبي سفيان:

إذ وجَّه خطابه عليه السلام:

(أما بعد، فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، فأظهر به الحقَّ، ورفع به الباطل، وأدلَّ





به أهل الشرك، وأعزّ به العرب عامّة، وشرف به من شاء منهم خاصّة، فقال تعالى: (وإنّه لذكر لك ولقومك) (١٣)، فلمّا قبضه الله تعالى تنازعت العرب الأمر بعده فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، وقالت قريش، نحن أولياؤه وعشيرته فلا تنازعوا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش، ونحن الآن أولياؤه وذووا القربى منه، وجاحدثنا قريش ما عرفت لها العرب، فهيّئات ما أنصفتنا قريش، وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين، وسابقة في الإسلام.

ولا غرو أنّ منازعتك إيانا بغير حقّ في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام سابق، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ، ولكن الله خبيك، وستردّ فتعلم لمن عقبى الدار، وتالله لتلقين عن قليل ربك، ثمّ ليجزيّنك بما قدّمت يدك وما الله بظلام للعبيد) (١٤).

ثمّ كتب جواباً لمعاوية:

قال عليه السلام (إنّ هذا الأمر لي والخلاف لي ولأهل بيتي، وإنّها محرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول لو وجدتُ صابرين عارفين بحقّي غير منكبين ما سلّمتُ لك ولا أعطيتك ما تريد) (١٥).

فكتب معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام:

(يا ابن عم، لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك، فإنّ الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك) (١٦) وفي رسالة أخرى كتبها معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام:

(فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقَتَلَه خليفَتُكم، إنّ الله بلطفه، وحسن صنعه، أتاحَ لِعَليّ بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه مُتفرِّقين مُختلفين، وقد جاءتنا كُتُبُ أشرفهم وقادتهم يَلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائيرهم؛ فأقبلوا إلّي حين يأتيكم كتابي هذا بِجُندِكم وَجُهدِكم وَحُسنِ عِدَّتِكم، فقد أصبتم بِحمدِ الله الثَّارَ، وبلغتُم الأملَ، وأهلكَ اللهُ أهلَ البغي والعدوان، والسَّلامُ عليكم وَرَحمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ) (١٧).

نلاحظ في خطاب معاوية الأوّل الذي يحمل مغالطات كبرى كشفتها الأحداث والتاريخ، التي غاب فيها منطق العقل والحكمة، وانكشفت نوايا بني أمية ومكر معاوية ودهائه (لعنة



الله عليه)، وهو في خطابه الأول يجعل المسلمين في منطقة ملتبسة ومضللة مقنعة بالمودة وصلة الرحم، ثم يكشفها مزالق الحوار والمغالطة في الرسالة الثانية التي كتبها للمسلمين والإمام الحسن عليه السلام، عندما أظهر الفرح والشهامة، والتشفي من مقتل أمير المؤمنين بذكره بالصفات التي ذكرها، فانحرف مسار الخطاب إلى ذكر جوهر الموضوع الذي يريده معاوية في أخذ الخلافة الاستيلاء على خلافة المسلمين بعد تشويه صورة أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا يقع الخطاب في استراتيجية التهويل والإيهام وهي استراتيجية تغليطية يعتمد عليها المعارض معاوية من خلال الميل للغموض وتهويل المواقف وتشويه حقيقة الأحداث التاريخية؛ بغية إيهام المتلقي والجماهير مما يلزمه بالاستجابة له .

المبحث الثاني: استراتيجيات الخطاب الإعلامي لرد أساليب المغالطة عند الخصم أولاً: استراتيجيات الإيتوس والباتوس

يستمد الإيتوس أهميته من كونه يشكل عنصراً فاعلاً ومؤثراً تأثيراً مباشراً في المستمع أو الجماهير المتلقيّة، فمنزلة الخطيب السياسي أو الديني وأخلاقه تمكّنه من إقناع الجهات المستهدفة للتمكن من عقولهم والسيطرة عليهم، فهو مظهرٌ بلاغيّ يخوّل الفرد للسيطرة والزعامة والقيادة ممّا يجعله مؤهلاً لثقة الجمهور، فتظهر نواياه أمام الجميع بأنّه محبٌ للخير وفاعلٌ للإصلاح على العكس ممّا يضمّره، وهذا مرتبط بإيتوس المصادقية التي خلت منها أفعال معاوية قبل حادثة الصلح وبعدها التي عقدها مع الإمام الحسن عليه السلام فيظهر بمظهر الخليفة الذي يصلح أحوال المسلمين .

ف نجد مصداق ذلك عبر رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية بعد أن أدعى معاوية أنّه أولى وأجدى بخلافة الأمّة الإسلاميّة .

ما كتبه الإمام الحسن عليه السلام في أحقيّته بقيادة المسلمين:

(إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام لَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ يَوْمَ قُبُضَ وَيَوْمَ مَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ بِالإِسْلَامِ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، وَلَآئِي الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَنِي فِي الدُّنْيَا الزَّائِلَةَ شَيْئًا يُنْقِصَنَاهُ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ الْإِعْذَارُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَمْرِكَ، وَلَكَ إِنْ

فعلت الحظ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التهادي في الباطل وأدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله تعالى وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، وآتق الله، ودع البغي، وأحقن دماء المسلمين...^(١٨)

نلاحظ في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) استراتيجية يتوس المصداقية، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة الخطابية في ترتيب الأحداث وسلسلة الأزمات التي مرت بها الأمة الإسلامية وقيادة أمور المسلمين بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ومن تحمّل عبء هذه الرسالة السماوية ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهنا تتمثل يتوس الكفاءة والقيادة والمقدرة الكفائية في متابعة نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) والدفاع عن شؤون المسلمين بعد وفاة الرسول واستشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه الاستراتيجية ناجعة في تحقيق أهداف الخطيب لتظهر مصداقيته متناسبة مع الأحداث التي يذكرها، والتي يشهد لها التاريخ الإسلامي، أمّا معاوية فهو رجل فاسق مضلل لكل أحداث الإسلام، والدليل على ذلك المغالطات الكبرى التي اقترفها في خطابه وتعارضها مع الواقع وما حدث فيه، فمن أمثلة ذلك رسائله التي وجهها إلى مولانا الإمام الحسن (عليه السلام)

فكتب معاوية إلى الإمام الحسن (عليه السلام)؛ إذ قال: من عبد الله أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي: سلامٌ عليك؛ فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أمّا بعد؛ فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه، صغيره وكبيره، فقد بلغ وأدى، ونصح وهدى؛ حتى أنقذ الله به من التهلكة، وأنار به من العمى...

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكنني قد علمت أنني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سناً، فأنت أحق أن تُجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ،



تَحْمِلُهُ إِلَى حَيْثُ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ خَرَاJُ أَيُّ كُورِ الْعِرَاقِ شِئْتَ؛ مَعُونَةً لَكَ عَلَى نَفَقَتِكَ، يَجِيبُهَا لَكَ أَمِينُكَ، وَيَحْمِلُهَا إِلَيْكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ؛ وَلَكَ أَلَّا يَسْتَوِلَى عَلَيْكَ بِالْإِسَاءَةِ، وَلَا تُقْضَى دُونَكَ الْأُمُورُ، وَلَا تُعْصَى فِي أَمْرٍ أَرَدْتَ بِهِ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَعَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى طَاعَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ، وَالسَّلَامُ) (١٩).

عندما نقرأ نصَّ معاوية نجد في استراتيجيات الايتوس والباتوس المضلل، الذي يظهر فيه سياسية القدرة والمهارة في بيان الحجج الوهميَّة، التي تغلفها ألفاظ الإيهام والتضليل، التي تتنافى مع الحقائق التاريخيَّة التي تكشف شخصيَّة هذا الرجل، لو نقف على كلِّ ملفوظ منها نجد المراوغة والعبث اللفظي الذي يغري المستمع؛ بل نجد المغالطات الكبرى التي أثبتتها التاريخ لشخصيَّة معاوية، فهو لم يثبت له التاريخ أي موقف من هذه المواقف التي ذكرها في خطبته والتساؤل الذي يطرح هنا، ما الأدلة التاريخيَّة التي تثبت أنَّ معاوية أضبط لمتابعة شؤون الرعيَّة، وأحسن سياسيَّة وأكيد للعدو، وأي عدو للإسلام سوى بني أميَّة؛ بل أثبتت الأحداث التاريخيَّة أنَّ معاوية أخلف كلَّ الوعود التي كتبها في حادثة الصلح، ولم يفِ بأيِّ شرط من الشروط التي وضعها الإمام الحسن (عليه السلام)، وأنَّه أخلَّ بجميع الموائيق واعتدى على شيعة عليِّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وسلَّم زمام الأمور بيد زياد ابن أبيه الفاسق الذي لا يعرف شريعة الإسلام، ولا يعرف من هو؟ حتَّى يجعله يتولَّى شؤون المسلمين والأحداث التاريخيَّة والرسائل التي أرسلها الإمام الحسن (عليه السلام) إلى زياد ومعاوية تشهد بذلك .

وأي تجربة مضلَّة تحوَّكها الدسائس ضد الإسلام وأهل بيت الرسول (عليه السلام) يدركها معاوية، ثمَّ يوظف معاوية في خطابه استراتيجية الباتوس والعنف والمساومة في الوقت نفسه لأجل تحقيق غاياته في تولِّي الخلافة التي يزعم بحسب ادَّعاءاته أنَّه أولى بها، (فأنت أحقُّ أن تجيئني هذه المسألة، وأن تدخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي؟؟؟).

وهنا يلاحظ انحراف كبير في الخطاب عن شروط المخاطبة والمحااجة بخرق مبدأ التعاون والاستشارة إلى مبدأ العنف والتحريض والتهديد، وهو يعلم يقيناً أنَّ مطالبته بالخلافة لشؤون المسلمين غير شرعيَّة وغير مقبولة، وهي ما تُسمَّى في أسلوب المغالطات بـ (مغالطة المأل



والتضليل)؛ إذ ترتبط هذه المغالطة على ربط صدق دعوى الخطيب لمجرد مآلاتها السلبية بحسب رأي الخطيب (الفاعل السياسي)^(٢٠)؛ ولكن حجاجياً لا يرتبط صدق أو كذب الدعوى بمآلاتها ونتائجها .

ثانياً: استراتيجيات خرق قواعد الحوار الجدلي وكشف المغالطات

وفي خطابات أخرى مع الإمام الحسن (عليه السلام) يعمد معاوية إلى توظيف باتوس الإنكار بعد مسألة الصلح التي حدثت والشروط التي اشترط فيها الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية، التي عُدَّت من أهم بنودها الحفاظ على شريعة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وحقن دماء المسلمين، فقد خرقها جميعاً، وهنا تظهر استراتيجية السلبية والمغالطة من قبل الجمهور في تصديق الخطيب السياسي ذات المآل الدنيوي ليكشف نوايا وغايات معاوية .

فمن الأحداث التي مرَّ بها الإمام الحسن (عليه السلام) أنَّ معاوية اتخذ أسلوب التهديد وقد أرسل أشخاص لاغتيال الإمام ودسّ العيون والجواسيس في معسكره، وقد أغرى كثيراً ممن كانوا يبدون ولاءهم إلى الإمام الحسن (عليه السلام) فنقضوا العهود والمواثيق، من ذلك كتابه (عليه السلام) إلى أهل الكوفة بعد نقضهم العهد:

روى الحارث الهمداني قال: (لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ (عليه السلام)، جَاءَ النَّاسُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ خَلِيفَةُ أَبِيكَ، وَوَصِيُّهُ، وَنَحْنُ السَّامِعُونَ الْمَطِيعُونَ لَكَ، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ. قَالَ (عليه السلام): كَذَبْتُمْ، وَاللَّهِ، مَا وَفَيْتُمْ لَمَنْ كَانَ خَيْرًا مِنِّي فَكَيْفَ تَفُونِ لِي؟! أَوْ كَيْفَ أَطْمَئِنُّ إِلَيْكُمْ؟ وَلَا أَثِقُ بِكُمْ. إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَوْعِدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَعَسَكَرَ الْمَدَائِنِ، فَوَافُونِي هُنَاكَ. فَرَكِبَ، وَرَكِبَ مَعَهُ مَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَمْ يَفُوا بِمَا قَالُوهُ، وَبِمَا وَعَدُوهُ، وَغَرَّوْهُ كَمَا غَرَّوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) مِنْ قَبْلِهِ. فَقَامَ خَطِيباً وَقَالَ: قَدْ غَرَّرْتُمُونِي كَمَا غَرَّرْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلِي، مَعَ أَيِّ إِمَامٍ تُقَاتِلُونَ بَعْدِي! مَعَ الْكَافِرِ الظَّالِمِ، الَّذِي لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ، وَلَا بِرَسُولِهِ قَطُّ، وَلَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ هُوَ وَلَا بَنُو أُمَيَّةٍ إِلَّا فَرَقاً مِنَ السَّيْفِ؟! وَلَوْ لَمْ يَبْقَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا عَجُوزٌ دَرْدَاءٌ لَبَغْتَ دِينَ اللَّهِ عَوَجاً، وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) (٢١).

شكّل الخطاب السياسي عند الإمام الحسن (عليه السلام) بصورة الأحداث التاريخية السياسية التي

كشفت وجوه المنافقين وحقيقة بني أمية ومعاقبة، لما يحمله من أنساق ظاهرة ومضمرة تحمل أبعادا سياسية ودينية هامة لمن أراد أن يمثل الإسلام بخلافته المضللة، وتمّ فيها خرق قواعد الحوار الجدلي الحجاجي؛ لأنّ معاوية بدسائسه أدخل في دائرة المغالطة والتضليل والاستهواء مستهدفاً الجماهير من أهل الكوفة والشام ليستميلهم بوعوده وإغراءاته المادية وتوليّ إمارات العراق والشام، ولذا يعدّ الخطاب السياسي عند الإمام الحسن (عليه السلام) هو خطاب إعلامي فاعل ومؤثر لكشف الحقائق والمغالطات التي بثّها معاوية عن أهل بيت رسول الله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، لذا عمد الإمام الحسن (عليه السلام) إلى توظيف استراتيجية ايتوس التضامن والقيادة الحقيقية لتوليّ خلافة المسلمين لمن هو أولى بها وأحق من معاوية، فكشف الزيغ والإيهام والتضليل لحقائق التاريخ الإسلامي، ومن وقف مسانداً الرسول في دعوته السماوية، ومن أدخل رغماً عنه بالسيف للإسلام.

المبحث الثالث: خصائص أسلوب الخطاب الإعلامي عند الإمام الحسن (عليه السلام) في الردّ على

المغالطات الكلامية والمنطقية

أولاً: البنيات اللفظية والتركيبة

١_ (التوازي)

يؤدّي التوازي أثراً كبيراً في آفاق الدراسات الأسلوبية فهو يكشف عن البنية المسؤولة عن توزيع العناصر اللغوية والفنية والدلالية داخل العمل الفني سواء أكان شعراً أم نثراً. وعُرف التوازي في الدراسات النقدية الحديثة أنّه: ((تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها، بحيث يكون بينهما علاقة متينة إمّا على أساس المشابهة، أو على أساس التضاد)).^(٢٢)

والتوازي من المقومات الأسلوبية التي تنشأ نتيجة تديد وحدات صوتية متساوقة في النصّ فيمنحه نمطاً خاصاً من الايقاع يتجلّى في نسق من التناسبات المستمرة على مستويات متعددة منها: مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها، ومستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية وترتيبها، ومستوى تنظيم الترادفات المعجمية، ومستوى الأصوات والهياكل التطريزية وترتيبها^(٢٣).

ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطابات الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الحسن البصري:

(أمّا بعد، فقد انتهى إليّ كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا وكيف ترجعون إلينا، وأنتم بالقول دون العمل .

واعلم أنّه لولا ما تناهى إليّ من حيرتك، وحيرة الأمة قبلك لأمسكت عن الجواب، ولكنّي الناصح وابن الناصح الأمين، والذي أنا عليه أنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله (عزّ وجل) فقد فجر، إنّ الله لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولكنّه المالك لما ملّكهم، والقادر ما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة، لم يكن الله لهم صاداً ولا عنها مانعاً، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها إجباراً، ولا ألزمهم بها إكراهاً...) (٢٤)

٣_ المفارقة التصادمية

ومفهوم هذه المفارقة تقوم على التضام الدلالي بين الصور المتصادمة / أو الأنساق المتصادمة، لتعزيز الفكرة بعينها أو الصورة بنقيضها لخلق التوتر، وتكثيف الإيحاء، وهنا تؤدي المفارقة إلى تبيان المدلول الراسخ من جرّاء التصادم والتعاكس بين النسقين المتصادمين من خلال تشابك الدال والمدلول. (٢٥)

وتعد المفارقة التصادمية ارتداداً نفسياً إزاء الصراعات المتوترة لتقوم بمهمة البوح الذاتي عما يعتصرها من آثات وأزمات داخلية إزاء الواقع المتصدع .

ومن خطب الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية بعد حادثة الصلح التي خطبها أمام جمع من المسلمين:

(أيّها النّاس إنّ أكيس الكيس التّقى، وأحقّ الحُمق الفُجور، وإنّكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرَس رجلاً جدّه رسولُ الله ﷺ ما وجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وقد علمتم أنّ الله هداكم بجديّ محمّدٍ فأنقذكم به من الضّلالة، ورَفَعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الدّلة، وكثركم بعد القلّة. إنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمّة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالمون من سالمْتُ، وتُحاربون من حاربْتُ، فرأيتُ أن أسالم



مُعَاوِيَةَ، وَأَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ بَايَعْتُهُ، وَرَأَيْتُ حَقْنَ الدِّمَاءِ خَيْرًا مِنْ سَفْكِهَا، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَلَاحَكُمْ وَبَقَاءَكُمْ، وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ^(٢٦).

ثانيا: البنيات التصويرية

١_ التكيف الإيحائي

نسق الاستعارة التصويرية

ويقوم الخطاب الاستعاري على خرق التطابق في العلاقات اللغوية وحصرها في كيان واحد عبر استثمار التنافر بين الدال والمدلول اعتماداً على الوظيفة المجازية التي تُعدّ أساس الصورة الاستعارية، فتعمل على استثارة المتلقي وتنشيط خيلته ليتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة التي يمكن الوصول إليها عبر عدد من القراءات المنتجة لأبعادها الإيحائية .
وعليه يمكن القول إنّ الخطاب الاستعاري يتشكّل من ((ممارسة استبدالية وتركيبة على مستوى محوري الاختيار والتأليف))^(٢٧) .

ومن ثمّ فإنّ الاستعارة انزياح استبدالي، وهي ((تقوم على كلمة واحدة وتستعمل بمعنى مشابه لمعناها الأصلي ومختلف عنه))^(٢٨) .

وتكمن فضيلة الاستعارة أسلوبياً في هذا الواقع الجديد الذي تخلقه، وفي هذا الإيحاء المتولّد عن تردد القارئ بين دالتين؛ دلالة حرفية غير مقصودة ولكنها مدعاة تمنعها القرائن، ولا يمكن أن تتحقق إلّا في الخيال، ودلالة أخرى محتجة يطلب من المتلقي استنتاجها بناءً على تلك القرائن^(٢٩)

فالبنية السطحية في الاستعارات المتقدمة قد أسهمت في بلورة البنية العميقة، التي كشفت بدورها عن إيحاءات الصور الاستعارية في النصّ، فضلاً عن إثارة المتلقي وإشراكه، فالاستعارة آلية تصويرية لا ترتبط باللغة فقط، بل بالنسق الاستعاري الذي يُعدّ استعاريّاً.

ولعل من أبرز الأمثلة ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام: عندما وصف أهل البيت عليهم السلام في الكتاب (وإنّ مثلنا في كتاب الله كمثل المشكاة، والمشكاة هي القنديل، وفينا المصباح، والمصباح محمد عليه السلام وأهل بيته، والمصباح في زجاجة (الزجاجة كأنّها كوكب دري يُوقد من شجرة مباركة) علي



بن أبي طالب (عليه السلام) لا شرقية ولا غربية معروفة لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيئ) ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي لنوره من يشاء)

ثم أضاف قائلاً (عليه السلام): (وحقيق على الله أن يأتي ولينا يوم القيامة مشرقاً وجهه، نيراً برهانه، عظيمة عند الله حجته، وحقيق على الله أن يجعل ولينا رفيق الأنبياء، والشهداء والصديقين والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً) (٣٠)

ومن أمثلة ذلك وصية الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) إلى أخيه محمد بن الحنفية فقال له: اجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام، يحيا به الأموات، ويموت به الأحياء، كونوا أوعية العلم، ومصابيح الهدى، فإن ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض، أما علمت أن الله جعل ولد إبراهيم (عليه السلام) أئمة، وفصل بعضهم على بعض، وآتى داود زبوراً، وقد علمت بما أستاثر به محمدًا (عليه السلام) (٣١)

ويتضح عبر هذين النصين النسق التماثلي من التشبيه والاستعارة وظفهما الإمام الحسن (عليه السلام) لبيان المنزلة الحقيقية لأهل بيت النبوة، وأن الآيات القرآنية التي ذكرها وما فيها من عظمة وتشبيه هي تخصهم (أهل بيت الرسالة النبوية) فهم المشكاة وضوءها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن بعده علي بن أبي طالب وآل بيته (عليهم السلام).

نتائج البحث

أولاً: يمثل مفهوم المغالطة من التقنيات البلاغية المعاصرة التي تتضمن أدوات حجاجية وجدلية ومنطقية؛ لبيان الحجج والأساليب المغلوطة التي يحاول بها المتحدث أو الخطيب السياسي أن يدلل على صحة دعواه.

ثانياً: إن رغبة الخطيب السياسية (منتج الخطاب) يحاول أن يوظف أساليب المناورة والادعاءات المضللة كاستراتيجية خطابية يكسب بها مشروع غاياته ومؤداه عبر استمالة الجمهور، التي يخرق بها قواعد الخطاب والحوار الجدلي المنطقي المشروع

ثالثاً: مثلت خطابات الإمام الحسن (عليه السلام) استراتيجيات خطابية اقناعية مبنية على قواعد النقاش والخطاب المنطقي المستند على أدلة ومرجعات تثبت أحقيته في الخلافة عبر دعواه



المدعمة بالمحاجة القرآنية، والأحداث والوقائع التاريخية .

رابعاً: تكمن بلاغة المغالطة في الخطابات السياسية في قدرة منتج الخطاب على التأثير في الجماهير بتضليله وتمويهه وتخويفه وتوظيف الحيل والمراوغة والمغالطات المنطقية للوصول إلى أهدافه من سبل العنف والقوة والأغواء والاستهواء، وهذا ما لحظناه في ردود معاوية بن أبي سفيان ورسائله للإمام الحسن بن علي عليه السلام

خامساً: في البحث ثبت عبر استعراض الخطاب أن الإمام الحسن عليه السلام وظّف استراتيجية الإيتوس بمختلف أنماطها من إمكانيات لغوية وبلاغية وحجاجية للرد على ادّعاءات معاوية المضللة المعتمدة على المهارة الكفائية في كشف مغالطات المصادرة عن المطلوب والمشروع، ومغالطة المآل والمآرب التي كان يهدف معاوية لتحقيقها.

سادساً: إنَّ من وظائف بلاغة المغالطة تكشف تفنيد دعوى المعارض السياسي معاوية عبر استراتيجية الباتوس، التي يقوم بعرض مغالطة الاتهام، وهو التشكيك في مشروعية أو أهلية الشخص السياسية بدعوى مغالطة مضللة بحكم قلة التجربة والإدارة والقيادة، فتصرف ذهن المستمع عن فحوى الدعوى القضية الحقيقية إلى أمور أخرى، وهنا ما يحدث عن معاوية مغالطة الانحراف والانزلاق عن مفهوم الشرعية لخلافة المسلمين بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لكن الإمام تمكّن بحنته السياسية الناجعة أن يفنّد دعوى المعارض السياسي بالبرهنة بالبينة والدليل والشرعية والحدث؛ لتؤهله لأن يكون هو الخليفة الشرعي بهدم ادعاءات معاوية المضللة وتفنيدها.

— معنى استراتيجية الأيتوس: وهي الإدارة الفاعلة الرابطة بين طبيعة الخطاب والدور الذي يؤدّيه صاحب الخطاب، والصورة التي يرسمها الخطيب السياسي لنفسه .

— معنى استراتيجية الباتوس: وهي الإدارة التي يستعملها الخطيب السياسي لأجل إثارة مشاعر المستمع واستهدافه عاطفياً



الهوامش

- ١- معنى استراتيجية الأيتوس: وهي الإدارة الفاعلة الرابطة بين طبيعة الخطاب والدور الذي يؤديه صاحب الخطاب، والصورة التي يرسمها الخطيب السياسي لنفسه.
- ٢- معنى استراتيجية الباتوس: وهي الإدارة التي يستعملها الخطيب السياسي لأجل إثارة مشاعر المستمع واستهدافه عاطفياً
- ٣- ينظر بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي: د. عبد الوهاب صديقي، ٤٤-٤٥
- ٤- ينظر موسوعة البلاغة في ثلاثة أجزاء: د. عماد عبد اللطيف وآخرون، ترجمة نخبة إشراف عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ٢٢
- ٥- ينظر بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي: د. عبد الوهاب صديقي، ٤٧
- ٦- المصدر نفسه ٥١-٥٥، ينظر دائرة الحوار ومزالق العنف: د. محمد العمري، ط ١، ٢٠٢٢، إفريقيا الشرق، ٤٣
- ٧- إجمالية الألفة النص ومقبله في التراث النقدي: شكري المبخوت، ١١، بلاغة الجمهور (مفاهيم وتطبيقات): ١٢٩
- ٨- كشف الغمّة: ج ٢ / ١٩٦، أعيان الشيعة: ج ١ / ٥٤، مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ١٤
- ٩- حلية الأولياء: ج ٨ / ٣٥٨، كشف الغمّة: ج ٢ / ١٩٧، بحار الأنوار ج ٤٤، ص ٥٤، ج ٦ / مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ١٢.
- ١٠- ينظر مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٢٨.
- ١١- مقاتل الطالبين: ص ٦١، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٥٤، ج ٥، شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد: ج ١٦، ٣١
- ١٢- ينظر بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي (دراسة في آليات الاقناع واستراتيجيات التأثير)، د: عبد الوهاب صديقي، ١٢٤، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: ٦٤
- ١٣- الزخرف: ٤٤
- ١٤- مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٢١-٢٢
- ١٥- المصدر نفسه: ج ٣ /
- ١٦- المصدر نفسه: ج ٣ / ٣٣.
- ١٧- المصدر نفسه: ج ٣ / ٢٤.
- ١٨- مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٢٣
- ١٩- المصدر نفسه
- ٢٠- الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار: ٤٣، ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: ٤٢
- ٢١- مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٣١
- ٢٢- شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية): ١٤٤

- ٢٣- قضايا الشعرية: ٤٣
- ٢٤- مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٥٤ .
- ٢٥- ينظر حداثية الحداثة: عصام شرتح، ٤٠. ينظر القول الشعري (منظورات معاصرة): رجاء عيد، ١٩٨
- ٢١- اللسانيات وتحليل النصوص: ٢١٠.
- ٢٢- بنية اللغة الشعرية: ١١٠
- ٢٦- مكاتيب الأئمة: ج ٣ / ٣٤
- ٢٧- اللسانيات وتحليل النصوص: ٢١٠.
- ٢٨- ظ عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: ١١٠
- ٢٩- المصدر نفسه: ١١٢.
- ٣٠- مكاتيب الأئمة: ج ٣: ١٣-١٤
- ٣١- المصدر نفسه: ج ٣ / ٦٠

المصادر والمراجع

- * أعيان الشيعة: السيد محسن العاملي، مكان النشر، دمشق، مطبعة ابن زيدان، ١٩٥٩
- * اللسانيات وتحليل النصوص: رابح بوحوش، ط٢، عالم الكتب الحديث، اربد، ٢٠٠٩.
- * المغالطات المنطقية بين التحقق والتوهم (مداخل مفهومية وسياقات استدلالية تحت الضوء): د. احمد التيمي، دار الروافد الثقافية _ ناشرون، ط١، ٢٠٢١
- * بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي دراسة في آليات الاقناع واستراتيجيات التأثير: د. عبد الوهاب صديقي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠٢١
- * حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني (٤٣٠)، الناشر مطبعة السعادة:
- * شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية): د. محمد العياشي كنوني، ط١، عالم الطتب الحديث، اربد _ الأردن ٢٠١٠
- * عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: د: مسعود بودوخة، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد، ٢٠١١،
- * كشف الغمّة في معرفة الاثمة، بهاء الدين الاربلي علي بن عيس، قم المقدسة
- * مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦)، القاهرة، دار احياء الكتب العربية
- * موسوعة البلاغة في ثلاثة أجزاء: د. عماد عبد اللطيف واخرون، ترجمة نخبة إشراف عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة،
- * الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر: د. محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٨
- * دائرة الحوار ومزالق العنف: د. محمد العمري، ط١، ٢٠٠٢٢، إفريقيا الشرق،
- * قضايا الشعرية: رومان جاكوبسون، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٨
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الاثمة الاطهار، العلامة المجلسي
- * بلاغة الجمهور (مفاهيم وتطبيقات): مجموعة باحثين، البصرة، دار شهريار، ٢٠١٧
- * مكاتيب الأئمة الامام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي: علي الاحمدي الميانحي، تحقيق ومراجعة مجتبی فرجي، قم المقدسة، مركز دار حديث

دراسة المعاني التربوية والاجتماعية
في خطاب الإمام الحسن عليه السلام



أ.د. دلال عباس

المعهد العالي للدكتوراه

الجامعة اللبنانية / لبنان

ملخص البحث

إنَّ دور الإمام الحسن (عليه السلام)، منبثق من الدور الرسالي لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو "صيانة الرسالة" في المرحلة التي تلت مرحلة النبوة، أي مرحلة التأسيس وصنع الأئمة الرسالية، وتكوين المجتمع المؤمن، فصيانة الرسالة تعني تجسيد التعبير القرآني: "اليوم أكملت لكم دينكم"، وهي القاسم المشترك في مواقف الأئمة جميعاً وأعمالهم؛ أمّا الاختلاف الظاهري بين مواقف كلٍّ منهم، فهو ليس اختلافًا مبدئيًّا؛ لأنَّ كَيْفِيَّةَ صيانة الرسالة تختلف من مرحلة إلى أخرى ومن ظرفٍ إلى ظرفٍ آخر.

لقد كان دورهم جميعاً صون الرسالة والشرعة وحفظها من التحريف، أي حفظ تعاليمها وأحكامها وعقائدها ومفاهيمها وأخلاقيها وقيمها كافة، كي لا يُصيبها ما أصاب الرسالات السابقة من تحريفٍ بعد وفاة المرسلين.

إنَّ الأئمة التي ربَّاهما النبي (صلى الله عليه وآله) تربيةً رساليةً، وجدت نفسها بعد انتقاله إلى الباري الأعلى وجهًا لوجه أمام إغراءات الإمرة والسلطة، وهذه محنة وابتلاء عظيمان، فهذه النفوس التي كانت ضعيفةً، ولم تترب تربيةً كاملةً على تعاليم القرآن أو تفهم مقاصده، لتفاوت الأوقات التي أعلن فيها الناس إسلامهم في حياة النبي، والأعداد الكبيرة التي أسلمت بعد فتح مكة، قبل أن تفهم شيئاً من تعاليم الدين، أخذت النزعات والأهواء تتفاعل فيها، فبرزت مسألة السقيفة، وحُرِّفت قيادة الأئمة الرسالية بالشكل الذي نعرفه، وبلغ التحريف مداه في عهد الخليفة الثالث، وكانت نتيجته بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصول معاوية إلى الحكم.

هذه المشكلة تركّزت زمن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واستطاع الإمام (عليه السلام) إبّان المدة القصيرة من حكمة أن يصون الرسالة منها ويقدم النموذج الرسالي للحكم على الرغم من قصر المدة التي حكم فيها، لكنَّ سيرته الشخصية وطريقة حكمه، التي نقرأها في كتب التكليف التي كان يُرسلها إلى ولاته في الأمصار، لاسيّما كتابه إلى مالك الأشتر حين ولّاه مصر، تقدّم المثل الأعلى لشكل الحكم الإسلامي العادل، والعدالة السياسية والاجتماعية في الإسلام. أمّا الإمام الحسن (عليه السلام) فالبلاء الذي تعرّض له كان سببه زيف معاوية، وسُمعته التاريخية

المزينة أيضاً، التي جعلت الجمهور (العوام، أو بحسب تعبير أمير المؤمنين الرّاع) يؤمن بأنّه أحد الصّحابة مثله مثل الإمام علي عليه السلام، وأنّ الصّراع بينهما إنّما هو صراع بين صحابيين، أو عشيرتين من قريش، وراج سوق المغالطات ووضع الأحاديث، التي كان معاوية وإعلامه المتمثل بالفقهاء ورواة الحديث - الذين أغدق عليهم الأموال - يروجونها بين الجماهير، فاختلط الأمر على الناس ولم يعد باستطاعتهم التمييز بين الحقّ والباطل.

يهدف هذا البحث إلى الإضاءة على قضية التربية والتعليم وعناصرها ووسائطها في سيرة الإمام الحسن عليه السلام وفي وصاياه، اعتماداً على المنهجين الوصفي والتحليلي.

يُقسّم البحث على مقدّمة عامّة تتناول موضوع التربية والتعليم لغويّاً ومفهوميّاً ودينيّاً، ومتنٍ يتضمّن الإجابات عن الأسئلة الآتية:

* هل التعليم والتربية عمليّتان منفصلتان أم مترابطتان، ولماذا قُدّمت لفظة التربية على لفظة التعليم؟

* ما هي قيمة العلم والمعرفة والتوجيه والإرشاد والتزكية في النصّ القرآنيّ، وفي أحاديث المعصومين؟ لا سيّما أنّ الأئمّة المعصومين هم الذين تولّوا التعليم بعد رسول الله ﷺ؛ فقد ورد: "أنّه كان بين السّلف من الصّحابة والتّابعين اختلافٌ في كتابة العلم، فكرها كثيرٌ منهم، وأباحها طائفةٌ، وفعلوها منهم عليّ وابنه الحسن عليه السلام"

* متى تبدأ عمليّة التربية، وما هي عناصرها ووسائطها، وأبعادها الاجتماعيّة في النصّ القرآنيّ وفي أحاديث النبي ﷺ، وفي وصايا الأئمّة لا سيّما الإمام الحسن عليه السلام.

* ما هي أهميّة القدوة والرموز في عمليّة التربية والتعليم، وكيف يتجلّى ذلك في سيرة الإمام الحسن وأقواله؟

ستجيب هذه الورقة عن هذه الأسئلة وما يتفرّع عنها وصولاً إلى النتيجة المتبغاة.

الكلمات المفتاحيّة:

التربية والتعليم؛ عناصر التربية؛ التربية في القرآن وأحاديث المعصومين، الإمام الحسن عليه السلام، المربيّ القدوة، الرموز الدينيّة، الفروق الفرديّة.

Abstract

The role of Imam Al-Hasan (peace be upon him) stems from the doctrinal role of the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them), which is "safeguarding the message" in the phase following the prophethood, namely the phase of establishing and creating the canonical nation, Ummah, and forming the believing society. Safeguarding the message means embodying the Quranic expression: "Today I have completed your religion for you, perfected My favour upon you, and chosen as your religion Islam.", which is the common denominator in the positions and actions of all the Imams. As for the apparent differences in the positions of each of them, it is not a doctrinal difference, because the methods of preserving the message vary from one stage to another in accordance with the specific circumstances of each stage.

Their role is to safeguard the message and the Shari'ah, preserving both from distortion, i.e., to preserve its teachings, rulings, beliefs, concepts, ethics, and all its values, so that it does not suffer the fate of previous messages, which were subject to distortion after the passing of the messengers.

The Ummah that was nurtured by the Prophet (peace be upon him and his family) with prophetic guidance found itself, after his passing to the Highest Creator, face to face with the temptations of authority and power. This is indeed a great temptation and tribulation for weak souls and for those that had not been fully enlightened by the teachings of the Qur'an and never understood its purposes. Especially, for the large numbers, who embraced Islam only after the conquest of Mecca without understanding anything of its teachings.

The leadership of the prophetic nation was distorted as we know. The distortion reached its full extent during the reign of the third caliph, as a result of which, after the martyrdom of Amir al-Mu'minin Ali bin Abi Talib, peace be upon him, Mu'awiya came to power.

This problem intensified during the reign of Imam Ali ibn Abi Talib, peace be upon him. Despite the short duration of his rule, Imam Ali, peace be upon him, was able to safeguard the message and provide an apostolic model of governance. He ruled for a short period. However, his personal conduct, his model of governance,



and the theory he formulated for prophetic Islamic governance, which we read in the books of appointment he sent to his governors, especially his letter to Malik al-Ashtar when he appointed him as the governor of Egypt, this theory, which he himself practiced and applied represents the highest example of the form of just Islamic governance, political justice, and social justice in Islam.

As for Imam al-Hasan, peace be upon him, the affliction he faced was caused by the deception of Muawiyah and his falsified historical reputation. This reputation falsely portrayed him as one of the companions, similar to Imam Ali, peace be upon him, and framed their conflict as merely a dispute between two companions or two clans of Quraysh. This misconception was widespread due to the fabrications and manipulation of narratives by Muawiyah and his propagandists, represented by the jurists and hadith narrators whom he lavished money on. This misinformation clouded people's judgment, making it difficult for them to distinguish between truth and falsehood. Even the supporters of Imam Hasan, peace be upon him, did not fully comprehend the reasons for making the peace treaty with Muawiyah until this tyrant seized power, and cloaked himself in the robes of Islam. and fabrication the companionship of the Prophet. Only then did his true intentions become apparent in the words he said after violating the peace treaty.



This research aims to shed light on the issue of education and its elements and means in the biography and commandments of Imam Hasan, peace be upon him, based on descriptive and analytical methodologies.

Here is a general introduction that addresses the subject of education linguistically, conceptually, and religiously, and a body that includes answers to the following questions: – Are education and upbringing two separate processes or interrelated ones, and why was the term “upbringing” prioritized over “education”? – What is the value of knowledge, guidance, direction, and purification in the Quranic text and the sayings of the infallible, especially since the infallible Imams were the ones who undertook education after the Messenger of Allah, peace and blessings be upon him and his family? It is reported that “Among the predecessors from the Companions and the Successors, there was a difference regarding the writing of knowledge. Many of them disliked it, while a group permitted it, and some of them



did it, including Ali and his son Al-Hasan, peace be upon them.” – When does the process of upbringing begin, what are its elements and means, and what are its social dimensions in the Quranic text, the sayings of the Prophet, peace and blessings be upon him and his family, and the commandments of the Imams, especially Imam al-Hasan, peace be upon him and them? – What is the importance of role models and symbols in the process of upbringing and education, and how does this manifest in the biography and sayings of Imam al-Hasan?

The current paper will answer these questions and their related aspects, leading to the desired conclusion.

Keywords: education, Elements of education, Education in the Qur'an and Hadiths of the Infallibles, Imam Hasan (peace be upon him), Role model, Religious symbols, individuals.

تمهيد

إنَّ عمليَّةَ التربية والتعليم في الإسلام عمليَّةٌ مستمرَّةٌ من المهدِّ إلى اللحد، باتِّباعِ تعاليم القرآن والسنة النبويَّة الصحيحة، وما ورد عن الأئمَّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذه العمليَّة تبدأ قبل الولادة وبعدها وفي مختلف مراحل العمر؛ وقد وصف إمامُ المتقين عليُّ بنُ أبي طالب (عليه السلام) بقوله: "إنَّ هذا الإسلام دينُ الله الذي اصطفاه لنفسه، ثمَّ جعله لا انفصامَ لعُروتِه، ولا فاكَّ لحلقته، ولا انهدامَ لأساسه، ولا زوالَ لدعائمه، ولا انقلاعَ لشجرته، ولا انقطاعَ لمدَّتِه، ولا عفاءَ لشرائعه، ولا جذَّ لفروعه"^(١)، والله عزَّ وجلَّ وصف القرآن بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا﴾ (يس/ ٦٩-٧٠)؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ (التكوير/ ٢٧-٢٨). وقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): "... أنا والله خاتمُ النبيين والمرسلين والحجَّةُ على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين"^(٢)؛ وعن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: "مثلي ومثُلُ الأنبياء كمثُلِ رجُلٍ بنى دارًا فأتمَّها وأكملها إلا موضعَ لبنةٍ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضعُ اللبنة! قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) فأنا موضعُ اللبنة، جئتُ فختمتُ الأنبياء"^(٣)؛ وقال الإمام جعفر الصادق: "إنَّ الله ختم بنبِيِّكم النبيين، فلا نبيَّ بعده أبدًا، وختم بكتابكم الكتب فلا كتابَ بعده أبدًا، وأنزل فيه تبيانَ كلِّ شيءٍ، وخلقكم وخلق السماوات والأرض، ونبأ ما قبلكم، وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم..."^(٤)

من كلام الله عزَّ وجلَّ ومن كلام المعصومين - وأحدهم الإمام الحسن (عليه السلام) - الذين زُفوا العلم زُفًا، وكانوا معدن الحكمة والمعرفة والعلوم في مختلف المجالات يسترشدُ الناس في ما يقولون وما يفعلون؛ يعلمون أنفسهم ويربونها، ويعلمون الموكلَ إليهم تعليمهم وتربيتهم.

ما المقصود بالتربية والتعليم؟

هل التربية والتعليم مفهومان مستقلَّان عن بعضهما أم متلازمان؟ إنَّ ورودَ لفظتي التربية والتعليم معًا كأنَّهما مصطلحٌ واحدٌ، يعني أنَّهما متلازمان تلازمًا شرطيًّا، ومتربطان ترابطًا عضويًّا، وأنَّهما قضيتان واحدةٌ لا قضيتان. أمَّا تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرِّغم من أنَّ التربية لا تتحصَّل إلا من خلال عمليَّة التعليم، تبقى عمليَّة التعليم قاصرة ما لم



تتحقق من ورائها عملية التربية، فالتربية هي الهدف النهائي للتعليم.

لغويًا: التربية مشتقة بحسب معجم مقاييس اللغة من الجذرين (أ ر ب) و (ر ب أ) اللذين يدلان على أصل واحد وهو الزيادة والنماء والعُلُو، ويُقال رَبَّيْتُهُ إِذَا غَدَوْتُهُ، وهذا ممكن على معنيين أحدهما أَنَّهُ إِذَا رَبَّيْنَا زَكَا وَزَادَ، والآخر من التريب، ويجوز أن تكون إحدى الباءات ياءً والوجهان جيّدان^(٥)؛ والتربية بحسب المصباح المنير من (ر ب و)، والرَّبَا: الفضل والزيادة، وهو مقصورٌ على الأشهر، وَرَبِّي الصَّغِيرُ من باب تَعَبَ، وَرَبَا يَرْبُو من باب عَلَا: إِذَا نَشَأَ، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: رَبَّيْتُهُ فَرَبَّيْتُ^(٦) وفي تاج العروس، "ر ب و - رَبَا الشَّيْءُ رُبُوًّا، أَوْ رَبَاءً: زَادَ وَنَمَا وَعَلَا؛ وَأَرْبَيْتُهُ: نَمَيْتُهُ وَهُوَ الصَّوَابُ، وَرَبَّيْتُهُ تَرْبِيَةً أَوْ غَدَوْتُهُ"^(٧).

أما التربية كما عرّفها المُحدّثون فهي "تنمية الوظائف النفسية بالتمارين حتّى تبلغ كما لها شيئاً فشيئاً، تقول: رَبَّيْتُ الْوَلَدَ إِذَا قَوَّيْتَ مَلَكَاتِهِ وَنَمَيْتَ قُدْرَاتِهِ، وَهَذَّبْتَ سُلُوكَهُ، حَتَّى يَصْبَحَ صَالِحًا لِلْحَيَاةِ فِي بَيْتَةٍ مَعِيْنَةٍ، وتقول: تَرَبَّى الرَّجُلُ إِذَا أَحْكَمْتَهُ التَّجَارِبُ وَنَشَأَ نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ"^(٨) لم ترد كلمة التربية في القرآن الكريم، وإنّا وَرَدَ الْفِعْلُ رَبَّيْتُ بِالْمَعْنَى الْمَادِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء/ ١٨)، وعن الوالدين: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء/ ٢٤). وعن الرسول الأكرم: إِنَّ اللَّهَ لِيرَبِّي لِأَحْدِكُمُ الصَّدَقَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحْدَكُمْ وَلَدَهُ، حَتَّى يَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مِثْلُ أَحَدٍ^(٩)، وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن الرسول ﷺ: "فَتَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ... فَإِنَّ اللَّهَ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِهَا - كَمَا يُرَبِّي أَحْدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَةٌ... حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ"^(١٠)، وعن عليّ بن أبي طالب في مدح الأنصار: "هَمُّ وَاللَّهِ رَبُّو الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُؤُ..."^(١١)

أما مصطلح التربية فنجدّه في ما بعد في كلام الإمام زين العابدين والأئمّة من بعده عليه السلام، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأبويه: "اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهَا تَرْبِيَّتِي... أَيْنَ إِذَا يَا إِلَهِي طَوَّلَ شُغْلُهَا بِتَرْبِيَّتِي؟"^(١٢)؛ وفي دعائه لأولاده: "وَأَعْنِي عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ"^(١٣). وعن موسى الكاظم عليه السلام: "ثَمَانِيَةُ أَشْيَاءَ مِنْ كُنَّ فِيهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَنَشَرَ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ: "مَنْ آوَى الْيَتِيمَ وَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَأَحْسَنَ تَرْبِيَّةَ وَلَدِهِ، وَرَفَقَ بِمَمْلُوكِهِ..."^(١٤)، وعن الحسن العسكري عليه السلام: "وَمَنْ رَحِمْتَهُ (أَيَّ اللَّهَ عَزَّ



وجلّ)... أَنَّهُ جعل القوَّة في أمِّهِ (أي أمَّ الإنسان) ورقَّقَهَا عليه لتقوم بتربيته وحَضَانَتِهِ، فإنَّ قسا قلبُ أمٍّ من الأمَّهاتِ، أوجب تربيةَ هذا الطِّفل وحَضَانَتَهُ على سائر المؤمنين^(١٥)

ثمَّة في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين كلمات أخرى مثل إرشاد وتأديب وتركيب ودلالة وهداية، يقارب معناها إلى حدٍّ كبير معنى كلمة تربية، لا مجال في هذا البحث للتوسُّع فيها. التربية والتعليم عمليَّة واحدة لا عمليَّتين منفصلتين، والتربية عمليًّا مقدَّمةٌ على التعليم قدرًا وأهميَّةً، وهي الهدفُ الأساسيُّ من التعليم.

أمَّا في علم النفس فتعرَّف التربية "أنَّها عمليَّة منتظمة أو مستمرة تهدف إلى توجيه النموِّ البدني والعقلي والنفسي أو بشكلٍ عام لتوجيه التنمية الكاملة لشخصيَّة الأفراد في اكتساب العلوم البشريَّة وفهمها، وفهم المجتمع للمعايير، فضلًا عن المساهمة بازدهار مواهبهم"^(١٦)

التعليم

لغةً بحسب الفراهيدي من "ع ل م يعلم علمًا، نقيض جهل ... وأعلَّمته بكذا أي أشعرته، وعَلَّمته تعليمًا"^(١٧)، وبحسب ابن منظور من: "ع ل م ... العلم نقيض الجهل ... وعلمتُ الشيء أعلَّمته علمًا: عَرَفْتُهُ ... وعَلَّمه العلمَ وأعلَّمه إِيَّاه فعَلَّمَهُ ... وعَلَّمته الشيءَ فتعلَّم ... والتشديد هنا ليس للتكثير"^(١٨)، وفي القرآن وصفَ الله عزَّ وجلَّ نفسه على أَنَّهُ المعلم، وهذا تأكيد على أهميَّة التعلُّم والتعليم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق / ٣-٥)؛ و﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن / ١-٤)؛ و﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف / ٦٥-٦٦). ووصف القرآن النبيَّ أَنَّهُ معلِّم الناسِ الحكمة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة / ١٥١).

ومدح العلماء ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة / ١١).

وفي الحديث أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "إِنَّ معلِّمَ الخيرِ يستغفرُ له دوابُّ الأرضِ وحيثانُ البحرِ،

وكلُّ ذي روحٍ في الهواء، وجميعُ أهلِ السماء والأرضِ^(١٩). وثمة توصيات كثيرة بخصوص تذكية العقل وتقويته، بعضها له جوانب مادية، وبعضها له جوانب معنوية، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: "أدب العلماء زيادةً في العقل..."^(٢٠)

أي أنَّ مجالسة العلماء وتعلُّم آدابهم، والنظر إلى أفعالهم وأخلاقهم موجبةٌ لزيادة العقل؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: "ذكَّ عقلك بأدبٍ كما تُذكِّي النارُ بالحطب"، وقال: "خيرُ القلوب أوعاها"، وقال: لا تُحدِّث بالعلم السفهاء فيكذبوك، ولا الجهَّال فيستثقلوك، ولكنْ حدِّث به من يتلقَّاه من أهله بقبولٍ وفهمٍ، يفهمُ عنك ما تقول، ويكتُم عليك ما يسمع، ومنعه من غير مستحقِّه فإنَّ لعلمك عليك حقًّا، كما أنَّ عليك في مالِكَ حقًّا بذلِّه لمستحقِّه"^(٢١)؛ وقال: "إذا كان الآباءُ هم السببُ في الحياة، فمعلِّمو الحكمة والدين هم السببُ في جودتها"^(٢٢). ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ من واجبات الحاكم العادل، (وتاليًا مسؤولية الدولة) إخراج الناس من جهلهم بتعليمهم، وتعليمهم يكون هدفه المعرفة: "أيُّها الناس... أمَّا حقُّكم عليَّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا"^(٢٣)، وقال في خطبة الهمام: "مذكَّرٌ للعالم، معلِّمٌ للجاهل"^(٢٤)، وقال: "من نصَّب نفسه للناس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكنْ تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلِّم نفسه ومؤدِّبها أحقُّ بالإجلال من معلِّم الناس ومؤدِّبهم"^(٢٥)؛ وفي الثقافة الدينية تعادل كلمة التزكية كلمة التربية، أي أنَّ من تزكَّى فقد طوى درجات الكمال، ولكنَّ امتلاك التعليم والوعي غيرُ مساوٍ للكمال، وربَّما كان عقبةً خطيرةً أمام الكمال البشريِّ في ما يتعلَّق ببعض العلوم.

إنَّ التربية والتعليم مترابطان مفهوميًّا ترابطاً العلَّة والمعلول، ترابطاً وتواصلًا بيئيًّا، أي أنَّهما ليسا عاملين منفصلين، وإنَّما يجتمعان في مواقع الممارسة والتطبيق ويتكاملان، فالتربية لا يمكن أن تتحقَّق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وفي القرآن استُخدم مفهوم التزكية الأقرب إلى التربية أربع مرَّات مع كلمة التعليم:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/ ١٢٩)، جاءت كلمة التعليم في دعاء إبراهيم هذا قبل

التزكية، إشارة إلى أن التعليم مقدّمٌ لازمةٌ للتزكية، لكن في الآيات الثلاث الأخرى جاءت كلمة التزكية قبل التعليم للدلالة على أن الهدف الأساسي هو التزكية:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ١٥١)

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (آل عمران/ ١٦٤).

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة/ ٢).

وتولّى التعليم بعد رسول الله الأئمة المعصومون: فقد ورد "أنّه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلافٌ في كتابة العلم، فكرها كثيرٌ منهم، وأباحها طائفةٌ، وفعلوها منهم عليّ وابنه الحسن" (٢٦). وعن العلم قال الإمام الحسن (عليه السلام) "عَلَّمَ النَّاسَ وَتَعَلَّمَ عِلْمَ غَيْرِكَ، فَتَكُونُ قَدْ أَتَقَنْتَ عِلْمَكَ، وَعِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ" (٢٧)، ورؤي عنه أنّه قال: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه" (٢٨).

ما هي العوامل والعناصر المؤثرة في التربية

أكّد العلم الحديث على أهميّة العامل الوراثي مقابل عوامل البيئة والتعلّم والتربية والوالديّة والنموّ، وهنالك أدلّة على أن أبعاد شخصيّة الإنسان موروثّة، لكنّ الجدّل بين علماء التربية ينصبّ على مدى تأثير العناصر الوراثيّة في خيارات الإنسان؛ كما أنّ هنالك كلامًا كثيرًا على تأثير البيئة البيئيّة انطلاقًا من ترتيب المواليد، والموقع في الأسرة، واختلاف البيئات الاجتماعيّة، وتنوّعها، ومستوى التعليم ونوعيّة، والقيم التي يحملها المعلّمون، وثقافة المجتمع، والأحداث الاجتماعيّة الواسعة النطاق والعميقة التأثير، كالحروب والركود الاقتصادي، والخلفيّة العرقيّة، وأخيرًا الحِقْبَة الزمنيّة التي يتربّى فيها الفرد، لذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "لا تُقَسِّرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لَزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ" (٢٩).

متى تبدأ عملية التربية في الإسلام؟

تبدأ عملية التربية قبل الولادة، بمعنى أن الطفل يجب أن يولد من علاقة شرعية بين الأبوين، ولذلك جاء تحريم الزنى في القرآن تحريمًا قاطعًا منذ بداية الدعوة، ولم يأت تحريمه متدرجًا كما هي الحال في تحريم الخمر والرق، وعن ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: "خلق الله الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته" (٣٠)؛ وزوي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: "تخيروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين" (٣١)، وقال "تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح" (٣٢)، وقال: "انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس" (٣٣)، وقال: "انكحوا الأكفاء واختاروا لنطفكم" (٣٤)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: "تزوجوا في الحُجَرِ الصالح فإن العرق دساس" (٣٥)؛ ومن حكمة الله البالغة أن النبي صلى الله عليه وآله لم يُنجب من بعض زوجاته، ولم يعيش له من الأولاد إلا الزهراء التي ولدتها السيدة خديجة عليها السلام؛ وتطالعنا في سيرة أمير المؤمنين كيفية اختياره أمهات أولاده بعد وفاة الزهراء عليها السلام، ونعرف من خلال قراءتنا التاريخ الإسلامي الإساءات التي ألحقها أولئك الذين لم تطب ولادتهم بالدين وأهل به وبعمامة الناس. ويتجلى ذلك في رد الإمام الحسن عليه السلام على معاوية وعصبته:

عن أبي الفرج الأصفهاني أن معاوية لما بويع بالخلافة خطب فذكر عليًا عليه السلام، فقال منه، ونال من الحسن عليه السلام فقال الحسن وقال: "أيها الذاكر عليًا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخلصنا ذكرًا والأمنًا حسبًا، وشرنا قدمًا، وأقدمنا كفرًا ونفاقًا؛ فقال طوائف من أهل المسجد: آمين (٣٦)... تأمين أهل المجلس معناه أنهم فهموا الدرس، وقارنوا بين المتكلم والمخاطب حسبًا ونسبًا؛ وهذا تذكير لهم بأن العرق دساس كما قال نبيهم؛ وفي الوقت نفسه هو تربية وتعليم لهم حين يُجرون المقارنة بين الحسن عليه السلام وبين معاوية؛ وتطبيق عملي للحديث النبوي عندما يتخيرون الزوجات والأزواج لهم أو لأولادهم.

ومن جملة المثالب التي عيّرها الإمام الحسن عليه السلام عمرو بن العاص في مجلس معاوية، قوله له: "أما أنت يا ابن النابغة فادّعاك خمسة من قريش غلب عليك ألا مهم حسبًا، وأخبثهم منصبًا، ووُلدت على فراشٍ مشترك، ثم قام أبوك فقال أنا شانيء محمد الأبت، فأنزل الله فيه



(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)؛ وكذلك مخاطبته لزياد ابن أبيه بقوله: إلى زياد بن سُمَيَّة^(٣٧).

التربية والتعليم والتعلم عملية مستمرة من المهد إلى اللحد

تبدأ عملية التربية كما ذكرنا قبل مرحلة الولادة؛ والقرآن الكريم يؤكد على قابلية الإنسان للتربية، والقرآن نفسه الذي هو بحد ذاته كتاب تربوي، يبين من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقية والفرائض والأحكام أنَّ لدى البشر قابليات الوعي وتلقي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، فالله عز وجل خلق الإنسان وخلق له القابلية التدريجية للتربية، وما نزول القرآن منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة إلا ليمتكن المؤمنون من الالتزام بتعاليمه تدريجياً؛ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء/ ١٠٦). والله عز وجل قد بعث الأنبياء والرسل والأوصياء لتهذيب البشر وهدايتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال/ ٢٤).

وتأكيداً على ذلك وعلى أنَّ عملية التربية عملية مستمرة وغير مرتبطة بعمر معين قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي سبق به كل النظريات التربوية الحديثة: "يُرَبَّى الصَّبِيُّ سَبْعًا، وَيُؤَدَّبُ سَبْعًا، وَيُسْتَعْمَلُ سَبْعًا" ومنتهى طولِهِ في ثلاثٍ وعشرين سنةً وعقلِهِ في خمسٍ وثلاثين سنةً، وما كان بعد ذلك فبالتجارب^(٣٨).

ومن الدروس الكثيرة التي يتعلم منها الناس على مرَّ العصور قضية عهد الصلح بين الإمام معاوية؛ فإن لم يفهم معاصرو الإمام الحسن (عليه السلام) الأسباب التي دفعته إلى عقد معاهدة الصلح؛ فإنَّ ما دوَّنته الكتب التاريخية والكلامية عن تفاصيل ما جرى قبل إبرام العهد وبعده، من قلة الناصرين، وكذب معاوية، وإغراءاته لضعاف النفوس، وخيانة عبيد الله بن العباس الذي غرَّته وعود معاوية، وأنساه تحيُّل لمعان الذهب كرامته ومشهد ابنه الصغيرين اللذين ذبحهما بسر بن أرطأة في غارته على اليمن، ومشهد زوجته التي جُنَّت بسبب تلك الجريمة، التي هامت على وجهها تندب ولديها في أزقة الكوفة، وغير ذلك ممَّا بات معروفاً، جعلتنا نفهم الدرس التربوي من وراء عقد هذه المعاهدة؛ خوفاً على القلة الشريفة من المناصرين التي لا تبلغ سوى بضع مئات والمصرَّة على مواجهة عشرات الآلاف من جنود الشام، الذين يضمرون



الأحقاد القديمة منذ صفين، ولن يتورعوا عن انتهاك الحرمات، وقتل من تبقى من صحابة النبي الشرفاء [ربما فهم الناس الدرس بعد موقعة الحرة]... ويختصر الأسباب قول الحسن (عليه السلام): "والله ما سلّمت الأمر إلى معاوية، إلّا أنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري، حتى يحكم الله بيني وبينه" (٢٩)؛ وقال للمسيّب بن نجية [أحد أصحابه] حين لأمه لما نقض معاوية عهد الصلح: "يا مسيّب إنّي لو أردتُ بما فعلتُ الدّنيا، لم يكن معاوية بأصبرَ عند اللقاء، ولا أثبتَ عند الحرب، ولكّني أردتُ صلاحكم، وكفّ بعضكم عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه، حتى يستريحَ برٌّ ويُستراحَ من فاجر" (٤٠).

لقد كتب الإمام في معاهدة الصلح جميع القضايا المهمّة التي تختصر مبادئه، أي المبادئ القرآنيّة، وإن كان يعرف أنّ معاوية لن يلتزم بتنفيذ بنود الصلح، ولكنّه أراد أن يُثبّت الحجّة، ويفضح أهداف معاوية فيكشف أمام المعرّرين بهم والمتخاذلين والناكثين، وهذا ما حصل فعلاً؛ أمّا بنود المعاهدة كما أوردتها جميع المصادر فتتخصّر في خمسة بنود:

أولاً: يتسلّم معاوية الحكم شرط أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه؛ وثانياً: تكون الخلافة للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد بها إلى أحد؛ وثالثاً: أن يترك سبّ أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلوة، وأن لا يذكر عليّاً إلا بخير؛ ورابعاً: استثناء ما في بيت مال الكوفة ليكون بإمرة الإمام الحسن، وأن يُفصلَ بني هاشم في العطاء على بني أميّة... وخامساً: الناس آمنون حيث كانوا في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن لا يميّز بين المسلمين تبعاً لأعراقهم وألوانهم، والتغاضي عن هفواتهم، وأن يأمن أصحاب الإمام عليّ أينما كانوا، آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقّب عليهم شيئاً، ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه، وأن لا يبغى للحسن بن عليّ، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت الرسول غائلةً سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق (٤١)... أجمعت مصادر الفريقين على أنّ معاوية كتب بنود المعاهدة كلّها بخطّ يده، وختمها بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكّدة والأيمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام. ومع ذلك داسها تحت قدميه؛ مقدّماً الأنموذج الأرفع في ما سمّاه علماء

السياسة المتأخرون بالميكيا في الحكم، فهو واضح أسسها.

تربوياً يستنتج معاصرو الحدث من المسلمين المؤمنين، وتستنتج الأجيال اللاحقة التي تمعت في تفاصيل المعاهدة أن كل بند من بنودها تطبيقاً لتعاليم القرآن والسنة الصحيحة، لا سيما ما جاء تفصيلاً في خطبة حجة الوداع، التي ذكر فيها النبي ﷺ بالأمور التي كانت متأصلة في العرب قبل إسلامهم؛ ويكشف الحدث التاريخي حرص الإمام الحسن - وكل المعصومين (عليه السلام) - على تطبيق تعاليم الدين قولاً وفعلًا؛ ومخالفة أعدائهم سرًا وعلانية لهذه التعاليم... روي أنه لما استببت الهدنة، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة (قرب الكوفة)، وكان يوم جمعة، فصلّى بالناس ضحى النهار، وخطبهم فقال في خطبته: "إني والله ما أقاتلكم لتصلّوا وتصوموا ولا لتحجّجوا، ولا لتزكّوا: إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأنتم عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون؛ ألا وإني كنت منيئ الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها" (٤٢)... لم يف معاوية بعهد الذي عاهد عليه أمام الله. "وبعهد الله أوفوا"، من الوصايا العشر المجموعة في سورة الأنعام، التي يعادل عدم تطبيقها الشرك بالله... منذ اللحظة التي تولّى فيها معاوية الحكم.

إنه درس تربوي للمسلمين ولغير المسلمين، لمعرفة نوعيّة الحكام الذين أخضعوا الناس وأذلّوهم، منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم؛ وفي هذا السياق، أذكر عبارةً للعلامة الحقوقي المرحوم الدكتور حسن الرفاعي كان يردها باستمرار كتابةً وشفاهةً: "إن العرب تعودوا الخضوع لتسلط الحكام وظلمهم منذ أن حكمهم معاوية..."

وكان الإمام الحسن (عليه السلام) قد استشرف ذلك بقوله حين طلب إليه معاوية أن يخطب بالناس بعد المبايعة، وفي نيته أن يجرجه؛ فقام الحسن (عليه السلام) فخطب ومأ قاله: "أما الخليفة فهو من سار بكتاب الله وسنة نبيه، وليس الخليفة من سار بالجور، ذاك رجل ملك ملكاً تمتع به قليلاً ثم تنخمه. تنقطع الذمة، وتبقى تبعته، وإن أدري لعلها فتنة لكم ومتاع إلى حين" (٤٣). إنها كلمة الحق تُقال في مجالس الظالمين لتكون عبرة للمعتبرين.

دور القدوة في العملية التربوية

العلوم التربوية الحديثة تركّز على دور الأهل أولاً، ودور المربين والمعلمين ثانياً في العملية التربوية؛ وأول عناصرها تنمية الإرادة لدى الأطفال منذ السنين الأولى، والإمام الحسن تربى على تعاليم القرآن في حضن النبي وحضن الزهراء وعلي عليه السلام، هؤلاء معلّموه ومرّبوه وقدوته. إنّ مبدأ الإرادة الحرة فطرة جميع البشر، وهي عطية كريمة من الخالق جلّ وعلا، وسلب هذه الإرادة يؤدّي حتماً إلى مسخ هويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فالله عزّ وجلّ لا يحاسب إلا الإنسان العاقل الحرّ المختار:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف/ ٢٩)، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء/ ٥)، ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء/ ١٥)، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ كَيْسَ بَظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال/ ٥١).

يجب أن يكون الإنسان عاقلاً حرّاً ليميز بين الخير والشرّ، فيختار الأعمال الصالحة الخيرة، ويمتنع عن الشرّ وكلّ ما فيه ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ عليه وعلى الآخرين. ذلك لأنّ الله عادلٌ وعدله مطلق. يثيب من أثاب عن بينة، ويعاقب من عاقب عن بينة.

تربوياً بات أمراً معروفاً أنّ القدوة يجب أن يكون منطلقها البيت أولاً حين يكون الأهل قدوة لأولادهم قولاً وفعلاً، وقد أكّدت الروايات والأحاديث على ضرورة ممارسة العدالة في الأسرة، وتعزيز العلاقة القائمة على المحبة المتبادلة والتعاطف والتراحم بين أفراد العائلة: وقد قال الرسول الأكرم ﷺ "أحسنُ الناسُ إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله، وأنا أطفكم بأهلي" (٤٤)، وقال "اعدلوا بين أولادكم في السرّ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم بالبرّ واللطف" (٤٥)، ورؤي عنه ﷺ: "أنّه نظر إلى رجلٍ له ابنان، فقَبِلَ أحدهما وترك الآخر، فقال النبي: هَلَّا ساويتَ بينهما" (٤٦)؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: "عليك بلزوم الحلال وحسن البرّ بالعِيال، وذكرِ الله في كلّ حال" (٤٧).

يقول التربويون إنَّ الأبوين يجب أن يكونا قدوةً لأبنائهم، وكذلك المعلمون وهذا واجبهم، والتربية يجب أن تركز على تنمية الجسم والروح والعقل، وأي تقصير أو إخلال في تهذيب أحد هذه الأبعاد الثلاثة، سيخلُ حتمًا بتوازن شخصية الإنسان؛ وقد وردت أحاديث ووصايا تتعلق بالتغذية والرعاية وكل ما يسهم في حفظ الجسم وسلامته؛ وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن رسول الله ﷺ قال: "علِّموا أولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل" (٤٨)، وفُرِضت أعمالٌ تهدف إلى تقوية النفس والتغلب على الشهوات، (٤٩)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): "إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرس عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضة تسكينًا لأطرافهم، وتخشيعةً لأبصارهم، وتذليلًا لنفوسهم وتخفيفًا لقلوبهم" (٥٠) فالصوم ليس اجتناب الطعام والشراب فحسب؛ إنَّما هو الابتعاد عن المحرَّمات كافَّةً، ممَّا يدعم الإنسان في مواجهته لنفسه، ويجعله قادرًا على السيطرة على شهواته؛ قال أمير المؤمنين "الصيام اجتنابُ المحارم كما يمتنعُ الرجل عن الطعام والشراب" (٥١).

وقال الرسول الأكرم ﷺ: "معاشرَ الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنَّ الصومَ له وجاء" (٥٢)؛ وعن الرضا (عليه السلام): "... علَّةُ الصوم لعِرفان مسِّ الجوع والعطش، ليكون ذليلاً مستكيناً، محتسباً، صابراً... مع ما فيه له من الانكسار عن الشهوات" (٥٣). وتأكيذاً على أنَّ قواعد السلوك كما يقول علم النفس الحديث من المفترض أن يكتسبها الإنسان تلقائياً من المنزل أي من الأبوين أو من يقوم مقامهما. وصيَّةُ الإمام (عليه السلام): "ومُرِّ الصبيّ فليصدّق بالكسرة والقبضة..." (٥٤)، وهكذا تصبح الصدقة عادةً لديه، قبل أن تكون فريضةً، وكيف لا يكون الإمام الحسن كريماً جواداً وهو ابن الوالدين اللذين تصدَّقا بالخبز الذي كان يجب أن يكون طعام إفطار العائلة... وكيف لا يكون الإمام الحسن ماهو عليه وقدوته القرآن والنبي ﷺ، وعليّ وفاطمة (عليهما السلام).

وتأكيذاً على النهج الذي اختطه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أسلوب التعليم والتربية بسيرتهم وليس بمواعظهم وحدها، ليكونوا قدوةً للآخرين ردُّ الإمام الحسن على الرجل الشاميّ، الذي رآه راكباً فأخذ يلعنه، فلما فرغ، أقبل الحسن (عليه السلام)، فسلمَ عليه وضحك، ثم قال: "أيُّها الشيخ!

أظنك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعتبنا أعتباك، ولو سألتنا أعطيناك... وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت غريباً كسوناك..."، فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم^(٥٥). إن الإمام الحسن (عليه السلام) بسلوكه ومعاملته للناس المواليين والمعارضين والمنتقدين له، كان يعلم شيعته ومحبيه والمصلّين من المسلمين ويربيهم على القيم العظيمة والأخلاق الكريمة وضرورة الحفاظ عليها، أيّاً كانت الظروف، ومهما كانت صعبة وقاسية، وأن الإنسان حتى وإن كان أحد أولياء الله وسبب وشتم يجب أن يحافظ على مكارم أخلاقه، ليبقى قدوة في الترفع عن الصغائر، فتحوّل القيم والأخلاق الكريمة إلى أقوى أداة من أدوات المواجهة وأنجعها على مرّ الزمن...

مراعاة الفروق الفردية

لقد راعت وصايا الأئمة أمراً مهماً في عملية التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويون اليوم، "مراعاة الفوارق الفردية وقدرات المتربّين واستعداداتهم".

في مرحلة الطفولة الأولى أو السنوات السبع بحسب وصيّة أمير المؤمنين (عليه السلام)، يكون الوالدان هما المسؤولان عن تربية الطفل وتوجيهه وتعليمه، يساعدهم الجدان والإخوة الكبار والأقارب والمعلمون، والحسنين (عليه السلام) تربياً على أيدي نبيّ هو معلّم البشريّة، وابنة نبيّ هي أمّ أبيها، ووصيّ وإمام هو المعلم الأوحّد بعد رسول الله . وهذه السنوات السبع الأولى هي التي تحدّد شخصيّة الطفل كبيراً، كما بات معروفاً لدى علماء التربية في العصر الحديث؛ [إذاً لا مجال للمقارنة بين آل البيت وأعدائهم]؛ ومعروفٌ تربوياً أنّ المحبّة الصادقة والحقيقيّة للأطفال وهدايتهم وتوجيههم برفق، من دون تعنيف، ومن دون إجراء مقارنات بينهم وبين غيرهم من الأطفال أمرٌ شديد الأهميّة لتنمية ثقتهم بأنفسهم. في مرحلة الطفولة الثانية (من السابعة حتى الرابعة عشرة) يتوجّب على المربّين (الأهل والمعلمين) الانتباه إلى الجوانب والصفات التي تميّز طفلاً من آخر: وضع البدن وشكله، القبح والجمال والسلامة والاعتلال؛ وكذلك الحالة الذهنيّة والفكريّة: مستوى الذكاء والقدرة على التحليل والاستدلال، وقوّة الحافظة أو النسيان،



وتشتت الحواس، والقدرة على التركيز، ومستوى العلاقة بأقرانه، والإحساس بآلام الآخرين، أو إظهار اللامبالاة... قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوتوا هلكوا" (٥٦). ما من كلام أدل من هذا الكلام على ضرورة مراعاة قدرات الأشخاص والرفق بهم في مسار تعليمهم وإرشادهم وتربيتهم وتعديل سلوكهم.

إنَّ مردّ تفرد شخصية الإنسان يعود إلى عوامل عديدة: جسدية ونفسية وعقلية، فلا ينبغي أن تكون أمور تعليمهم وتربيتهم في مستوى واحد وسرعة واحدة ومقدار واحد، ولدى معلّم واحد، هذا ما تنبّه له المربّون في القرن العشرين...

في هذا السياق يحدثنا القرآن الكريم في سورة الكهف عن قصّة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح أحد أصحاب المعارف والعلوم، والعالم بالأسرار، يطلب موسى (عليه السلام) إليه أن يرافقه ليتعلّم منه، لكنّ العبد الصالح يقول له: إنّه لن يستطيع معه صبراً، فيتعهد له موسى أن يصبر ولا يعصي له أمراً، لكنّه في المواقف المختلفة ينتقد معلّمه؛ لأنّه لم يحتمل الحقائق المخفية والمعقدة واكتفى بظواهرها، ولم ينتظر تأويلها.

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّا - معاشر الأنبياء - أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم" (٥٧) هذا الحديث تأكيد على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطبين العقلي وقدرة كلّ منهم على استيعاب ما يُلقّنه، كبيراً كان أم صغيراً؛ وفي قول الإمام الحسن (عليه السلام) لحجر بن عديّ حين لامه على الصلح: "يا حجر ليس كلّ الناس يحبّ ما تُحبّ، ولا رأيّه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلّا إبقاءً عليك، والله كلّ يومٍ في شأن" (٥٨).

التربية غير المباشرة قبل التأديب المباشر

من أساليب التربية والتعليم بصورة غير مباشرة في القرآن الكريم والسنة مسألة التأديب والهداية بأسلوب القصص لأخذ العبرة:

هنالك طريقتان للتربية والهداية جرّهما المربّون (الأهل والمعلمون): هما التربية المباشرة والتربية غير المباشرة؛ أمّا نظام التربية الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين فهي أسلوب التربية غير المباشرة لأغلب المتعلّمين، وذلك بتوجيه الخطاب إلى غير المخاطب الأصلي.



تندر في القرآن الكريم طريقة التذكير والتنبيه التي تتوجّه مباشرةً إلى فردٍ مخاطَب حيٍّ أو معاصرٍ وتذكر اسمه، والغالب أنّه عند توبيخ بعض الأُمّة أو الثناء عليهم، إمّا أن يسوق خطابه بنحوٍ عام ناظرًا إلى صنفٍ أو طائفةٍ من تلك الجماعة كالمؤمنين والمشرّكين أو المنافقين، ليبقى المخطئ مجهولًا وفي الوقت نفسه يطلّع على خطئه؛ وقد عبّر عن هذا الأسلوب في الأمثال العربيّة بالكلمة المشهورة: "إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة"، وهذا المثل يُضرب لمن يتكلّم بكلام وهو يريد غيره^(٥٩)، وقد ورد الحديث عن هذا الأسلوب غير المباشر في النصّ القرآنيّ في قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): "نزل القرآن بإيّاكَ أعني واسمعي يا جارة"^(٦٠)؛ وفي قول الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام): "... قال المأمون، فأخبرني عن قولِ الله عزّ وجلّ: "عفا الله عنكم لم أذنت لهم؟؟"، قال الرضا (عليه السلام): "هذا ممّا نُزِلَ بإيّاكَ أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه وأراد به أمّته، وكذلك قوله تعالى: "لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين"، وقوله عزّ وجلّ: "ولولا أن ثبّتناك، لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا"^(٦١).

في هذا السياق تأتي أهميّة الأمثال والحكايات والقصص في العمليّة التربويّة للهداية وأخذ العبرة، كما هو الحال في القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم. فالقرآن نفسه يفخر بجماله وكماله بالقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر / ٢١).

تربويًا، سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهميّة التعليم من خلال التمثيل والقصص؛ من ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر / ٢٧). و﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالُونَ﴾ (العنكبوت / ٤٣).

إنّ الله عزّ وجلّ يريد من عباده أن يفكّروا في ما ضرب من أمثال، وأن يعملوا عقولهم ليتذكّروا موروثات فطرتهم، فنظرة عميقة في بعض الأمثال القرآنيّة توضّح هذا المبدأ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (ابراهيم / ٢٤-٢٦).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة / ٢٦١).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكُبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت / ٤١).

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مِّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (طه / ٩٩-١٠٠).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثْ ۚ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف / ١٧٦).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف / ٣).

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف / ١١١).

وفي سورة لقمان نشهد قمة التعاليم والإرشادات القرآنية في مجال تربية الأبناء؛ وقد كان للرسول الأكرم وللأئمة عليهم السلام تمثيلات مبدعة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول الرسول الأكرم عليه السلام: "مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء" ^(٦٢)، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل علم أحسنه" ^(٦٣)؛ ويقول: "خذوا من كل علم أحسنه، فإن النحل يأكل من كل زهر أزيته، فيتولد منه جوهران نفيسان: أحدهما فيه شفاء للناس والآخر يستضاء به" ^(٦٤).



إنَّ التمثيل بالنحل في جمع العسل ورحيق الأزهار وإنتاج الشمع والعسل، يهوّن على المربيّين الطريقَ الشاقَّ في الحصول على أجود الملاحظات العلميّة والتربويّة، والعمليّة أكثر من غيرها.

وفي ردِّ الإمام الحسن على المغيرة بن شعبة لما اجتمع هو عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان في مجلس معاوية، وذكروا عليّاً (عليه السلام) وأعابوه شبّهه بالبعوضة التي تتعرّض للنخلة: "...وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مثلك مثل البعوضة؛ إذ قالت للنخلة استمسكي فإني طائرة عنك، فقالت النخلة: هل علمت بك واقعة عليّ فأعلم بك طائرة عني؛ وإنّ حدّ الله عليك في الزنا ثابت، ولقد درأ عمرُ عنك حقّاً الله هو سائله عنه؛ ولقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل ينظرُ الرَّجلُ إلى المرأة يريد أن يتزوَّجها، فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة، ما لم ينوِ الزنا، لعلمه بأنك زان؛ وأما فخركم علينا بالإمارة فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء/ ١٦). ثمّ قام الحسن (عليه السلام) فنفض ثوبه وانصرف^(٦٥)؛ لقد استخدم الإمام الحسن (عليه السلام) أسلوب التمثيل قولاً، كما استخدمه فعلاً في نفذه ثوبه كمن ينفض البعوض عنه؛ وهذا درسٌ أيضاً ليس للمخاطبين وحدهم وإنّما هو أيضاً درسٌ للمستمعين في حينه، ودرسٌ للأجيال اللاحقة منذ زمنه وإلى آخر الزمان... وقد شهد له معاوية بفصل الخطاب في قوله للمنافقين المجتمعين لديه: "قد أنبأتكم أنّه ممّن لا تُطأق عارضته، ونهيتكم أن تسبّوه، فعصيتُموني، والله ما قام حتى أظلم عليّ البيت، قوموا عني فقد فضحكم الله وأخزاكم..."^(٦٦).

وحكى ابن أبي الحديد في ترجمة الحسن (عليه السلام) أن زياداً لما قدم الكوفة بعد أن استلحقه معاوية بأبي سفيان، طلب سعيد ابن سرح مولى حبيب بن عبد شمس الذي كان من شيعة عليّ (عليه السلام)، وأخافه، فأتى سعيد الحسن بن عليّ (عليه السلام) مستجيّراً به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم وأخذ ماله ونقص داره، فكتب الحسن بن عليّ إلى زياد: أمّا بعد فإنّك عمّدت إلى رجلٍ من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإذا أناك كتابي هذا فابن له داره، واردد عليه عياله وماله، وشفّعني فيه فقد أجرته



والسلام. فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة؛ أمّا بعد فقد أتاني كتابك، تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان، وأنت سوقة تأمرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيتك، كتبت إليّ في فاسق آويته إقامة منك على سوء الرأي، وأيم الله لا تسبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك غير رفيق بك، ولا مرع عليك، فإن أحب لحم إليّ أن أكله للحم الذي أنت منه، فسلمه بجريته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك والسلام^(٦٧):

لهذه القصة بالنسبة إلى موضوع التربية أكثر من دلالة: أولها: عقدة النقص عند الذين لم تطب ولادتهم، متجسدة في زياد بن سمية الذي كان من مريدي أمير المؤمنين (عليه السلام)، لكن عقله طاش، ومات ضميره حين نسبته معاوية إلى أبي سفيان، واشتراه زوراً بهذه النسبة. فتناول ونسب الحسن (عليه السلام) إلى أمه؛ وهذا دليل أيضاً شاخص على ما فعلته الأمة بأهل البيت (عليهم السلام) إذ غصبتهم حقهم ودفعتهم عن مقامهم، ولم ترع فيهم وصية جدّهم (عليه السلام)، وحكمت فيهم الطلقاء والأدعياء وأبناء الأدعياء حتى تجرأ نغل سمية وخاطب الحسن بهذا الخطاب وتكلّم في أمير المؤمنين بهذا الكلام؛ وثانياً: لما ورد كتاب زياد على الحسن (عليه السلام) قرأه وتبسّم، وكتب جواب كتاب زياد كلمتين لا ثالث لهما: "من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية؛ أمّا بعد فإن رسول الله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام" ... هذه المقارنة المختصرة هي أبلغ رد؛ فضلاً عن أن الابتسامة أمام الحضور وأمام رسول زياد الذي سيصفها له حين يحمل إليه الجواب، هي أنجع وسيلة تربوية تختصر بإهمال الرد على من لا يستحقّه.

وقد اعتمد الإمام الحسن (عليه السلام) أسلوب الوعظ المباشر وأسلوب التعليم غير المباشر. من الوعظ المباشر أنه مرّ (عليه السلام) في يومٍ فطرٍ يقوم يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم، فقال: "إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم وفازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من ضاحكٍ لاعبٍ في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله، لو كشف الغطاء

لعلموا أنَّ المحسنَ مشغولٌ بإحسانه، والمسيءَ مشغولٌ بإساءته" ثمَّ مضى وسأله رجلٌ أنَّ يجالسه، فقال: إياكَ أنَّ تمدحني، فأنا أعلمُ بنفسِي منك، أو تُكذِّبني فإنَّه لا رأيَ لمكذوب، أو تغتابَ عندي أحدًا، فقال الرَّجل: ائذنْ لي في الانصراف، قال نعم إذا شئتَ... ومن تعاليمه المباشرة التي تلخَّصُ أغراضَ القصصِ القرآنيِّ قوله: "هلاك المرءِ في ثلاث: الكِبَرُ والحرصُ والحسدُ، فالكِبَرُ هلاكُ الدِّين، وبه لُعِنَ إبليس، والحرصُ عدوُّ النَّفس، وبه خرج آدمُ من الجنَّة، والحسدُ رائدُ السُّوء، ومنه قتلُ هابيلَ قابيل.. وفي مدحِ العقلِ قال: لا أدبَ لمن لا عقلَ له، ولا مروءةَ لمن لا هِمَّةَ له، ولا حياءَ لمن لا دينَ له، ورأسُ العقلِ معاشرَةُ الناسِ بالجميل، وبالعقلِ تدركُ الدَّاران جميعًا"... وعن الإفادة من العلم قال: لا تأتِ رجلًا إلَّا أنْ ترجو نواله، أو تخافَ يده، أو تستفيدَ من علمه، أو ترجو بركةَ دعائه، أو تصلَ رَجْمًا بينك وبينه... وقال (عليه السلام): يا ابنَ آدمَ عَفَّ عن محارمِ الله تكنَ عابدًا، وارضَ بما قَسَمَ الله تكنَ غنيًّا، وأحسنْ جوارَ من جاوركَ تكنَ مسلمًا، وصاحبِ النَّاسَ بمثلٍ ما تُحِبُّ أنْ يُصاحبوكَ به تكنَ عدلًا؛ إنَّه كان بينَ أيديكم أقوامٌ يجمعون كثيرًا، وينون مشيدًا، ويأملون بعيدًا، أصبحَ جمعُهم بورًا، وعملُهم غرورًا، ومساكنهم قبورًا. يا ابنَ آدمَ لم تزل في هدمِ عمركَ منذُ سقطتَ من بطنِ أمِّك، فخذنَّما في يديك، لما بينَ يديك، فإنَّ المؤمنَ يتزوَّد والكافرَ يتمتَّع (٦٨)

ومن ذلك ردُّ الإمام الحسن (عليه السلام) على جنادة بن أبي أمية حين سأله أن يعظه، قال: "استعدَّ لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنَّك تطلب الدنيا والموتَ يطلبُك، ولا تحمل همَّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنَّك لا تكسب من المال شيئًا فوق قوتك إلَّا كنت فيه خازنًا لغيرك، واعلم أنَّ الدنيا في حلالها حسابٌ، وفي حرامها عقابٌ، وفي الشُّبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإنَّ كان حلالًا كنت قد زهدت فيه، وإنَّ كان حرامًا لم يكن فيه وزرٌ، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإنَّ كان العتابُ فالعتابُ يسيرٌ، واعمل لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدًا، وإذا أردتَ عزًّا بلا عشيرة، وهيبةً بلا سلطان،



فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن ضلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلّة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكّته عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملّات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً أثرك" (٦٩).

ومّا ينطبق عليه أسلوب التعليم غير المباشر أيضاً من باب: "إيّاك أعني واسمعي يا جارة" قوله عليه السلام في وصف أخ صالح كان له: "كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان لا يشتكي ولا يسخط، ولا يتبرّم. كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بدّ القائلين. كان إذا جالس العلماء على أن يستمع أحرص منه على أن يقول. كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، كان لا يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرّض له أمران لا يدري أيّهما أقرب إلى ربّه، نظر أقربهما من هواه فخالفه؛ كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله؛ وقيل له فيك عظمّة فقال: بل في عزة الله تعالى: والله العزة ولرسوله والمؤمنين. وسئل عن المروءة فقال: شحّ الرجل على دينه وإصلاحه ماله وقيامه بالحقوق" (٧٠)، فالإمام هنا يريد أن يعلم مريديه بطريقة غير مباشرة أن يعملوا على أن يكونوا مثل هذا الصديق الصالح.

النتائج

قلنا إنّ الأمة التي ربّاهَا النبي ﷺ تربيةً رساليةً، وجدت نفسها بعد انتقاله إلى الباري الأعلى وجهاً لوجه أمام إغراءات الإمرة والسلطة، وهذه محنة وابتلاءٌ عظيمان، فهذه النفوس التي كانت ضعيفةً ولم تتربّ تربيةً كاملةً على تعاليم القرآن أو تفهّم مقاصده، لتفاوتِ الأوقات التي أعلن فيها الناس إسلامهم في حياة النبي، والأعداد الكبيرة التي أسلمت بعد فتح مكّة، قبل أن تفهّم شيئاً من تعاليم الدين، أخذتِ النزعات والأهواء تتفاعل فيها، فبرزت مسألة السقيفة، وحُرّفت قيادة الأمة الرسالية بالشكل الذي نعرفه، وبلغ التحريف مداه في عهد الخليفة الثالث، وكانت نتيجته بعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصول معاوية إلى الحكم .

أمّا الإمام الحسن عليه السلام فالبلاء الذي تعرض له كان سببه زيفُ معاوية، وسُمعته التاريخية المزيفة أيضاً، التي جعلت الجمهور (العوام، أو بحسب تعبير أمير المؤمنين الرّاع) يؤمن بأنّه أحدُ الصحابة مثله مثلُ الإمام علي عليه السلام وأنّ الصّراعَ بينهما إنّما هو صراعٌ بين صحابيين، أو عشرين من قريش، وراج سوق المغالطات ووضع الأحاديث، التي كان معاوية وإعلامه المتمثل بالفقهاء ورواة الحديث - الذين أغدق عليهم الأموال - يروجونها بين الجماهير، فاختلط الأمرُ على الناس ولم يعد باستطاعتهم التمييزُ بين الحقّ والباطل... لم يفهم حتّى أصحاب الحسن عليه السلام أسباب عقد معاهدة الصلح مع معاوية إلّا بعد استلام هذا الطاغية للسلطة متجلبياً بجلباب الإسلام وفرية صُحبة النبي؛ وقوله ما قال بعد نقض معاهدة الصّلح... لكنّ الإمام الحسن عليه السلام، على الرّغم من الظلم المعنوي الذي تعرّض له قبل عقد معاهدة الصلح وبعدها، قد أكمل الدور الرّساليّ الموكّل إليه، وهو تبيين الحقّ من الباطل، وتعليم الناس وتوجيههم بالقول والموقف، وبأسلوب الوعظ المباشر، والوصايا، والأسلوب التربوي غير المباشر، من خلال القصص والتشبيه والتّمثيل والحركة...

المواشم

- ١- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص ٤١٤.
- ٢- الحلي، العدد القويّة، ص ١٧٣.
- ٣- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٩. والعروي الحوزي، تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٨٥.
- ٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٧٠.
- ٥- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٤٨٣.
- ٦- الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٢١٧.
- ٧- الزبيدي، تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٤٣.
- ٨- صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٢٦٦.
- ٩- العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٥٣.
- ١٠- الطوسي، تهذيب الأحكام، ص ٤٥٨.
- ١١- نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، ص ٥٥٧.
- ١٢- الإمام زين العابدين، الصحيفة السجّادية، ص ١٥٢، الدعاء ٢٤.
- ١٣- م.ن، ص ١٥٦، الدعاء ٢٥.
- ١٤- الكراكي، معدن الجواهر، ص ٦٤.
- ١٥- العسكري، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ص ٣٤.
- ١٦- سيف، علم النفس التعلّم والتعليم، ص ٣٧.
- ١٧- الفراهيدي، كتاب العين، ج ٢، ص ١٥٢.
- ١٨- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٨٧٠.
- ١٩- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٧.
- ٢٠- م.ن، ج ١، ص ١٤١.
- ٢١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٥٣٨.
- ٢٢- م.ن، ج ٤، ص ٥٣٢.
- ٢٣- نهج البلاغة، ص ٧٩.
- ٢٤- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ١٢١.
- ٢٥- الشهيد الثاني، منية المريد، ج ١٦، ص ١٥٠.
- ٢٦- الأمين، السيّد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٣، ص ٤٣، نقلاً عن السيوطي في تدريب الراوي.
- ٢٧- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٥١.
- ٢٨- النيسابوري، أسباب النزول، في ذيل تفسير حسنين محمد مخلوف، ص ٤١٥.
- ٢٩- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ص ٥٣٦.
- ٣٠- البرقي، المحاسن، ج ١، ص ١٣٩.

- ٣١- الحميري، قرب الإسناد، ج ١، ص ٢٥٩.
- ٣٢- المتقي الهندي، كنز العمال، ص ٣٠٢.
- ٣٣- القضايعي، شهاب الأخبار، ص ٣٠٩.
- ٣٤- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٣٣٢.
- ٣٥- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ١٩٧.
- ٣٦- الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٣، ص ٢٦؛ نقلاً عن أبي الفرج الإصفهاني؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ٢، ج ٦، ص ١٠١، ومج ٤، ج ١٦، ص ٦ وما بعدها.
- ٣٧- الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٣، ص ٣٨...
- ٣٨- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٤٩٣.
- ٣٩- الأمين، السيد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٣، ص ٢٤، نقلاً عن الطبرسي في الاحتجاج.
- ٤٠- الأمين، م. ن. ج. ن. ص ٢٧ نقلاً عن أبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين.
- ٤١- البلاذري؛ جمل من أنساب الأشراف، ط ١، ج ٣، ص ٤١-٥٠.
- ٤٢- الإربلي، كشف الغمّة، ج ١، ص ٥٤١-٥٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ٤، ص ١٦.
- ٤٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ٤، ص ١٧.
- ٤٤- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٨.
- ٤٥- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٢٢٠.
- ٤٦- م. ن. ص. ن.
- ٤٧- التميمي الأمدي، عزز الحكم، ص ٤٤٦.
- ٤٨- الكليني، م. ن. ج ٦، ص ٤٧.
- ٤٩- الكليني، م. ن. ج ٤، ص ٦٣؛ والحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٠٧.
- ٥٠- نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، ص ٢٤٩.
- ٥١- المجلسي، بحار الأنوار، ص ٢٩٤.
- ٥٢- الحميري، قرب الإسناد، ج ٣، ص ٢٩٠.
- ٥٣- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٧٣.
- ٥٤- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٣٠.
- ٥٥- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٨٤.
- ٥٦- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٨٠.
- ٥٧- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٣.
- ٥٨- الأمين، م. ن. ج. ن. ص ٢٧.
- ٥٩- الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٤٩.
- ٦٠- الكليني، الوافي، ج ٢، ص ٦٣١.

- ٦١-الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٠٢.
- ٦٢-الشهيد الثاني، منية المريد، ص ٢٢٥.
- ٦٣-التميمي الآمدي، غرر الحكم، ص ٩٨.
- ٦٤-م.ن، ص ٣٤٦.
- ٦٥-الأمين، م.ن، ص ٣٩، نقلاً عن سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج ٤، ص ١٦.
- ٦٦-م.ن، ص.ن.
- ٦٧-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧؛ والأمين، السيّد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، ج ٣، ص ٣٤.
- ٦٨-الأمين، في رحاب أئمة أهل البيت، مج ٣، ص ٤٥.
- ٦٩-م.ن. ص ٤٤.
- ٧٠-م.ن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين محدث، قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١هـ.

* البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف، منشورات دار الفكر، بيروت ١٤١٧ هـ.
* التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: سيد مهدي رجائي، قم: دار الكتاب الإسلامية، ١٤١٠ هـ.

* الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ١٤٠٩ هـ.
* الحلي، علي بن يوسف، العُدَّة القوية لدفع المخاوف اليومية، قم: مكتبة المرعشي، ١٤٠٨ هـ.

* الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الأولى، تحقيق: علي هلاي وعلي سيري، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.

* زين العابدين، علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، قم: دار الهادي للنشر، ١٤٣٤ هـ.
* سيف، علي أكبر، روان شناسی پرورشی، روانشناسی یادگیری و آموزش، طهران، آگاه.
* الصالح، صبحي، تحقيق نهج البلاغة، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٤ هـ.
* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: مهدي لاجوردي، طهران، دار جهان للنشر، ١٣٧٨ هـ.

* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، محقق ومصحح: علي أكبر غفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.
* صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت: شركة

* ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.

* ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيرية في الأحاديث الدينية، تحقيق: مجتبى عراقي، قم: دار سيد الشهداء للنشر، ١٤٠٥ هـ.

* ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، قم، ١٤٢١ هـ.

* ابن الصَّبَّاح، المالكي المكي، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريزي، منشورات دار الحديث، قم، ١٤٢٢ هـ.

* ابن فارس، الرازي، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

* ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي. لسان العرب، الطبعة الثالثة، تحقيق: جمال الدين ميردامادي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ.

* الأربلي، الشيخ علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، منشورات بني هاشمي، ط ١، تبريز، ١٤٣٣ هـ.

* الأمين، السيّد محسن، في رحاب أئمة أهل البيت، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

* الأنصاري، مرتضى، مطارح الأنظار، مقرر: أبو القاسم بن محمد بن علي كلانتری نوري، تحقيق: لجنة التحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم: مجمع الفكر الإسلامي، ١٣٣٨ شـ.

- العالمية، ١٤١٤هـ.
- * الطبرسي، حسن بن فضل، مكارم الأخلاق، الطبعة الرابعة، قم: دار الشريف الرضي للنشر، ١٤١٢هـ.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي خرسان، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
- * العاملي، زين الدين بن علي، الشهيد الثاني، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- * العروسي الحويزي، عبد علي، تفسير نور الثقلين، تصحيح: السيد هاشم رسولي المحلاتي، قم: المطبعة العلمية، ١٤١٥هـ.
- * العسكري، حسن بن علي عليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٩هـ.
- * العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طهران: المطبعة العلمية، ١٣٨٠هـ.
- * الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، الطبعة الثانية، تحقيق: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
- * الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة الثانية، قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٤هـ، [١٩٨٢ م].
- * القضاعي، محمد بن سلامة، شهاب الأخيار، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي (المحدث)، طهران: المركز العلمي والثقافي للنشر، ١٣٦١ش.
- * الكراجكي الطرابلسي، محمد بن علي، معدن الجواهر ورياضة الخواطر، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد حسيني، طهران: المكتبة المرتضوية، ١٣٩٤هـ.
- * الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
- * المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.
- * المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.
- * الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة للعتبة الرضوية المقدسة، ١٣٦٦ش/ ١٩٧٧م.
- * النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الأولى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٨هـ.
- * النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.
- * النيسابوري، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، في ذيل كلمات القرآن، للشيخ حسين محمد مخلوف، دمشق، ١٩٩٢م.

الحسن المجتبیٰ عليه السلام بين المدح والذم في كتاب
تأريخ الإسلام للذهبي (ت: ٧٤٧هـ) (دراسة عرض ونقد)



أ.م. محمد جاسم علوان الكصيرات
مديرية تربية بابل

ملخص البحث

عرف الذهبي بعلمه ومكانته بين علماء عصره، فأخذت أنامله تحتضن العناية بالتأليف وكتابة المصنفات الإسلامية، فجاء في ثناها سيرة الشخصيات الإسلامية، فدوّن أحداث ما مرّ بها وما جاء فيها، فكان منها سيرة الإمام الحسن (عليه السلام).

لقد أورد الذهبي روايات ضعيفة عن سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) على الرغم من أنّه عُرف عنه بأنّه يعرض الروايات للنقد الشديد إلاّ أنّه تقبل روايات من غير نقد وتحليل لتضعف من شخصيّة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)؛ إذ لم يخضعها للنقد والتشدد السني لتحمل في طياتها ما يشير إلى المدح وبعضها ما يشير إلى الذمّ بما يتناسب ويتوافق مع توجهاته فتجلّى في ذلك تعصبه لمذهبه.

مما أدّى إلى فقد المنهج المتوازن لدى الذهبي في عرضه للروايات من حيث النقد والإسناد في ترجمته لسيرة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).

الكلمات المفتاحية: الحسن المجتبي (عليه السلام)، المدح والذم، الذهبي.

Abstract

Dr. Al-Dhahabi was known for his knowledge and prominence among the scholars of his time, as his pen embraced the meticulous effort of authorship and the writing of Islamic compilations. Among them was the biography of Islamic figures, documenting events they experienced and the content within them, including the biography of Imam Hassan (peace be upon him).

Al-Dhahabi included weak narrations about the biography of Imam Hassan (peace be upon him), despite his reputation for subjecting narrations to rigorous critique. However, he accepted narrations without thorough critique or analysis, which weakened the character of Imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him). This is because he did not subject these narrations to critical scrutiny, allowing them to carry elements of praise and, at times, blame, in alignment with his inclinations, revealing his sectarian bias. As a result, Al-Dhahabi lost a balanced approach in presenting narrations, both in terms of critique and transmission, in his portrayal of the biography of Imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him).

Keywords: Imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him), praise and blame, Al-Dhahabi.

المقدمة

لا شك أن الكتابة التاريخية في ظل الدولة الإسلامية قد أخذت أطواراً كثيرة ومرت بمراحل متعددة، فهي تمثل العمود الفقري الأساسي لتوثيق التاريخ الإسلامي، منذ صدر الإسلام مروراً بكل العصور، وكان المؤرخ المسلم يزهو ويعتز كثيراً بكتابة تاريخ أمته والأحداث التي مرت بها، ولم يكن هناك حدثاً أهم من سيرة الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

لكن إنطلاقة المؤرخ المسلم في تدوين التاريخ الإسلامي كانت خاضعة للمؤثرات المذهبية والانتماءات الطائفية وتوجهات السلطة الحاكمة مما أسهمت في ضياع بعض الحقائق التاريخية. ولكل ما سبق أردنا إلقاء الضوء على كيفية تناول بعض المصادر الإسلامية الحقائق التاريخية في ظل تلك الظروف والمؤثرات ولا سيما كتاب تاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٧هـ)، الذي أرخ لسير الشخصيات الإسلامية وترجماتهم، ولا سيما الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

• مشكلة البحث

تتركز إشكالية البحث في صيغة السؤال التالي: ما مدى تقبل الذهبي للروايات الضعيفة على علامتها المسيئة لشخص الحسن المجتبي عليه السلام؟ ويتفرع من السؤال الرئيسي أسئلة فرعية عدة منها: ما الدوافع التي تقف وراء الذهبي في تقبل الروايات الضعيفة المسيئة للحسن المجتبي عليه السلام؟ وما الشبهات التي أثارها الذهبي حول مدى عدم انسجام خلق الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، مع خلق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وما مدى توازن المنهج العلمي للذهبي المتبع في عرضه للروايات المسيئة للحسن المجتبي عليه السلام؟

• فرضية البحث

يمكن تحديدها من إشكالية البحث عبر طرح الفرضية التالية:
إن الروايات الواردة في كتاب تاريخ الإسلام حول شخصية الحسن المجتبي عليه السلام هي روايات ضعيفة ومسيئة لسبط النبي صلى الله عليه وآله، وكانت موضع مدح عند الذهبي لغرض تسويقها في إلقاء اللوم على الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل، ورواية أخرى مسيئة للحسن المجتبي عليه السلام من شخص واصل السبط بأنه رجل جفنة (رجل يأكل الثريد)، فكانت محل ذم للحسن المجتبي عليه السلام.

عليه السلام؛ لغرض الانتقاص من شخص الحسن (المجتبى عليه السلام)، وقد تجلّى التعصّب المذهبي لدى الذهبي في التخلي عن المنهج العلمي وتحريّ الحقيقة في البحث عن الروايات الصحيحة، وأن التجنّي والتزيد حل محل ضرورة المثابرة والتدقيق في نقل الروايات في هذا الموضوع.

• منهجية البحث

اعتمد الباحث المنهج التاريخي في الدراسة في تتبّع الروايات والأخبار وعرضها للنقد الخارجي والداخلي.

• هيكلية البحث

تتطلب طبيعة البحث تقسيمه على مبحثين: المبحث الأول الذهبي وسيرته المذهبية وكتابه. أمّا المبحث الثاني فتضمّن: روايات المدح والذم للحسن المجتبى (عليه السلام) عند الذهبي. المبحث الأول الذهبي وسيرته المذهبية وكتابه.

الذهبي هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، نشأ في أسرة علمية متديّنة كان لها الأثر في تبوئه مكانة مرموقة، وشهرة واسعة بين علماء عصره لعد عرف عن الذهبي أنّه محباً للعلم ويتّضح ذلك من خلال رحلاته، وسعيه للسمع من أعيان عصره، بصورة منهجية شاملة اتّصل بثلاثة من شيوخ العصر وترافق معهم، ومنهم ابن تيمية (٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ)، وجمال الدين أبو العباس المعروف بابن الظاهري (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧ م) والموفق النيصبي الشافعي (ت ٦٩٥ / ١٢٩٦ م)^(١).

وقد اتخذ المماليك سياسة متفردة من الأقليات الدينية التي شكّلت جزءاً من المجتمع، وقد اتّبعوا مع الأقلية الشيعية سياسة ذات طابع خاص تميّزت بالطائفية والتطرف؛ إذ تمكّن المماليك من السيطرة على قلاع الإسماعيلية في بلاد الشام^(٢)، وفرض مذهب السنة والجماعة على سكان جبال كسروان الشيعية^(٣)، وقامت حملات عسكرية ضدّ الشيعة في جبال كسروان وطرده سكانها^(٤). ووَزَّعت أراضيها على المماليك، وعبرَ العيني بعد انتهاء حملة ٧٠٥ هـ على أراضي كسروان بقوله: "ورفعت أيدي الرافضة عنها"^(٥).

وتفسيراً لذلك فإنّ العصر الذي عاش فيه الذهبي تميّز بالتعصّب والصراع الطائفي،

وقد أوضح كثير من المؤرخين البعد الطائفي، مثلاً ذكر ابن كثير أن سبب هذه الحملات على الشيعة هو فساد عقائدهم وكفرهم وضلالتهم^(٦)، وأكد عبد الهادي أن سبب الحملات العسكرية على الشيعة كونهم "بغاة رافضة سبابة تعين قتالهم"^(٧).
وتدخل هذه الحروب ضمن الحروب المذهبية الدينية هدفها أن يكون مذهب السكان منسجماً مع مذهب دولة المماليك وهو مذهب السنة والجماعة^(٨).
ولاشك فيه أن عقيدة الذهبي ومذهبه هو مذهب السلف، وانتصر له، وأيده، ومال إليه، وتمسك به، ودعا إلى إلزامه^(٩).

وقد استاء منه كثير من العلماء بسبب تعصبه الطائفي، وانتقاده المفرط للشخصيات التي تنتمي لغير مذهب، نجد أن السبكي الذي كان من تلامذته وأطلق عليه شيخ الجروح والتعديلات، نجده يتهم الذهبي بالخروج عن القاعدة والتعصب المفرط تجاه العلماء والأئمة عندما يقول: والحال في حق شيخنا الذهبي أزيد مما وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه، وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية^(١٠).

وقال أيضاً معرباً عن عدم رضاه عن كتابه تاريخ الإسلام: "وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له، فإنه على جمعه وحسنه مشحون بالتعصب المفرط لا واخذه الله، فلقد أكثر الوقعة في أهل الدين أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من الأئمة الشافعيين والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة، ومدح فزاد في المجسمة، هذا وهو الحافظ المِدْرَه والإمام المَبْجَل"^(١١).

ومن المؤرخين الذين عاصروا الذهبي المؤرخ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، ذكره في مصنفه المعروف (تاريخ ابن الوردي)، ولم يكم راضياً عنه فاتهمه بعدد من التهم، ومنها أدنيته الناس في مصنفاته كالطعن في أعراضهم من دون وجه، هذا ما نلاحظه في مضمون كلامه قائلاً: "الذهبي الدمشقي منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال، محدث كبير ومؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الإسلام وكتاب الموت وما بعده، وغير ذلك... استعجل قبل موته فترجم في

تاريخه الإحياء المشهورين بدمشق وغيرها، واعتمد في ذكر سير الناس على أحداث يجتمعون به، وكان في أنفسهم من الناس أدى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين^(١٢).
عُرف الذهبي بكثرة القراءة والمطالعة للكتب التي أكسبته خبرة واسعة في النقد ومعرفة الرجال، وكان له كثير من المؤلفات التي امتازت بكثرتها وتنوعها؛ لاسيما في مجال التاريخ العام والتراجم، وأشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن عدد تلك المؤلفات بلغ (٢١٤)، وقيل: (٢٥٢) مؤلفاً^(١٣)، وذكرت المصادر التاريخية أسماء العديد من تلك المؤلفات والكتب منها: ما هو في التاريخ العام، مثل كتاب (تاريخ الإسلام) الشهير، وهو من الكتب المهمة للذهبي، تحدث فيه عن تاريخ الإسلام ابتداءً من عصر النبوة وانتهى إلى سنة سبع مائة، وضم تراجم العديد من الشخصيات فضلاً عن الحوادث التاريخية^(١٤). وهو أكبر كتب الإمام الذهبي وأشهرها، تناول فيه تاريخ الإسلام من الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، وهي مرحلة مدتها سبعة قرون، ووضع خطة كاملة للكتاب قسمه بموجبها إلى وحدات زمنية أمدها عشر سنوات أطلق عليها لفظ الطبقة، وبدأ حديثه عن كل طبقة بذكر حوادث كل سنة من سنواتها، ثم ينتقل إلى التراجم؛ إذ كان تركيزه عليها جلياً^(١٥).

المبحث الثاني: روايات المدح والذم للحسن المجتبى (عليه السلام)

عُرف الذهبي بتعصبه لمذهب السلف؛ إذ كان ابن تيمية أحد أساتذته وكان للبيئة التي نشأ فيها الذهبي وتعليمه الذي تلقاه له أثره في كتاباته، وظهر ذلك من خلال عدم إنصافه للبيت العلوي في كتاباته التاريخية فنجد مثلاً على الرغم مما ذكره الذهبي من دلائل على حقيقة إيمان أبي طالب (عليه السلام)، ومساندة للنبي (صلى الله عليه وآله) في دعوته إلا أن الذهبي^(١٦) كان يميل إلى عدم إسلام أبي طالب، وقد أورد شواهد تاريخية عدة لستدل بها على عدم إيمان أبي طالب.
وكذلك فإن الذهبي يعدُّ من نصب العداء للإمام علي (عليه السلام) مؤرخ وراوي ثقة، مثلاً قد عرف عن ثور بن يزيد بغضه للإمام علي (عليه السلام)^(١٧)، وعلى الرغم من ذلك فإن الذهبي عدّه ثقة، وذكر أنه ما رأيت شامياً أوثق منه، ووصفه بأنه صدوق حافظ^(١٨).

ولم نجد تفسيراً لآراء الذهبي سوى تعصبه ضد من خالفه بالمذهب، فنجدد يهاجم الشيخ

المفيد بشراسة قائلاً: "كا رأس الرافضة وعالمهم، صَنَّفَ كُتُبًا في ضلالات الرافضة، وفي الطعن على السلف، وهلك به خلق حتَّى أهلكه الله في رمضان، وأراح المسلمين منه" (١٩) ويبدو بوضوح أنَّ استخدام الذهبي الألفاظ النقدية الجارحة ضد رجالات الشيعة تدلُّ على تعصُّبه، وهذا منهجه في الألفاظ والمفردات أمثال كان شيعياً بغيضاً، خبيث اللسان رافضي، رافضي كذاب، خنزير (٢٠).

ويُتَّضح أنَّ الذهبي يخرج على المنهج الذي يجب عليه أن يلتزم به، وينتصر لمذهبه على حساب المادة التاريخية.

إنَّ هذا التوجُّه عند الذهبي يشير إلى محاولة التقليل من شأن البيت العلوي؛ ولذلك فقد أورد روايات مادحة للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إلَّا أنَّ محلها محلَّ الذمِّ والقدح، وليس محل المدح أو ما يتناسب مع سبط النبي (صلى الله عليه وآله)، وأورد روايات ذمَّة للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) متجاهلاً سندها يستعجل بها على علائها من غير تحقيق أو نقد.

ولأجل تسهيل الخوض في هذين الأمرين سيكون البحث في روايات الذم والمدح، وبحسب الآتي:

المحور الأوَّل: روايات الذم

• الرواية الاولى

تسمية الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) باسم آخر هو (حرب)؛ لأنَّ والده الإمام علي (عليه السلام) أطلق عليه هذه التسمية.

ولكن هذه الرواية ضعيفة السند، وقد جاء بهذه الرواية؛ لأنَّ هناك رواية أخرى تذكر بأنَّ الإمام علي (عليه السلام) أطلق هذا الاسم (حرب) على الإمام الحسين (عليه السلام) بعدما امتنع النبي (صلى الله عليه وآله) أن يسمِّي الإمام الحسن (عليه السلام) بهذا الاسم.

فقال الذهبي (٢١): قال أبو إسحاق السبيعي، عن هانئ بن هانئ، عن علي لما ولد الحسن، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أروني ابني ما سميتموه؟

قلت: حرباً. قال: بل هو حسن وذكر الحديث، وفيه: فقال (عليه السلام): إنَّما سميتهم بأسماء ولد

هارون شبر وشبير ومشبر. قلت: كان قد ولدت فاطمة بعدهما ولدًا فسماه محسنًا.

لقد وردت الرواية عن هانئ بن هانئ، عن علي (عليه السلام) قال: لما ولد الحسن سميته حربًا، فجاءنا النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: سميناه حربًا، قال: بل هو حسن. قال: فلمّا ولد الحسين سميته حربًا فجاءنا النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حربًا. قال: بل هو حسين قال: فلمّا ولد الثالث سميته حربًا فجاءنا النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا سميناه حربًا. قال: بل هو محسن، ثم قال: إنّما سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر (٢٢).

مناقشة سند الرواية

تعدُّ سلسلة الرجال للرواية درعًا حصينًا وهم سورها المنيع، ومن خلالها تحدد قبول الرواية أو عدمه، وهذه الرواية فيها إشكال، ولا يمكن اعتمادها من خلال كتب أهل السنة والجماعة؛ لضعف رواها هانئ بن هانئ، وقد ضعفه الذهبي، وقال: هانئ بن هانئ عن علي (عليه السلام) ليس بالمعروف ... مجهول (٢٣)، وردّ الألباني على الذهبي بقوله: "وسكت الذهبي هنا.... وهناك وافقه على التصحيح، وهذا منه عجيب!! فإنّ هانئًا هذا لم يرو عنه غير أبي إسحاق وحده، ولازمه أنّه مجهول، وهذا ما صرح به الإمام ابن المديني، كما صرح بذلك الذهبي نفسه (٢٤)، وعلى الرغم من أنّ الذهبي عدّ هانئ بن هانئ غير معروف ومجهول فإنّه لم يعرض روايته في تسمية الحسن بحربًا للنقد أو مناقشتها؛ بل تقبلها على علاقتها وتأسيسًا على ذلك، فالتعصب لدى الذهبي في الإساءة إلى أسرة الحسن المجتبي (عليه السلام) جليًا.

وقد وضع السيّد العاملي هذه الرواية في دائرة الشك؛ لأنّهم أرادوا أن تحقق لهم هذه الرواية ما يلي (٢٥):

- ١ - إثارة الشبهة حول مدى انسجام خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع خلق علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ إذ أظهرت إصرار علي (عليه السلام) في مرات ثلاث على أن يسمّي مولوده حربًا، وإصرار الرسول على خلافه.
- ٢ - الإيحاء بأنّه (عليه السلام) كان يعيش في عمق وجدانه هاجس الحرب والقتال؛ لتكون نتيجة ذلك بصورة ظاهرها العفوية أنّه يحبّ ويشتهي - ربما إلى حدّ الشره - ممارسة قتل الناس، وإزهاق أرواحهم.

مَّا يعني: أنَّ حروبه في عهد رسول الله ﷺ وبعده لم تكن بدوافع دينية، ومن منطلق الإحساس بالتكليف الشرعي الإلهي، ولا كانت القضية قضية تضحية وفداء، وبذل وعطاء في سبيل الله تعالى بقدر ما هي خلق وسجية ودموية لا مبرر لها، وبذلك يصبح حقد الناس عليه، ونفورهم منه مبررًا إلى حدٍّ كبير^(٢٦).

إنَّ هذه الرواية تسعى إلى حلِّ مشكلة هامة يعيشها الفريق المناوئ لعلي عليه السلام، وهي: أنَّ وجود محسن بن علي بن أبي طالب في جملة أولاد الزهراء عليها السلام كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، فليس من السهل تجاهله أو إنكاره.

فأراد هؤلاء أن يتخلَّصوا من تبعات هذه القضية بصورة ذكية، تحمل في طياتها إنكارًا مبطنًا، وإبطالًا لمقولات إسقاط الجنين، بادِّعاء أنَّ محسنًا قد ولد ومات في حياة رسول الله ﷺ بدليل: أنَّ رسول الله ﷺ هو الذي سمَّاه محسنًا^(٢٧).

فيكون هؤلاء قد جمعوا بزعمهم بين كون المحسن هو ابن علي والزهراء عليها السلام، وتسمية النبي ﷺ له، وحفظ ماء وجه الخلفاء، بإبعاده عن ساحة الصراع، وادِّعاء أنَّه ولد ومات في حياة رسول الله ﷺ^(٢٨). وقد تلقَّف المهتمون بتبرئة الخلفاء هذه الرواية، وأخذوا مضمونها، وأرسلوه إرسال المسلمات؛ ولكنهم غفلوا عمَّا يلي:

١ - إنَّ الروايات تؤكد على أنَّ عليًّا عليه السلام لا يمكن أن يقدم على تسمية ولده قبل تسمية رسول الله له، وقد سبق أن سأله ﷺ حين ولادة الإمام الحسن، إن كان قد سمَّاه، فقال له عليه السلام: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال عليه السلام: ما كنت لأسبق ربِّي باسمه^(٢٩). فإنَّها هي المتوافقة مع خلق علي عليه السلام في تعامله مع النبي ﷺ؛ إذ كان يتبعه اتباع الفصيل أثر أمِّه، فكان يرفع له كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمره باتباعه. فلماذا يخلُّ علي عليه السلام بهذه القاعدة؟!

وما الذي دعاه إلى تغيير رأيه في هذا الأمر، هل لأنَّه لم يعد لرسول الله قيمة عنده، حتَّى صار يسبقه بتسمية أبنائه؟!

٢ - إذا كان الله تعالى قد أخبر رسوله ﷺ بأنَّ عليًّا مثل هارون، فعليه أن يسمِّي ولده باسم

ولد هارون، فقد كان عليه أن يسأل رسول الله ﷺ عند ولادة كل طفل عن أسماء ولد هارون ليسمي ولده باسمه .

إلا إذا فرضنا: أن ما يخبر الله تعالى بوقوعه لا يفترض أن يقع على وفق ما أخبر به . وهذا - والعياذ بالله كفر - لا يمكن أن يصدر عن أهل الإيمان.

بل لو سلمنا: أنه ﷺ قد سمى ولده حرباً في أول الأمر، فجاء الرسول فغير اسمه، فإن المفروض هو أن يتوقف علي ﷺ عن تسمية ولده في المرة الثانية حتى يراجع رسول الله ﷺ. ولنفترض: أنه تسامح في ذلك، واعتبر أن الأمر لم يكن يفرض التوقف عنده، فإن تغيير الاسم في المرة الثانية لا بد أن يكون حاسماً في منع علي ﷺ من الإقدام على تسمية مولوده الثالث، قبل معرفة موقف رسول الله ﷺ منه^(٣٠).

فقد ذكر الذهبي أيضاً الرواية بطريق آخر ما نصّه "وروى الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي ﷺ: كنت أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً، فسأه رسول الله ﷺ الحسن، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً فسأه الحسين، وقال: سميت ابني هذين باسم ابني هارون شبر وشبير. رواه يحيى بن عيسى التميمي عن الأعمش، وهو من رجال مسلم، لكنّه منقطع"^(٣١).

ونستنج مما تقدم أن الرواية الأولى كانت ضعيفة لضعف رجالها، كما بينا ذلك آنفاً، وأن الرواية الثانية ضعيفة كذلك؛ لأن الذهبي ضعفها لضعف يحيى بن إسماعيل، وعلى هذا الأساس لا صحّة من أن الإمام علي ﷺ أطلق على الإمام الحسين ﷺ اسم (حرب).

• الرواية الثانية

أخرج الذهبي رواية مفادها أن الإمام علي ﷺ يصف الإمام الحسن ﷺ فيها بأنّه صاحب جفنة^(٣٢) وخوان فتى من فتیان قريش، لو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب شيئاً، ومدح الإمام الحسين ﷺ فيها فقال الذهبي: وقال أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي إدريس، عن المسيب بن نجبة قال: سمعت علياً يقول: ألا أحدثكم عنّي وعن أهل بيتي؛ أمّا عبد الله بن جعفر فصاحب لهو، وأمّا الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى

من فتيان قريش، لو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب شيئاً، وأمّا أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا. ويروى أنّ الحسن كان يقول للحسين: أي أخي، والله لوددت أنّ لي بعض شدة قلبك، فيقول الحسين: وأنا والله وددت أنّ لي بعض بسطة لسانك^(٣٣).

ويبدو أنّ الذهبي أراد من هذه الرواية أن يثير إشكالية مفادها العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأبيه كانت غير جيدة أو على أحسن ما يرام.

ومناقشة سند الرواية التي اعتمد عليها الذهبي: فإنّ حبيب بن أبي ثابت كان من المدلسين فقال ابن حبان "حبيب بن أبي ثابت مولى بنى أسد أبو يحيى واسم أبي ثابت قيس بن دينار، مات سنة تسع عشرة ومائة، وكان من خيار الكوفيين ومتقنيهم على تدليس فيه"^(٣٤). وفي معرض الرد على هذا الكلام نقول: على النقيض تماماً فإنّ العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كانت على أحسن ما يرام ولم تكن علاقة والد وولد؛ بل كانت علاقة معلم وتلميذ، وهذا واضح تماماً من خلال الوصية الخالدة التي تركها لولده الحسن عليه السلام بعد منصرفه من صفين.

وكان الإمام علي عليه السلام يتعامل مع ولده الإمام الحسن عليه السلام كوزير له، وتشهد له ذلك وقائع عصر خلافته، فهو الذي حرّض أهل الكوفة لقتال أصحاب الجمل، واستطاع أن يجمع لأبيه تسعة آلاف شخص^(٣٥)، وكان حاضراً في حرب صفين وقد بذل فيه أقصى درجات التفاني في الدفاع عن الحقّ المتمثّل في أبيه عليه السلام حتى منعه وأخيه الحسين عليه السلام من الحرب^(٣٦)، وكان كلما يتعذر في الخروج إلى الصلاة يستخلف ولده الحسن عليه السلام لذلك^(٣٧)، كما كان يوكل بعض مهام القضاء له أيضاً^(٣٨).

بعد التمهيد في الرواية أعلاه نجد فيها الدس متمثّل في الإساءة إلى الإمام الحسن عليه السلام وذمه. وفي الحقيقة أنّ هذه التأويلات ضعيفة؛ إذ حاشا الإمام علي أن يذمّ الإمام الحسن عليه السلام، وهو من سمع قول النبي فيه (الحسن والحسين ريجانتي)، أمّا قوله صاحب جفنة فإنّ الحسن عليه السلام جسد زهده في الطعام من خلال الآية التي نزلت بهم عليه السلام، ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣٩)، وهم صيام يتضوّعون من الجوع ويؤثرون والأسير المسكين واليتيم^(٤٠).

تضمّن تاريخ الإسلام معطيات كثيرة تُبيّن مواقف الذهبي وتعصبه ضد الشيعة، فقد حرص على إظهار المذهب الشيعي في صورة الانحراف في العقائد والسلوك والفكر، فهو من أكثر المؤرخين استنكاراً للعقائد الشيعية، وفي تاريخه كثير من الأمثلة التي تشير إلى ذلك مثلاً ترجم لكثير من أعلام الشيعة فيقول فيهم كثير العبادة وصدوق، ولكنّه شيعي أو أنّه صادق في الحديث؛ ولكنّه من غلاة الرافضة^(٤١).

المحور الثاني: رواية المدح

الرواية الأولى:

لقد ذكر الذهبي روايات فيها مناقب ومدح للحسن المجتبى ﷺ إلا أنّها تحمل في جانب آخر معاني القدح والذم لا تتناسب مع مقام سيّد شباب أهل الجنة؛ إذ قال: ومناقب الحسن ﷺ كثيرة، وكان سيّداً حليماً ذا سكينة ووقار وحشمة، كان يكره الفتن والسيوف، وكان جواداً ممدوحاً، تزوج سبعين امرأة ويطلقهنّ، وقلّما كان يفارقه أربع ضرائر^(٤٢).

٧٥

ويُتّضح من خلال هذه الرواية أنّ الذهبي أثنى على الحسن المجتبى ﷺ في مستهلّ الرواية وذمّه في خاتمة الرواية؛ إذ وصفه بأنّه رجل دعة وملذّات. ولا سيّما أنّ الذهبي لم يخضع هذه الرواية للنقد والتحليل أو التوسعة في الوقوف على صحّتها، وكذلك زاید عليها برواية أخرى؛ إذ ذكر عن جعفر الصادق ﷺ قال: قال عليّ: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنّه رجل مطلق، فقال رجل: والله لنزوجه، فما رضي أمسك، وما كرهه طلق^(٤٣). أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن الحسين، قال: كان الحسن بن علي مطلقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه^(٤٤).

قال الذهبي في عليّ بن عمر الدمشقي، عن أبيه، وعنه بقية، لا يدرى من هو^{(٤٥)؟} أنّ سند جميع تلك الروايات ضعيف لوجود كذابين ووضاعين مثل محمد بن عمر الواقدي^(٤٦)، والمدائني^(٤٧)، وأبو القاسم علي بن إبراهيم^(٤٨)، وغيرهم^(٤٩).

ومن ناحية المتن ففي مثل تلك الروايات إشكالات عديدة وأنّها متناقضة، فمنها أن أسماء أزواج الإمام ﷺ وأنسابهنّ اللواتي قام بطلاقهنّ غير معلوم، وفيها دلالة واضحة على أن هذا

الاثِّام قد أطلق جزافاً، فأبو الحسن المدائني التي أطلقت عليه المصادر لقب النسابة العالم^(٥٠)، نسب للإمام الحسن عليه السلام سبعين زوجة^(٥١)، وسمَّى أحد عشر منهنَّ فقط^(٥٢)، أضف إلى ذلك الخلاف العجيب والشاسع بين تعداد أزواجه عليه السلام أيضاً دليل على اختلاف مثل هكذا روايات، فقد عدت زوجاته من الحرائر وأمّهات الأولاد من سبعين^(٥٣) زوجة إلى ثلاثمائة^(٥٤)، وذريته عليه السلام قد سجلها المؤرخون ما بين سبعة^(٥٥) وخمسة وعشرون^(٥٦)، وهو رقم طبيعي غير دال على كثرة زوجاته أبداً، وإذا كان الإمام الحسن السبط عليه السلام مطلقاً فلم لم يطلق عدوّة اللدودة، التي أودت بحياته وهي جعدة بنت الأشعث، وكان عليه السلام صابراً محتسباً يتحمّل أذاها، وهي التي قامت باغتياله مرات عدّة^(٥٧)، فأين صفة المطلق من الإمام الحسن عليه السلام؟ وهل كانت هذه الزيجات المريبة لو صحّت يغفل عنها عدوّه اللدود معاوية فيتخذها مغنماً للتشهير بالإمام عليه السلام^(٥٨).

فهذه الروايات ضعيفة من ناحية السند، أما من ناحية المضمون والمتن فهذه الروايات مخالفة لسيرة أهل البيت عليه السلام؛ لأنَّهم كانوا مثال رحمة الله في الأرض حتّى مع أعدائهم، فكيف بزوجاتهم وكيف يخالفوا حدود الله وسنة رسوله ﷺ في التعدد الزوجات والإفراط في الجوارى، ففيها إيذاء للنفس البشريّة فضلاً عن مخالفة السنن، فهم عدل القرآن وخلفاء الرحمن وأوصياء رسول الله ﷺ فقد كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد حافظ على عرضه وزوجاته حتّى أنّه لم يطلق من تحمّل الأذى منها، وهي جعدة بنت الأشعث.

• الرواية الثانية

لقد ذكر الذهبيُّ رواية أراد من ذكرها عرض صورة عن الصلح الذي جرى بين الحسن المجتبى عليه السلام ومعاوية؛ الغرض منها تعزيز موقف معاوية وإظهار الحسن المجتبى عليه السلام أنّه ليس برجل حرب إنّما رجل ملذات، ويقبل بحفنة من المال مقابل تنازله عن الخلافة إلّا أنّ هذه الصورة بعيدة كلّ البعد عن قيم وأخلاق الحسن المجتبى عليه السلام؛ إذ ذكر الذهبيُّ رواية عن عبد الله بن بريدة: قدم الحسن فاجتمع بمعاوية بعد ما أسلم إليه الخلافة، فقال معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك، ولا أجيز بها أحداً بعدك، فأعطاه أربعمائة ألف، ثمّ إنّ الحسن عليه السلام رجع بآل بيته من الكوفة ونزل المدينة^(٥٩).

وفي الحقيقة أن الذهبي أراد إقناع الناس بفكرة مفادها أن الحسن عليه السلام منح الشرعية لمعاوية في الحكم من خلال التنازل الذي صورته الذهبي، كما أن الجائزة المالية التي حصل عليها الحسن عليه السلام هي تمييزاً لموقفه السياسي في جمع المسلمين على خليفة واحد، ويبدو أن الذهبي أراد أن يشيع بين ثنائه كتاباته أن الحسن عليه السلام باع منصب الخلافة بحفنة من المال وطمعاً به، وكذلك يعطي إشارة إلى أن من صفات الحسن عليه السلام هي التبذير ليرهن عن كثرة تبذيره للمال على ملذاته من خلال رواية أنه مزواج ومطلق .

إلا أن في الحقيقة أن الإمام الحسن عليه السلام قد أدرج بعض البنود المالية في وثيقة الهدنة مع معاوية، وهذا نابع من معرفة الإمام بأن الحاكم الإسلامي لا بد أن يدير إقتصاد الأمة فشرط على معاوية تعويض عوائل شهداء حرب صفين، والجمل بمبلغ مليون درهم^(٦٠)، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، ويستثني بيت مال الكوفة فهو تحت تصرفه، وأن يعطي أخيه الحسين عليه السلام كل عام مليوني درهم، ويجعل له خراج دارابجرد في ولاية فارس، وألا يمنع أحداً من شيعة علي عليه السلام عطائه^(٦١)، ولكي يكشف للأجيال القادمة أن الإمام الحسن عليه السلام كان حريصاً شديد الحرص على إقتصاد شيعته.

إن هذه الرواية ومضامينها في الواقع خرافة فليس لها نصيب من الصحة، هي محل مدح عند الذهبي إلا أنها في الحقيقة هي رواية قدح بسط النبي ﷺ. في أداة للتعبير عن حالة القدح، والإساءة للبيت العلوي، ولا سيما الإمام الحسن عليه السلام، وهذا ما يتلاءم مع توجهات الذهبي وتعصبه لمذهب السلف.

• الاستنتاجات

بعد أن استعرضنا مكانة الذهبي، من خلال توضيح منزلته بين العلماء إبان عصره، ثم بادرنّا إلى استعراض رواياته بحق الحسن المجتبى عليه السلام من حيث المدح والذم تمّ التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات من أهمّها:

١- على الرغم من أن الذهبي رجل دين ومؤرخ مشهور في عصره، إلا أننا من خلال الاطلاع على مروياته لاحظنا تعصبه لمذهبه بخلاف أغلب المؤرخين الذين سبقوه في الكتابة



التاريخية؛ إذ يتنصر لمذهبه على حساب الحقائق التاريخية.

٢- إنَّ الذهبي أورد روايات تتضمن المدح والذم للحسن المجتبى عليه السلام ضعيفة السند والمتن، على الرغم من أنَّه أشار إلى ضعف أسانيدھا إلاَّ أنَّه لم يعطها اهتمام من حيث النقد والقبول والرفض، أو الوقوف عليها في التحليل الموسع ويتَّضح أنَّ هناك دوافع مذهبية وتعصبية تدفعه إلى ذلك، وقد تعرض إلى نقد شديد من قبل تلاميذه نتيجة الإفراط في التعصب.

٣- إنَّ أهمَّ الروايات المدح التي أشار إليها الذهبي هي تنازل الحسن المجتبى عليه السلام عن السلطة لمعاوية؛ إذ صوِّر هذا التنازل مقابل حفنة من المال؛ فضلاً عن التماس مبرر شرعي لحكم معاوية إلاَّ أنَّ في حقيقة الأمر هذه الرواية في محلِّ ذمٍّ للإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

٤- أمَّا رواية الذم فقد أشار الذهبيُّ إلى أنَّ الإمام الحسن المجتبى صاحب حفنة؛ أي رجل يميل إلى الدعة والراحة بعيد عن تحمُّل المسؤولية، وفي الحقيقة أنَّ الحسن المجتبى عليه السلام خلاف ذلك.

٥- لقد أورد الذهبي رواية الذمَّ بأنَّ الحسن المجتبى عليه السلام مزواج مطلق، مفرط في الملذَّات، وأنَّ أبيه الإمام علي عليه السلام قد حدَّر الناس أن يزوَّجوه، وعلى الرغم من أنَّ هذه الروايات ضعيفة السند عند الذهبي؛ ولكن قبلها على علَّاتها بسبب تعصبه لمذهب السلف المعادي للبيت العلوي.

٦- ذكر الذهبيُّ أيضاً رواية إصرار الإمام علي عليه السلام على تسمية الحسن عليه السلام، وكذلك الحسين والمحسن عليه السلام باسم حرب، وقد ساقها الذهبيُّ من غير تمحيص وتدقيق على الرغم من ضعف سندھا ومتنها، وذلك بدوافع مذهبية كمحاولة لرسم صورة ذهنية لدى القارئ أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يميل إلى الحروب، وإلقاء اللوم على الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل.



الهوامش

- ١- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: حمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ج ٩، ص ١٠١؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ج ٣، ص ٢٤٣.
- ٢- ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٠٩.
- ٣- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٣٢٣.
- ٤- الدويهي، مار اسطفان، (ت ١٧٠٤م) تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق: رشيد الخوري، ط ١، دار ومكتبة بيلون، د.ت، ص ٩٩ — ١٠٠.
- ٥- العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٢٨.
- ٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط ٣، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠١٣، ج ١٤، ص ١٢.
- ٧- بن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤هـ)، العقود الدرية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ص ١٦٩.
- ٨- حمادة، سعدون، تاريخ الشيعة في لبنان، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ج ١، ص ٣٤.
- ٩- الشيخ، عبد الستار، الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام، دار القلم، ١٩٩٤، ص ٢٩٠.
- ١٠- السبكي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٣.
- ١١- م.ن. ص ٢٢.
- ١٢- ابن الوردي، زين الدين الكندي (ت ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٣٣٧.
- ١٣- معروف، بشار عواد، الذهبي ومنهجه، تحقيق: جعفر خصباك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، جامعة بغداد، ١٩٧٦ ص ٢٧٦.
- ١٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٤٣.
- ١٥- سالم، بن سعيد، في العلوم السيكلوجية، منهاج البحث، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٢٠، ص ٩٠-٩١.
- ١٦- الذهبي، تاريخ، ج ١، ص ٢٣٠.
- ١٧- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي بن محمد عمر،

- القاهرة، ٢٠٠١، ج ٧، ص ٣٢٤.
- ١٨- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج ١، ص ١٧٥.
- ١٩- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٤٩، ص ٢٢٧.
- ٢٠- للأمثلة ينظر: الذهبي، تاريخ، ج ٤، ص ٩٢٣، ج ٧، ص ٧٨، ج ٩، ص ٥٤٩، ج ١٥، ص ١٣٣.
- ٢١- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٧.
- ٢٢- م.ن. ج ٥، ص ٩٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت، ج ١٢، ص ١٦.
- ٢٣- الذهبي، شمس الدين، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر د. م. د. ت، ج ٢، ص ٧٠٧.
- ٢٤- الألباني، محمد ناصر الدين الحاج نوح، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية ١٩٩٢، ج ٨، ص ١٨٢-١٨٣.
- ٢٥- العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ط ١، مطبعة دفتر تبليغات إسلامي، قم، ١٤٣٠ هـ، ج ٣، ص ٨٨.
- ٢٦- العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ط ٢، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات، ج ٣، ص ٩٠.
- ٢٧- العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ج ٣، ص ٩٠.
- ٢٨- م.ن.
- ٢٩- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٣٦٧؛ الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، الجواهر السنية، المكتبة العلمية، بغداد، ١٩٦٤، ص ٢٣٨؛ الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: أحمد المحوزي، ج ١، ص ٢٩.
- ٣٠- العاملي، الصحيح من سيرة علي، ج ٣، ص ٩٢.
- ٣١- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٧.
- ٣٢- من الفخار يوضع بها الطعام في الريف، والغالب يثرد فيها، وقد أوشكت أن تزول. وهي عند بدو مصر كالقصعة من الفخار يعجنون فيها. ينظر: تيمور، أحمد إسماعيل محمد، معجم تيمور الكبير في الألفا: العامية، تح: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ٢، مصر ٢٠٠٢، ج ٣، ص ٢٠٠٠.
- ٣٣- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٧.
- ٣٤- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤ هـ)، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩١، ص ١٧٤.
- ٣٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ج ٤، ص ٤٩٩.
- ٣٦- دونالدسن، دوايت، عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م.، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت ١٩٩٠، ص ٨٩.
- ٣٧- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن عبد الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ /

- ٣٢٥٨ م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ١٩٦٢، ج ٢١، ص ٢٤٤.
- ٣٨- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ١٢٣ هـ)، الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، طهران ١٩٩٦، ج ٧، ص ٢٩١.
- ٣٩- سورة الانسان، اية ٨.
- ٤٠- ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٩، ص ٢٥٠.
- ٤١- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٩٩١.
- ٤٢- م. ن. ج ٤، ص ٣٦.
- ٤٣- م. ن. ص ٣٧.
- ٤٤- ابن سعد، الطبقات، ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، ص ٦٩.
- ٤٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣، ج ٣، ص ١٤٨.
- ٤٦- محمد بن عمر الواقدي السهمي الأسلمي المدني (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢١ م) أبو عبد الله من أقدم المؤرخين في الإسلام، ولد بالمدينة وانتقل إلى العراق في أيام الرشيد، وأتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطايه وقربه من الخليفة، فولى القضاء ببغداد واستمر إلى أن توفي فيها، من أشهر كتبه: المغازي النبوية، ضعفة أهل الحديث ورموه بالكذب تارة وبالوضع تارة أخرى وحكموا بعدم حجّية رواياته المسندة؛ فضلاً عن التي يرسلها أو يحدثها عن نفسه بلا إسناد. للمزيد من التفاصيل عن آراء المحدثين حول الواقدي ينظر: البلداوي: القول الحسن، ص ٦١-٦٤.
- ٤٧- علي بن عبد الله، أبو الحسن المدائني (ت ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) مولى عبد الرحمن بن سمرة: راوية مؤرخ كثير التصانيف من أهل البصرة سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. من المتهمين بالكذب في الحديث وذكر أن مسلم في صحيحة قد امتنع من الرواية عنه، وأن ابن عدي قد ضعّفه ويروي عن عوانه بن الحكم المعروف بولائه لعثمان والأمويين إضافة إلى أن أكثر رواياته من المراسيل. للتفاصيل ينظر: البلداوي: القول الحسن، ص ١١٤-١١٩.
- ٤٨- أبو القاسم علي بن إبراهيم (ت ٥٠٨ هـ / ٣٣٣٤ م) من أشدّ المبغضين للشيعة؛ إذ وصى قبل موته أن لا يحضره ينظر: الذهبي: سير أعلام... وأوصى... أن لا يتولاه أحد من الشيعة...: ولا يتولاه أحد من الشيعة. الذهبي، شمس الدين، النبلاء، ج ١٢، ص ٢٠٤.
- ٤٩- للتفاصيل ينظر: البلداوي، وسام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن (عليه السلام)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠٠٨، ص ٦٠-٢٠٨.
- ٥٠- الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ج ٧، ص ٥٤١.
- ٥١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٢.
- ٥٢- المصدر نفسه.

- ٥٣- المصدر نفسه.
- ٥٤- المصدر نفسه.
- ٥٥- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ١٥٥ هـ / ٣٦٦ م): البدء والتاريخ، إعتنى بنشره: كليمان هيوار، مكتبة المثنى، بغداد د.ت، ج ٥، ص ٧٥
- ٥٦- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢١٠ هـ / ٨٤٥ م)، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير، تهذيب وتحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم ١٤١٦ هـ، ص ٢٧-٢٨
- ٥٧- دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص ٩١
- ٥٨- البلداوي، القول الحسن، ص ٢٥٩-٢٨١.
- ٥٩- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٣٨.
- ٦٠- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٣٥ م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢١٨.
- ٦١- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، ١٣٥٨ هـ، ج ٢، ص ١٣٢.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* أولاً: المصادر

* ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ).

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

* ابن جبان، محمد بن جبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ).

مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩١.

* الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.

الجواهر السنية، المكتبة العلمية، بغداد، ١٩٦٤.

* ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد

بن هبة الله بن عبد الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ).

شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٢.

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).

الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠.

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان (ت ٧٧٤هـ).

تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

* تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

* سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.

* المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر د. م د.

ت.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد علي

البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣.

* ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ).

الطبقات الكبرى، تحقيق: علي بن محمد عمر، القاهرة، ٢٠٠١.

* السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ).

طبقات الشافعية، تحقيق: حمود محمد الطناحي وعبد

الفناح محمد الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.

* ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٥٨هـ).

تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، ط ١، ١٩٨٣م.

* الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ).

عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: أحمد الماحوزي، د.ت.

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ).

الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.

* الطوسي، محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ).

الأمال، ط ١، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٤.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة

الله (ت ٥٧١هـ).

تاريخ دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

* ابن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤هـ).

تاريخ دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

* ابن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤هـ).

- العقود الدرية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، د.ت.
- * العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥ هـ).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠.
- * الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ١٢٣ هـ).
- الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، طهران، ١٩٩٦.
- * ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ).
- البداية والنهاية، ط ٣، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠١٣.
- * المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ١٥٥ هـ).
- البدء والتاريخ، إعتنى بنشره: كليمان هيوار، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- * ابن الوردي، زين الدين الكندي (ت ٧٤٩ هـ).
- تاريخ ابن الوردي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- * ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧ هـ).
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥.
- * اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت ٢٩٢ هـ).
- تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، ١٣٥٨ هـ.
- المراجع
- * الألباني، محمد ناصر الدين الحاج نوح.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢.
- * البلداوي، وسام برهان.
- القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن (عليه السلام)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠٠٨.
- * تيمور، أحمد إسماعيل محمد.
- معجم تيمور الكبير في الألفا: العامية، تح: حسين ن صار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ٢، مصر ٢٠٠٢.
- * حمادة، سعدون.
- تاريخ الشيعة في لبنان، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
- * الدويهي، مار اسطفان.
- تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق: رشيد الخوري، ط ١، دار ومكتبة بيلون، د.ت.
- * دونالدسن، دوايت.
- عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م.، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت ١٩٩٠.
- * سالم، بن سعيد.
- في العلوم السيكلوجية، منهج البحث، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٢٠.
- * الشيخ، عبد الستار.
- الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام، دار القلم، ١٩٩٤.
- * العاملي، السيد جعفر مرتضى.
- الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ط ١، مطبعة دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٤٣٠ هـ.
- * معروف، بشار عواد.
- الذهبي ومنهجه، تحقيق: جعفر خصباك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

الطبعة الفقهيّة للبيعة والتزاماتها
بيعة الإمام الحسن عليه السلام أنموذجاً



السيد الدكتور إياد حمزة عبد الشريفي

ملخص البحث

يعدُّ مفهوم البيعة من المفاهيم الشرعيَّة السياسيَّة التي وقع الكلام والبحث في طبيعتها الفقهيَّة، وهذا البحث يسلِّط الضوء على مفهوم البيعة وطبيعتها، ويتناول الآراء في ذلك، وكذلك يدرس البحث بيعة الإمام الحسن بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما أعقبها من أحداث آلت إلى ترك الإمام الحسن (عليه السلام) موقع الصدارة السياسيَّة لصالح معاوية. فالبحث يقع بعد المقدِّمة في مطلبين:

الأوَّل منهما يناقش البيعة من حيث معناها وأصلها وطبيعتها وأركانها. والآخر منهما يناقش على وجه الخصوص بيعة الإمام الحسن (عليه السلام)، وما رافقها وأعقبها من وقائع وأحداث كانت سبباً في اختلال شرائط بيعة الأُمَّة للإمام (عليه السلام)، ممَّا حدا بالإمام الحسن (عليه السلام) إلى مهادنة معاوية؛ لإخلال الأُمَّة بالتزاماتها تجاه إمامها. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١)

Abstract

The concept of allegiance (bay'ah) is one of the political and religious principles that has sparked extensive discourse and analysis regarding its jurisprudential nature. This study sheds light on the essence of bay'ah, delving into various perspectives on the subject. Additionally, it examines the allegiance pledged to Imam Hasan (peace be upon him) following the martyrdom of Amir al-Mu'minin (peace be upon both of them) and the subsequent events that led Imam Hasan (peace be upon him) to relinquish his political leadership in favor of Muawiyah.

The research is structured into two main sections following the introduction :

The first section: examines the concept of allegiance (bay'ah), focusing on its meaning, origins, nature, and essential components. The second section tackles specifically the allegiance pledged to Imam Hasan (peace be upon him), addressing the circumstances and events that accompanied and followed it. These developments ultimately led to the disruption of the conditions necessary for the allegiance of the Ummah to the Imam (peace be upon him). This obligations breach of the community towards their Imam compelled Imam Hasan (peace be upon him) to reconcile with Mu'awiya and relinquish authority. ((And my success is not but through Allah . Upon him I have relied, and to Him I return))



المطلب الأول: معنى البيعة وأصلها وطبيعتها

أولاً: معنى البيعة لغة واصطلاحاً

١- معنى البيعة لغة

البيعة: الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة، فتبايعوا على الأمر: إذا أصفقوا عليه. وبايعه مبايعة: عاهده.

وفي الحديث: ألا تبايعوني على الإسلام؟ هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأنَّ كلَّ واحدٍ منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته ودخيلة أمره^(٢).

والمبايعة مع أولياء الله تعالى ورسله الذين أخذوا على عاتقهم تطبيق حكم الله في الأرض، إِنَّمَا هِيَ مَبَايَعَةٌ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٣) على كَيْفِيَّةٍ مَفَادَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٤).

٢- معنى البيعة اصطلاحاً

عرِّفت البيعة بجملةٍ من التعريفات منها: هي وسيلة لإنشاء التولية بعدما تحققت المقولة والرضا^(٥).



ومنها: هي العهد على الطاعة^(٦).

بيان أنَّ المبايع يعاهد أميره على أنَّه يسلم له النَّظَر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه^(٧).

وعرِّفت ثالثاً: بأنَّها العقد الذي يكون بين الخليفة وعامة الناس^(٨).

ويرى أهل هذا الرأي أنَّه لا يكون هذا الأمر إلَّا بعد شورى أهل الحلِّ والعقد، وأنَّ يقع الاختيار على من استكمل صفات الإمامة تحقيقاً^(٩).

٣- مناقشة التعاريف السالفة

الذي يظهر من التعاريف السالفة الذكر جملة أمور أهمُّها ما يلي:

أ. إنَّ تعريف البيعة بأنَّها عقد إِنَّمَا يكون النظر فيه إلى الطبيعة الحقيقية للعقد، الذي يعرِّف بأنَّه: رِبْطٌ بين التزامين مُبرَّرٌ بقولٍ أو فعلٍ^(١٠)، فالبيعة ربط بين التزامين: أحدهما من طرف



المبايع، والآخر من طرف المبايع له.

ب. إنَّ التعريف الثاني ناظر إلى الإلتزام من طرف المبايع، فالعهد على الطاعة إنّما تكون من طرفه، فهو الذي يتعهد بطاعة المبايع له، ولم يشر التعريف إلى المقابل المترتب على ذلك العهد على الطاعة.

ج. إنَّ التعريف الأوّل للبيعة بأنّها وسيلة لإنشاء التولية، هو تعريف بالجنس الأبعد الذي لا يحقق المعنى الحقيقي للبيعة فلم يبيّن الطبيعة الحقيقية لهذه الوسيلة، وكذلك فإنّه يغفل جانب المبايع له وما يلتزم به تجاه المبايع.

الذي يبدو للنظر أنّ تعريف البيعة بأنّها عقد هو الأنسب؛ بل والأصح في المقام، كما سيتضح ذلك من خلال بيان طبيعة البيعة.

ثانياً: الأصل التاريخي للبيعة

لم يكن مفهوم البيعة مفهوماً شرعياً إسلامياً ابتدعه وأسّس له الشرع الإسلامي الحنيف؛ بل الذي تدلّ عليه بعض النصوص الشرعية والتاريخية، هو أنّ مفهوم البيعة مفهوم ديني وعرفي قائم قبل الإسلام، وقد أمضاه الشرع الإسلامي المبارك^(١١) شأنه شأن أغلب الإنشاءات العرفية التي أمضاها الشارع المقدّس بعد أن شذّب فيها وهذب.

فالأصل الأولي في العقود والمعاملات، والحقوق المتعلقة بذلك جميعاً إنّما هو ((اتباع ما سنّه العقلاء، وما أقرّوه في سيرتهم وتعاملهم، ما لم يثبت بالدليل المنع عنه ورفضه))^(١٢).

والبيعة لا تخرج عن هذا المعنى، نعم هي معاملة سياسية بين الرعيّة ومن تختاره زعيماً لها في الزمن القريب.

ومما ورد من تلك النصوص الدّالة على كون مفهوم البيعة سابقاً على عهد الإسلام ما جاء عن رسول الله ﷺ أنّه طلب من أهل المدينة الذين قدموا لبيعته في بيعة العقبة الثانية أن يخرجوا له منهم اثني عشر نقيباً، فاختاروا ثمّ قال: ((أبايعكم كبيعة عيسى ابن مريم للحواريين كفلاء على قومهم بما فيهم وعلى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك))^(١٣) ومن النصوص التاريخية الواردة في المقام والدالة على كون البيعة كانت متعارفة قبل نزول

الشرع المقدس متمثلاً بأحكام القرآن الكريم والإسلام الحنيف، ما قاله عبد الرحمن بن أبي بكر: (أَجْتَمَ بِهَا هِرْقَلِيَّةٌ قَوِيَّةٌ، تَبَايَعُونَ لِأَبْنَائِكُمْ....) ^(١٤)

وكان ذاك حينما ورد كتاب معاوية إلى واليه مروان ليباع الناس ليزيد.
وقد أراد بذلك أن البيعة لأولاد الملوك سنة الروم والعجم.

ومَّا يَتَوَقَّعُ كونه بيعة، وينطبق عليه حدها السالف، وهو أنَّها: هي العهد على الطَّاعَةِ ^(١٥) عقد اتباع موسى للخضر عليه السلام؛ إذ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾ ^(١٦)، وهو جاري على نحو المعاوضة كما هي دلالة صيغة (على أن) التي تأتي للعوض، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا؟﴾ ^(١٧)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ.....﴾ ^(١٨) فجعلها للعوض البضع ^(١٩)

فما هو العوض الذي يقدمه موسى للخضر عليه السلام، فالمعاوضة غير واضحة إلا في الاتباع الذي هو الانقياد، والاتباع في المسير والمذهب والأمر والنهي، وكل ما يدعوه إليه ^(٢٠).

ذلك أن الاتباع هو اقتفاء الأثر الذي يتحقق تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والاثتار بأمر المتَّبِعِ ^(٢١) فالتعليم لهدف الرشد، وغايته طلب علو المرتبة من قبل العبد الصالح عليه السلام في مقابله الانقياد والتسليم التامين من قبل النبي موسى عليه السلام.

و﴿أَتَّبِعُكَ﴾ دال على طلب المتابعة المطلقة والانقياد التام، وفي جميع الأمور من غير أن يكون مقيداً بشيء دون شيء.

ثم إن قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾ ^(٢٢) أثبت كونه تبعاً له أولاً، ثم طلب ثانياً أن يعلمه وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم ^(٢٣).

وهل هذا كله إلا نوع من أنواع البيعة، والانقياد.

وبناءً عليه يمكننا أن نستفيد من ذلك أن البيعة سابقة على العهد الإسلامي في أصل تأسيسها وإنشائها كمفهوم عرفي هذبته الشرع الإسلامي الحنيف وعمل وفقه.

فالببيعة كانت وسيلة لإنشاء التولية بعدما تحققت المفاوضة والرضا، ثمَّ إنَّ المصافقة بالأأيادي في البيع كانت الوسيلة المعتمدة لإظهار الإنشاء وتماه كانت كذلك في البيعة^(٢٤).

ثالثاً: طبيعة البيعة

لقد ذكرت جملة آراء لبيان طبيعة مصطلح البيعة وحقيقتها على وفق رؤى فقه السياسة وتدبير أمر الرعيّة، نذكر أهمّها وهي ما يلي:

الأوّل: كونها عقد توكيل من المبيع للمُباع له لإدارة أموره وتديرها، في مقابل بذل الطاعة من الموكل المبيع والمساعدة على تلك الإدارة^(٢٥).

وهذا المعنى هو ظاهر القول بأنَّ: ((المسلمون هم المخاطبون، والإمام في التزام أحكام الإسلام كواحد من الأنام، ولكنه مُستتاب في تنفيذ الأحكام))^(٢٦).

فالخطاب الشرعي موجه لعموم المسلمين بما فيهم إمامهم، لكنَّ المسلمين هم الذين يستنبون الإمام في تنفيذ أحكام الشارع الحنيف.

والاستنابة في أصلها عقد توكيل كما هو أحد وجوه تعريف الوكالة حيث قيل بأنّها استنابة الغير في التصرف^(٢٧).

فالببيعة على هذا المعنى توكيل من قبل الأُمّة لمن تسنم أمر إدارتها.

ويرد على هذا القول ما يلي:

١- إنَّ عقد الوكالة من العقود الإذنية الجائزة المتقومة بالإذن حدوداً وبقاءً^(٢٨).

في حين أنَّ البيعة إذا وقعت لزمت وليس لأي من طرفيها منفرداً نكثها ونقض بنودها، وهذا المعنى ظاهر قول عليّ أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ قال: ((وإنَّما الخيار للناس قبل أن يبيعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم))^(٢٩).

وكذا ظاهر قوله عليه السلام: ((من نكث بيعته لقي الله يوم القيامة أجذم، لا يد له))^(٣٠).

فالببيعة لازمة دون الوكالة، فلا يمكن تعريفها بأنّها وكالة.

إذن فماهية البيعة وجوهرها ليست هي توكيل الغير على تمشية الأمور وتديرها، ((ففي الوكالة يتعهد الوكيل على إنجاز ما يريده موكله، ما أبقاه في هذا المنصب، وأمّا البيعة فهي

تعهد من ناحية المبايع على أن يطيع لمن بايعه ولا يتخلف عن أمره، فكأنه يبيعه شيئاً، ولا يقدر على عزله عن هذا المقام، وهذا بخلاف التوكيل فإنه يجعل الوكيل كنفسه، وتصرفاته كتصرفاته، وهذا أمر ظاهر، ومن العجب وقوع الخلط بينهما في بعض الكلمات، مع الاختلاف الواضح بين مغزاهما ومفهومهما^(٣١).

الثاني: كونها عهداً ومعاهدة بين طرفين.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣٢)، في عقب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣٣) فعبر القرآن الكريم عن البيعة بالعهد.

فالبيعة على هذا المعنى تكون هي ((العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه))^(٣٤).

فيتعهد فيها الطرف الأول المبايع له بإدارة شؤون الطرف الآخر المبايع وتبدير أموره في مقابل أن يتعهد هذا الطرف المبايع بالطاعة والتسليم لما يطلبه الطرف الذي بايع له^(٣٥). ويرد على هذا المعنى ما يلي:

- ١- إن للعهد صيغته الفقهيّة المعينة التي تختلف عن صيغة البيعة الخاصة بها.
 - ٢- إن نقض العهد المعقود بصيغته موجب للكفارة دون نكث البيعة، وهذا ممّا انفردت به الإماميّة^(٣٦)، وهو المشهور في الفقه الإمامي^(٣٧).
 - ٣- يمكن إيقاع العهد من طرف واحد تجاه الله تعالى أو تجاه طرف آخر، فيكون التزاماً من طرف المتعهد خاصّة من دون أن يقابله عهد والتزام من الطرف الآخر^(٣٨).
- أمّا البيعة فلا بدّ فيها من التزامين مترتب أحدهما على الآخر ومتوقف عليه.
- وقد عبّر عن هذا المعنى الإمام عليّ عليه السلام بقوله: ((وإنّ على الإمام الاستقامة وعلى الرعيّة التسليم))^(٣٩).

فإنّما تكون الاستقامة المقصودة هنا من خلال التزام جادة الشريعة مطلقاً فيترتب على ذلك

وجوب التسليم والطاعة من طرف الرعية.

الثالث: هي عقد قائم بنفسه بين طرفين هما المبيع له والمبايع، محلّه الواقع عليه مادة البيعة. فالبيعة كما مرّ تعريفها هي المبايعة والمعاقدة والمعاهدة، كأنّ كلّاً من طرفيها باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، ودخيلة أمره^(٤٠)، فهي التزام من طرفين وليس من طرف واحد. و((قد أمضاها الدين الإسلامي وجعلها من العقود اللازمة، التي يجب العمل بها، ويُحرّم نقضها))^(٤١).

وربما تبادر للذهن إشكال مفاده أنّه قد جاء في لسان بعض الروايات الواردة عن أئمة الهدى (عليهم السلام) تفسير كلمة العقود بالعهود كما في خبر عبد الله بن سنان، عن الصادق (عليه السلام)؛ إذ قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٤٢)؟ قال: العهود^(٤٣). ففسّرت الرواية العقود بالعهود وذلك أنّ العقود ((باعتبار تعلّق القرار المعاملي بها عهود، وباعتبار ارتباط أحد القرارين بالآخر تكون عقوداً))^(٤٤).

وبهذا الاعتبار كذلك يمكننا تصحيح إطلاق لفظ العهد على البيعة؛ فيكون المعنى الثاني تامّاً كذلك، لكنّه باصطلاح الرواية لا باصطلاح الفقهي.

وعلى هذا فتكون البيعة عقد قائم بنفسه يفيد فائدة خاصّة به هو الأوفق في المقام، وذلك لأنّ: أ. البيعة ليست عهداً مجرداً؛ بل هو عهد قائم على أساس الترابط بين طرفيه أعني المبايع والمبايع له، فهو من حيث الإلتزام ترابط متعلّق طرفه هذا على طرفه ذاك، وتعاهد قائم على طرفيه على نحو المتابعة وتوقف أحدهما على الآخر مترابطاً.

ب. توافر جميع أركان العقد المقررة على وفق المباني الفقهية الشرعية، وهي ما يلي:

الركن الأوّل: إرادة مضمون العقد.

الركن الثاني: إبراز الإرادة بلفظ أو أي مبرز آخر.

الركن الثالث: المتعاقدان.

الركن الرابع: المحل الذي يقع عليه التعاقد.

فأركان العقد المتكاملة في البيعة إنّما هي تلك الأركان الأربعة السالفة الذكر، التي أكّدها

بعض متأخري فقهاء الإمامية (رضوان الله عليهم).
تلك الأركان التي تعدُّ مركزاً للشروط العقد، فكلُّ ما ينصب عليه شروط العقد سُمِّيَ
ركناً، أو الركن هو: ما به قوام العقد^(٤٥).

رابعاً: بيان أركان عقد البيعة

وفيما يلي بيان سريع لتلك الأركان:

الركن الأوَّل: وهو الإرادة

فالببيعة دون إرادتها من الطرفين، المبايع والمبايع له لا يمكن تحقيقها، والمقصود من الإرادة هنا
في الفقه الإسلامي الإرادة الباطنة، في مقابل الفقه الغربي الذي يجعل الإرادة ظاهرةً وباطنة^(٤٦)،
ف((لا يقصد بالإرادة في الفقه الإسلامي عدا معناها الحقيقي المتواجد في النفس))^(٤٧)، وهو ما
يعبر عنه باعتبار المقصود في العقود، وهذا ممَّا لا شكَّ في اعتباره ولا ريب، بل إنَّ العمدة في كلِّ
عقدٍ من العقود هو الرضا الباطني، والقصد القلبِي وهو العمدة في النقل^(٤٨)، وما الإنشاء
العقدي إلَّا وسيلة كاشفة ودليل على معرفته^(٤٩).

حتَّى جرت قاعدة فقهية مسلَّمة على ألسن الفقهاء^(٥٠)، فكأنَّها من قبيل المجمع عليها،
مفادها كون العقود تابعة للمقصود^(٥١).

بل عُدَّت من الضرورة في المذهب^(٥٢) بدليل ما رواه عليُّ بن جعفر عن أخيه الإمام موسى
بن جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، من قول رسول الله الأكرم صلَّى الله عليه وآله: ((إنَّما الأعمال بالنيَّات وإنَّ
لكلِّ امرئ ما نوى))^(٥٣).

وما ذلك إلَّا لأنَّ العقد إذا خلى من القصد فهو لغو^(٥٤).

فالعقود إنَّما هي أمور إنشائية تنشؤها النفوس والذوات البشريَّة ولها وجود في صقع النفس
ودواخلها، وإذا خلت من القصد الجدِّي لها، ومن إرادتها جدًّا وحقيقة لم يتم انشاؤها، ولم
يتحقَّ وجودها خارجاً؛ فهي متقوِّمة بالقصد والإرادة الجديين لها.

فلا بدَّ في البيعة من تحقُّق العزم القلبِي الثابت الراسخ على إطاعة أمر الإمام المبايع له،
ونصرته ببذل النفس والمال^(٥٥).

الركن الثاني: إبراز الإرادة

ويقصد به إظهار تلك الإرادة القائمة في النفس والمتعلقة بينود العقد وتفصيلاته قولاً أو فعلاً، فلا تكفي الإرادة المجردة للعقد التي هي أمر نفسي؛ بل لابد من كشف لهذا الأمر النفسي من قول أو فعل.

فالركن الثاني من أركان كل عقد إنما هو إبراز الإرادة وإظهارها بقول أو فعل، وقد جعل الصفق باليد هو العلامة المبرزة للإرادة في البيعة.

بل قد تطلق البيعة والمبايعة على المصافحة باليد، وهو ما كان يتداوله العرب في بعض الأحيان عند تمامية البيع أو المبايعة، ويمكن استفادة مثل هذا الإطلاق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٥٦)؛ إذ جاء بلفظ اليد للدلالة على ذلك، مضافاً إلى ما ورد من أنهم كانوا يبایعون رسول الله ﷺ بأيديهم^(٥٧).

وكان هذا من دأبهم فإذا أرادوا إنجاز البيع أعطى البائع يده للمشتري، متمثلين بذلك نقل الملك بنقل التصرفات التي يتحقق معظمها باليد إلى المشتري بالتصفيق، ومن هنا سُمي التصفيق عند بذل الطاعة ببيعة ومبايعة، فحقيقة معناه إعطاء المبيع يده للسلطان مثلاً ليعمل به ما يشاء^(٥٨).

الركن الثالث: المتعاقدان

وهما طرفا البيعة والمتبايعان في عقد البيعة، والمقصود بهما أفراد الأمة من جهة، وإمام هدى وحق أو نائبه من الجهة الأخرى، أو إمام باطل وضلال. والبيعة عند ذاك تختلف عنها فيما لو كان المتصدي إمام حق. وعلى هذا فمن خلال الطرف الأول في البيعة، وهو الإمام المتصدي لإدارة دفة الحكم تكون البيعة شكلان هما:

أ. بيعة إقرار

وهي البيعة التي تقر فيها الأمة لأولياء الله الذين نصبهم الله جلّ وعلا بالفضل والأولوية لتطبيق أحكامه في أرضه والقيام بمصالح عباده، مطابقة لإرادتها مع إرادة السماء ومطبعة لله بذلك.

وتسلّم الأُمّة أمر قيادتها إلى أنبياء الله وأئمّة الهدى (عليهم السلام)، ((ولكن لما ارتكز في أذهان الناس على حسب عاداتهم وسيرتهم ثبوت الرياسة والزعامة بتفويض الأُمّة وبيعتهم، وكانت البيعة أوثق الوسائل لإنشائها وتنفيذها في عرفهم، طالبهم النبي ﷺ بذلك لتحكيم ولايته خارجاً، فإن تمسّك الناس بما عقدوه بأنفسهم والتزامهم بوفائه واحتجاجهم به أكثر وأوثق بمراتب. فالمراد بالتأكيد إيجاد ما هو الوسيلة لتحقيق الولاية عند الناس أيضاً ليكون تحقّق المسبّب أقوى وأحكم، ولا محالة يترتب عليه الإطاعة والتسليم خارجاً)) (٥٩).

كما فعلت الأُمّة عند بيعتها أمير المؤمنين (عليه السلام) ولو أنّها جاءت متأخرة عن الوقت الذي أراده الله تعالى.

وكما فعلت في بيعتها الإمام الحسن (عليه السلام) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهذه البيعة بيعة إقرار بإرادة السماء، وتثبيت لما فرضته الإرادة الربانيّة.

وتمتاز هذه البيعة بجملة خصال أهمّها ما يلي:

الأولى: أنّها بيعة لله من خلال أوليائه.

الثانية: أنّها بيعة واجبة شرعاً، لا يجوز نكثها.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((من فارق جماعة المسلمين ونكث صفقة الإمام جاء إلى الله عزّ وجلّ أجذم)) (٦٠).

ومما يدلّ على وجوب المبايعة لجميع الأئمّة (عليهم السلام) ما روي في الاحتجاج في خطبة يوم الغدير، من أنّ رسول الله ﷺ أمر معاشر الناس بمبايعة أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين (عليه السلام) ولقّنههم العهد والميثاق بإطاعتهم، مع أنّهم (عليهم السلام) لم يكونوا معاصرين لأهل ذلك الزمان، وما هذا إلّا لوجوب التزام الناس قلباً ولساناً وتعهدهم بالعهد المؤكّد والميثاق المسدّد بمواليتهم ونصرهم، وبذل أنفسهم وأموالهم دونهم ولإطاعة أمرهم (عليهم السلام).

ب. بيعة إنشاء

ومعنى هذه البيعة هي إلزام الأُمّة نفسها بأن تباع غير أولياء الله، فهي البيعة التي تنشئها الأُمّة وتحدثها لنفسها عن غير بصيرة، وعن غير استعداد لتحمل مسؤولياتها الشرعيّة



والأخلاقيّة، عناداً منها للحقّ وأهله، ومخالفة بذلك اختيار الله جلّ وعلا، وعاملة بخلاف ما يريده الله تعالى.

فتختار لنفسها وتنصب إماماً لها لا يسير فيها بما يطابق الإرادة الربانيّة؛ بل ربما بما يخالفها، بفعل سوء اختيار الأئمّة وقلة توفيقها.

وكذا فإنّ الأئمّة دفعت الأئمّة وأزالتهن عن مراتبهن التي ربّهن الله فيها، فجانبتهن التوفيق وخالفت ما أَراده الله تعالى فجنت على نفسها واحتطبت لذاتها لعنة الدارين.

الأمر الذي يجعل أولياء الله متأخرين عن مواقع الريادة والزعامة السياسيّة فالأئمّة سلّمت قيادها لغير ولائها بسوء اختيار منها، وقد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الحال بقوله: ((إنّ لنا حقّاً إن نُعطه نأخذه، وإنّ نُمنعه نركب أعجاز الإبل))؛ كناية عن أنّ من ركب عجز البعير يعاني مشقة، ويقاسي جهداً، أو كناية أتباعهم غيرهم، وكذلك فإنّ راكب عجز البعير يكون رديفاً لمن هو أمامه، فهو متأخّر تابع غيره^(٦١)، بفعل تقصير الأئمّة، فهم لا يفرضون أنفسهم الشريفة على الأئمّة، إذا ما أعرضت عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وستتناول هذا الأمر بالتفصيل عند البحث عنبيعة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قريباً. فحينما تكون شرائط الوعي مفقودة في مسيرة الناس، وفي أوساطهم ولم تقر الأئمّة بأحقّيّة ولائها الذين نصبهم الله تعالى؛ فإنّها ستجد نفسها مضطّرة لمبايعة شخص آخر؛ إذ ((لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع بها الفبي، ويقاتل بها العدو، وتؤمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي))^(٦٢).

فالركن الثالث للعقد هو المتعاقدان، وهما في عقد البيعة المتبايعان، اللذان يبايع أحدهما الآخر. وهو ما يدلّ عليه ظاهر قول الإمام علي (عليه السلام) في كتابه لطلحة والزبير؛ قال فيه بهذا الخصوص: ((ولم أبايعهم حتّى بايعوني))، فالبيعة إيجاب من طرف المبايع وقبول من طرف المبايع له.

((فلئن كانت البيعة للخلفاء والعظماء مشروعة اجتماعيّاً وإسلاميّاً، مرة واحدة، للدلالة على الاقتداء بالقائد وبيع الولاء له والطاعة المطلقة.



فهذا هو ما ينبغي أن يحدث بين الله وبين عباده. إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمُبَايَعَةَ لَنْ تَكُونَ شَكْلِيَّةً وَلَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى الْمَرَّةِ؛ بَلْ يَنْبَغِي الْاسْتِلَامُ فِي كُلِّ شَوْطٍ مِنْ أَشْوَاطِ الطَّوَافِ.

وينبغي البقاء على المبايعة والولاء والإخلاص مدى الحياة.

ولئن كانت بيعة الشجرة بيعة لله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ * يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦٣)، فَإِنَّهَا بِوُجُودِهَا الْعَامِ غَيْرِ خَاصٍّ بِأَوَّلِكَ النَّفَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ فُرْصَةٌ مَفْتُوحَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ بِأَنْ يَجِدَّ بَيْعَتَهُ وَوَلَاءَهُ لِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَوْطٍ، وَفِي كُلِّ طَوَافٍ وَفِي كُلِّ عَامٍ^(٦٤).

الركن الرابع: محل البيعة

وهو يختلف باختلاف شكل البيعة وطبيعة الظروف التي تحكم حياة الأمة، ولذلك نرى أَنَّ البيعة في أوائل الدعوة كانت لرسول الله ﷺ على أمور تختلف عما وقعت عنها في مدة أخرى. ففي أول الدعوة كان النبي ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، وبعد أن تَمَّتِ الْقَنَاعَةُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَبَعْدَ لِقَائِهِمْ فِي مَوْسَمِي حَجٍّ مُخْتَلِفِينَ بَايَعَهُمْ بَيْعَةَ الْعَقْبَةِ الْأُولَى، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا.

٩٨

فأخذ عليهم رسول الله ﷺ ما أخذه الله على النساء، وَمِمَّا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ يُفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦٥).

فَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْبَيْعَةُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ^(٦٦) لِتَوَافُقِ مَحَلِّهَا مَعَ مَا وَرَدَ فِيهَا يَخْصُ مَحَلَّ بَيْعَةِ النِّسَاءِ.

وعندما اجتمع له في الموسم التالي في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان في أيام التشريق بالليل، كان محل البيعة يختلف هذه المرة عن سابقتها إذ قال ﷺ: ((أبايعكم على الإسلام)).

فقال له بعضهم: نريد أن نعرفنا يا رسول الله ما لله علينا، وما لك علينا، وما لنا على الله؟

قال: أَمَّا مَا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ فَأَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وَأَمَّا مَا لِيْ عَلَيْكُمْ فَتَنْصُرُونِي مِثْلَ نِسَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ، وَأَنْ تَصْبِرُوا عَلَى عِصِّ السِّيفِ وَإِنْ

يَقْتُلُ خِيَارَكُمْ.

قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟

قال: أمّا في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة الرضوان والجنة^(٦٧).

فالروايات التاريخية التي تحكي لنا تاريخ البيعات التي تمت على عهد رسول الله ﷺ أبانت أن البيعة في كل مرة تتم على أمرٍ ما أو جملة أمور، وذلك بحسب الظروف المحيطة وبحسب التدرّج في الدعوة.

وبناء على ما بين أيدينا من روايات يكون محل البيعة الشرعية جملة أمور مطلوبة من الطرفين، فهي من طرف المبايع الطاعة التامة، وبذل النفس والمال عند الحاجة، ومن طرف المبايع له الاستقامة على جادة الشريعة بما يحفظ مصالح الأمة.

هذا هو مجمل ما تتم عليه البيعة، وإن ذكر التفصيل أحياناً ببعض الموارد، فهو إنّما لأجل توضيح المطلوب وبيان المجمل، لذا وردت مرة البيعة لرسول الله ﷺ على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يزنوا ولا يسرقوا ولا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا ينتهبوا ولا يعصوا. وفي محل آخر ذكر أنه تمت البيعة لرسول الله ﷺ: على ((السمع والطاعة في السر والعسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول أو نقوم بالحق حيثما كنا لا نخاف لومة لائم))^(٦٨).

وروي عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وحضر خروجه إلى بدر دعا الناس إلى البيعة فبايع كلهم على السمع والطاعة^(٦٩).

وقد قرّر أمير المؤمنين عليه السلام محل البيعة بقوله: ((أيها الناس، إن لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلاً تجهلوا، وتأديبكم كيماً تعلموا، وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم))^(٧٠).

والأصح أن نقول إن البيعة عقد حيث ينطبق عليها حدّ العقد، وتتحقّق فيها أركانه التي يتركز عليها العقد بما هو عقد، ونوع إنشاء عرفي أقره الشارع المقدّس وأمضاه كما هو معروف من أن دور الشارع المقدّس في العقود إمضائي وليس تأسيسياً.

فكل عقد لابدّ فيه من محل يقع عليه تعاقد المتعاقدين، وفي البيعة يكون محل العقد أن

يجعل المبايع ماله وإمكاناته تحت تصرف المبايع له، ويتعهد هو في قبال ذلك بالسعي في إصلاح شؤونهم وتأمين مصالحهم، فكأنها نحو تجارة بينهما^(٧١).

((وإنَّ على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم))^(٧٢).

وإن قلنا بأن البيعة عقد فهي عقد لازم تترتب العقوبة على نكثه، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((من نكث بيعته لقي الله يوم القيامة أجذم، لا يد له))^(٧٣).

المطلب الثاني: بيعة الإمام الحسن عليه السلام وما أكتنفها من أحداث.

أولاً: كيفية بيعة الإمام الحسن عليه السلام

لقد امتازت بيعة الإمام الحسن عليه السلام بجملة مميزات أهمها ما يلي:

١- الشرعية

فقد كانت بيعة إقرار من الأمة بأحقيته عليه السلام بالخلافة والزعامة كونه إماماً بتنصيب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ قال له ولأخيه الحسين عليه السلام: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا))^(٧٤).

وكذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أشهد على وصيته لولده الحسين عليه السلام بالخلافة جميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال له: ((يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه))^(٧٥). كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قرّر الأمة بذلك حينما خاطبهم قائلاً: ((قد أمرني الله عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلّي من إمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة منّي، ومنه على ما أعلمتكم أن ذرّيتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم "إنّا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغت عن ربّنا وربك في أمر عليّ، وأمر ولده من صلبه من الأئمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأفسننا وألسنتنا، وأيدينا على ذلك نحى ونموت ونبعث ولا نغير ولا نبذل ولا نشك، ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق، نطيع الله ونطيعك وعليّ أمير المؤمنين، وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك))^(٧٦).

وقد خطب الإمام الحسن عليه السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ عرّف بمنزلة الإمام علي عليه السلام الذي لم يسبقه

الأولون ولم يدركه الآخرون، ثم عَرَفَ بذاته الشريفة ومنزلته المنيفة، وأنه ((من أهل بيت أفرض الله طاعتهم في كتابه فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٧٧) فالحسنة مودتنا أهل البيت)). فتبادر الناس إلى بيعته بطلب من ابن عباس^(٧٨).

حتى قال من في قلبه دخيلة ولم يستقم حب الوصي في قلبه ((لما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي، وأطاعوه وأحبوه أشد من جهم لأبيه))^(٧٩).

٢- وضوح محلها وجلالته

لقد تمت البيعة للإمام الحسن (عليه السلام) على أمرين أساسيين: أحدهما من طرف الإمام (عليه السلام)، والثاني من طرف الناس.

أما الأول فهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ذلك أنه أول من بايع الإمام (عليه السلام) هو قيس بن سعد، فقال له: ابسط يدك أبياعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقاتل المحلّين^(٨٠)، فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) قائلاً: ((على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط)) فبايعه، وسكت وبايعه الناس^(٨١).

وأما الثاني فهو مسالمة من سالم الإمام (عليه السلام) ومحاربة من حارب، فالناس أتوا الحسن بن علي بعد وفاة علي (عليه السلام)، لبايعوه فقال: ((الحمد لله على ما قضى من أمرٍ وإنّي أبياعكم على أن تسالموا من سالم وتحاربوا من حاربت))، فبايعوه على ذلك^(٨٢).

وقد أكد الإمام الحسن (عليه السلام) هذا المعنى في أكثر من مورد فخطب الناس مرةً ووبّخهم، أنهم كانوا قد خالفوا أباه أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى حكّم وهو كاره، ثم دعاهم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبوا ثم قال (عليه السلام): ((بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني))^(٨٣).

وبعد لقاء معاوية وإقرار عقد المهادنة معه خطب (عليه السلام)، وذكر الناس قائلاً: ((وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت))^(٨٤).



ثانيًا: ما أعقب بيعة الإمام الحسن عليه السلام من أحداث

لقد مرّت الأحداث سريعًا جدًا بعد استشهاد أمير المؤمنين وبيعة الإمام الحسن (سلام الله عليهما)، وبكيفية يصعب السيطرة عليها، والتنبؤ بمخرجاتها فكانت روح التمرد والعصيان والتواكل والخذلان هي سيدة الموقف في مجتمع الكوفة منذ زمن أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى قال الإمام مخاطبًا الناس: ((لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفةً، والله جرت ندماً وأعقت ذمّاً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحتتم صدري غيظاً، وجرّعتوني نغب التهام أنفاساً^(٨٥)، وأفسدتهم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان))^(٨٦).

مجتمع هذا حاله مع أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف يكون حاله مع ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، لقد كان اضطراب حال الناس جلياً واضحاً تحدوهم إلى ذاك الأزمات المتراكمة، التي كانت أيام معركة صفين وما نتج عنها من تداعيات.

فخلال مدّة ستة أشهر تداعت بنية دولة الإمام الحسن عليه السلام، بفعل سطحيّة الأتباع وقلة وعيهم، وخداع معاوية لهم وكيد، ومكره بصورة خبيثة ما أدّى إلى تلاشي تركيبة المجتمع وتضييعه لبوصلته، ومن أهمّ تلك الأحداث ما يلي:

١- التشكيك بالقيادة

كان ولازال التسليم للزعامة التي تقود المجتمع من أهمّ عوامل نجاح ذلك المجتمع فيما يصبو له من أهداف، وإن لم تكن القيادة شرعيّة صادقة فضلاً عن كونها تمثل إرادة الله في أرضه، فالمجتمع والأمة المطيعة لقيادتها تركّز جهودها وطاقاتها نحو أهدافها.

وربّما كان المجتمع الكوفي مطيعاً للإمام علي عليه السلام أوّل الأمر؛ لكنّه سرعان ما كان ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾^(٨٧)، أو ((كالمرأة الحامل، حملت فلماً أتمت أملت ومات قيمها، وطال تأيمها، وورثها أبعدها))^(٨٨).

ولمّا طال عليهم العهد وامتدّت أيام المعركة راحوا يتّهمون علياً عليه السلام، ويقذفونه بالكذب، وهو أوّل من آمن بالله وصدّق رسوله ﷺ، فكان مجتمعاً مريضاً لم يألف لهجة الصدق كما أبان ذلك أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ قال: ((كلّا والله؛ لكنّها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها))^(٨٩).



ولقد تغرّست أقدام الأمة في أحوال الشك فرتعت فيه حتّى أنّها استقبلت عهد الإمام الحسن (عليه السلام) بتلك الروحية نفسها من التشكيك، فلمّا بايعته على الخلافة طفق يشترط عليهم أنّهم له سامعون مطيعون يسالمون من سالم ويحاربون من حارب، ((فارتاب أهل العراق في أمره حين اشترط هذا الشرط، قالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال))^(٩٠).

هذا التشكيك قد أدّى إلى نمو روح التمرد عندهم بشكل أكثر من ذي قبل، وممّا كان على عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، حتّى أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) راح يذكرهم بمقتضى الأخلاق إلى جنب مقتضيات الشرع الحنيف، حاثّاً لهم بما ينبغي عليهم تجاهه وأهل بيته (عليه السلام)، فعن هلال بن يساف أنّه سمع الإمام الحسن (عليه السلام) وهو يخاطب فيقول: ((يا أهل الكوفة اتّقوا الله فينا، فإنّا أمراءكم وإنّا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾))^(٩١).

٢- مبايعة أشرف الناس لمعاوية سرّاً

والمقصود من أشرف الناس هنا هم رؤساء القبائل والوجوه الاجتماعية المؤثرة؛ بل وبعض قادة العسكر، وقد صرّح الإمام الحسن (عليه السلام) بهذا الأمر في خطبة له بعد أن وجّه عبيد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد ابن عباد، مقدمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام، وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط من قبل جيشه وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية، فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن (عليه السلام) الذين وجّههم مع عبيد الله يتسلّلون إلى معاوية، الوجوه وأهل البيوتات، فكتب عبيد الله بن العباس بذلك إلى الإمام الحسن (عليه السلام) فخطب الناس ووبّخهم، وقال: ((خالفتكم أبى حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم، فأبيتم حتّى صار إلى كرامة الله، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية، وبايعوه، فحسبي منكم، لا تغروني من ديني ونفسي))^(٩٢).

فقد سعى معاوية حيثاً لشراء ذمم وجوه القوم بهذا الأسلوب وتحت عنوان أنّ الحسن (عليه السلام) قد راسله في الصلح، وهو مسلم الأمر إليه، فمن دخل في طاعته الآن كنت متبوعاً، وإلا دخل وهو تابع^(٩٣)، فكان ذوو الأطماع من أشرف القوم يتسابقون في الاستجابة لهذا العرض الرخيص، وهم ضمن تشكيل دولة الإسلام بزعامة الإمام الحسن (عليه السلام).

وهذا الاختراق السهل لجبهة أهل الإيمان كان له بالغ الأثر في إضعاف تلك الجبهة؛ كون البيئة الكوفيّة آنذاك بيئة عشائريّة، فإذا بايع رؤوس القبائل معاوية أدّى ذلك إلى سلب موقف عموم تلك القبيلة لصالح معاوية.

٣- طعن الإمام الحسن عليه السلام وانتهاب رحله

من الأحداث التي لم يُصرّح بأسبابها ودوافعها الحقيقيّة التجاوز على قداسة الإمام عليه السلام، ومحاولة قتله التي باءت بالفشل، وجاءت الطعنة بالخنجر في فخذ الإمام عليه السلام. ذلك أنّه لما بايع أهل العراق الإمام الحسن عليه السلام وسار حتّى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على المقدّمات وهم اثنا عشر ألفاً، وكانوا يسمون شرطة الخميس، لم يمض وقت حتّى نادى مناد في عسكر الإمام عليه السلام: ألا إنّ قيس بن سعد بن عبادة قد قتل فعدى الناس على سراق الإمام عليه السلام وانتهبوه حتّى نازعوه بساطاً تحته، ووثب على الإمام الحسن عليه السلام رجل من الخوارج من بني أسد فطعنه بالخنجر^(٩٤).

إنّ هذا الاقتران بين ما أشيع من قتل قيس والاعتداء على سراق الإمام عليه السلام يدلّ على أنّ القضية مدبرة من طرف معاوية، الذي كان يلحظ بإخراج قيس من معادلة المواجهة مع الإمام الحسن عليه السلام؛ كون قيس يمثل أحد أهمّ مرتكزات حكومة الإمام الحسن عليه السلام، فهو إضافة إلى كونه من محبّي الإمام علي عليه السلام ومريديه كما مرّ سلفاً، كان قائداً لشرطة الخميس، وكان والياً للإمام علي عليه السلام على مصر، وهو يعدّ أحد الدهاة الخمسة آنذاك^(٩٥).

ولقد كان الحدث ذا أثر بالغ في نفس الإمام عليه السلام حتّى قام فخطب قائلاً: ((يا أهل العراق، إنّهُ سخّي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إِيّاي، وانتهابكم متاعي))^(٩٦)

٤- ميل الناس إلى الدعة والراحة

إلى جانب كلّ ما مرّ فإنّ الناس كانوا قد مالوا إلى الدعة والراحة وعدم تحمّل مسؤولياتهم منذ أواخر عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بعد ثلاث حروب داخلية لم يشهد مثلها تاريخ الإسلام، واستمرّ هذا الحال على عهد الإمام الحسن عليه السلام، فحين أقبل جارية بن قدامة ودخل على الإمام الحسن بن علي عليه السلام وضرب على يده مبايعاً ومعزّياً له باستشهاد أمير

المؤمنين عليه السلام، ثم قال له: ما يجلسك؟ سر يرحمك الله، سر بنا إلى عدوك قبل أن يسار إليك، فقال: لو كان الناس كلهم مثلك سرت بهم^(٩٧).

وكذلك فإنه عليه السلام وصف حال الناس قائلاً: ((إننا والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإننا كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في متدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإننا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم.

ألا وقد أصبحتم بعد قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، فأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر.

ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا)) فناداه القوم من كل جانب البقية البقية، فلما أفردوه أمضى الصلح^(٩٨).

كان هذا الموقف من الناس على رؤوس الأشهاد وهو الصوت الرسمي منهم، أما الأصوات المتحمسة لحرب أهل الشام فلم تظهر للملأ، وكان أصوات خفية تسمع في بعض المجالس؛ خصوصاً عندما تواجه الإمام عليه السلام، حتى خاطبه بعضهم عن جهل بما فعله الإمام عليه السلام قائلاً له: يا مذل المؤمنين!!! وآخر بقوله: سودت وجوه المؤمنين^(٩٩).

هذه الوقائع وما شاكلها التي أحاطت بدولة الإمام عليه السلام وأملت بالناس جعلت الإمام عليه السلام لا يأمن على نفسه وذويه، وخلّص أتباعه من سطوة العائمة التي تحكمها الفوضى وإعلام معاوية وتغريراته ومكره وخدعه.

فقد ذكر زيد بن وهب الجهنبي الذي كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام^(١٠٠) أنه لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتاه والإمام عليه السلام متوجع، فقال: ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحIRON؟ فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: ((أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وأومن به في أهلي، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا

بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليّ فيكون سنّة على بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميت))^(١٠١).

هذا هو حال الناس وما هم عليه فأغلب السواد العامّ لم يكن هواه مع أهل بيت الرسول ﷺ في تحمّل مسؤولياته، ونصرة الحقّ وإعلاء كلمته، وخذلان الباطل وأهله. وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى الإمام عليّ (عليه السلام) والى أئمة الهدى (سلام الله عليهم) من بعده أن: ((يا بن أبي طالب لك ولأئمتي، فإنّ ولك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإنّ اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه))^(١٠٢).

ثالثاً: مهادنة الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية.

بعد أن نكصت الأمة عن تحمّل مسؤولياتها الشرعيّة والتاريخيّة، والتزاماتها الأخلاقيّة تجاه الله وتجاه قادتها الشرعيين، وكان هذا دأبها منذ زمن حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام)، واستمر ذلك التراجع والنكوص إلى زمن بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) الذي كان بفعل ذلك أمام منعطف تاريخي حادّ يفترض عليه تحمّل مسؤولياته الكبرى كإمام معصوم مهمّته الأولى إنفاذ حكم الشرع الحنيف، والحفاظ على تعاليم الكتاب الكريم على وفق الظروف وتداعيات المرحلة.

وحينما رأى الإمام ما عليه حال الأمة من الخور والضعف قرّر المهادنة والمواذعة مع معاوية على وفق ضوابط وشروط مشدّدة، منها أن لا يسمّيه أمير المؤمنين؛ لإسقاط الائتثار لمعاوية إذا أمره أمراً على نفسه^(١٠٣)، وتلك المواثيق كشفت زيف معاوية وحقيقة ذاته الخبيثة.

وقد اختلف في حقيقة تلك المهادنة وتبويتها من اللحاظ الفقهي، فهل كانت صلحاً، أم هدنة، أم بيعة، أم غير ذلك؟

فقد منع أكثر أعلام الإماميّة (رضوان الله عليهم) إطلاق وصف البيعة على ما كان بين الإمام الحسن (عليه السلام)، ومعاوية واعتبر ذلك معاهدة منه (عليه السلام) ومهادنة لمعاوية^(١٠٤).

لكنّ الروايات الواردة في المقام بعضها سمّي ما حصل بالمهادنة وأخرى أطلقت عليه عنوان البيعة^(١٠٥)، وثالثة وصفته أنّه مسألة^(١٠٦) ومن مصادر الفريقين.

والظاهر أنّ ذلك الاختلاف إنّما هو اختلاف بالتسميات لحقيقة واحدة مفادها أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد ثبت فيما بينه وبين معاوية جملة التزامات وشروط تحكي عقد هدنة، وهو السكون لغة^(١٠٧)، ووقف القتال والحرب، أعقبه ترك الإمام الحسن (عليه السلام) الزعامة السياسيّة وإدارة دفة الحكم وشؤون الناس إلى معاوية.

فهناك مهادنة يضاف لها تسليم إدارة شؤون الأمّة، والتنازل عن ذلك من طرف الإمام (عليه السلام) على وفق جملة شروط، فهناك التزام ومعاقدة وعقد طرفاه الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، ومحله تسليم إدارة الشؤون السياسيّة من طرف الإمام (عليه السلام) مقابل التزامات عدّة من طرف معاوية، وكان كل ذلك مسبوقاً بإرادة جديّة من الطرفين قد تمّ إبرازها على الملأ وإعلانها أمام الناس، فما كان هو عقد تام الأركان^(١٠٨).

وأي ضير في حصول مثل هذا العقد، فيكون بيعة إنشاء لا بيعة إقرار؛ فلا يرد ما ذكر من إشكالات^(١٠٩) خصوصاً مع ملاحظة الشروط التي فرضها الإمام الحسن (عليه السلام)، التي تقيّد سلطة معاوية وسطوته تجاه الإمام الحسن (عليه السلام) وشيعته.

رابعاً: النتائج المتوخاة من المعاقدة مع معاوية

مما لا شكّ فيه أنّ هناك أسباب وعلل تكمن وراء عقد المهادنة، الذي تمّ بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية، ومما لا شكّ فيه أنّ مقتضيات الظروف الموضوعيّة كانت ترجّح عقد الهدنة ذاك على استمرار الحرب والقتال، ودرك مصالح ذلك كان للإمام المعصوم (عليه السلام) خصوصاً أنّه (عليه السلام) كان قد صرّح بذلك في جواب أبي سعيد عقيصا الذي سأل الإمام الحسن (عليه السلام) قائلاً: يا بن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه وأنّ معاوية ضال باغ؟

فأجابه (عليه السلام) قائلاً: ((يا أبا سعيد ألسنتُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم أبي (عليه السلام)؟ قلت بلى.

قال: ألسنت الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي الحسن والحسين: إمامان قاما أو قعدا؟ قلت بلى.



قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة، وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتّى أخبره فرضى... هكذا أنا، سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل))^(١١٠).

فلا يمكننا درك المصالح المترتبة على تلك المهادنة إلا من خلال ما يكشفه الإمام المعصوم عليه السلام نفسه، ولعلّ من أهمّ تلك الفوائد المذكورة عنه عليه السلام ما يلي:

١- حقن الدماء والابقاء على الأتباع

وهذه الفائدة أشارت إليها كثير من الروايات الواردة على لسان الإمام عليه السلام التي منها: ((وقد رأيت أن أسأله، ورأيت أن ما حقن الدماء خير ممّا سفكها))^(١١١).

ومنها: قوله لأخيه الحسين عليه السلام: ((إنّي نظرت في أمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر، حتّى تقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أن أحتمل دمه، وقد رأيت أن أسلم الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته))^(١١٢).

وفي معرض جوابه لسليمان بن صرد الخزاعي الذي راح يستشكل في مسألة المهادنة مع معاوية فأجابه عليه السلام بقوله: ((ولكنّي أرى غير ما رأيتم، وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء))^(١١٣).

وفي محل آخر أبان الإمام عليه السلام أن من فوائد الهدنة مع معاوية هو الإبقاء على الأتباع، وكان ذلك في جواب من استشكل متجاوزاً حدود آداب الخطاب مع الإمام عليه السلام، فقال مخاطباً له: يا مذل المؤمنين!!! أو من قال: سودت وجوه المؤمنين. فقال له الحسن عليه السلام: ((ما كل أحد يجب ما تحب، ولا رأيته رأيك، وإنما فعلت ما فعلت إبقاء عليكم))^(١١٤).

وغير ذلك من الموارد التي ذكر فيها الإمام عليه السلام أن أهمّ ما كان يرجوه من المهادنة هو حقن الدماء.



٢- صلاح الأئمة عموماً والأتباع خصوصاً.

إنَّ عنوان الصلاح والإصلاح عنوان واسع تنضوي تحته الكثير من المفاهيم، وحينما يستعمله المعصوم (عليه السلام) فإنه يشمل كل ما لذلك العنوان من معنى واسع قد لا يمكن الإحاطة وإدراك تمام معناه ومقصود المعصوم ومراده الجدي الحقيقي منه. وقد أكد الإمام الحسن (عليه السلام) في موارد عدة أنه إنما طلب صلاح الأئمة ممّا تمّ بينه وبين معاوية من مهادنة.

فقد روي أنّه (عليه السلام) لما طالبه معاوية بأن يتكلّم على الناس ((وإنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي فتركته لصلاح الأمة وحقن دماؤها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالم، وقد رأيت أن أسأله، ورأيت أن ما حقن الدماء خير ممّا سفكها، وأردت صلاحكم))^(١١٥) ونقل الشعبي مثل هذا القول أو قريب منه^(١١٦).

هذا الإصلاح يتحقّق تارةً في الإبقاء على أصحابه المؤمنين وأتباعه الصالحين، وهذا ما أبانه الإمام (عليه السلام) في جواب من استشكل متجاوزاً حدود آداب الخطاب مع الإمام (عليه السلام)، فقال مخاطباً له: يا مذلّ المؤمنين!!! أو من قال: سودت وجوه المؤمنين، فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): ((ما كل أحد يحب ما تحب، ولا رأيته رأيك، وإنّما فعلت ما فعلت إبقاء عليكم))^(١١٧). وكذلك فإنّ السلم والاستقرار يكون من عوامل صلاح الأئمة وأفرادها؛ إذ يمكنها أن تتوجّه لبناء ذاتها، وترسيخ أفكارها وعقائدها فتستعد لمواجهة عدوّها.

ومن هنا ورد في حديث عن الإمام عليّ (عليه السلام) يصف أبغض الخلائق إلى الله تعالى وقال إنّها رجلان: ((رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل ورجل قمّش جهلاً، موضع في جهل الأمة، عادٍ في أغباش الفتنة، عمّ بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس علماً، وليس به...))^(١١٨) فجاهل عادي وهو المسرع في غبش الفتنة وظلمتها، وأعمى عمّا في عقد الهدنة من الفوائد والمنافع^(١١٩).

فللهدنة منافعها وفوائدها التي ينبغي للأئمة تحصيلها واستصلاح أمرها من خلال ذلك، وهذا ممّا لا شكّ فيه أنّه كان أحد المعاني المقصودة للإمام الحسن (عليه السلام) في هدنته مع معاوية.



٣- كون فعله حَجَّةً على المتمسِّك بالسلطة على حساب دماء الناس
((وأن يكون ما صنعت حَجَّةً على من كان يتمنَّى هذا الأمر، وإن أدري لعلَّه فتنة لكم
ومتاع إلى حين))^(١٢٠).

كثيراً ما يتشبَّه أهل السلطة بها والظروف ليس مؤاتية لهم فيهلكون الحرث والنسل؛ تمسُّكاً
بالملك على حساب مصالح العامَّة ورغد عيشهم، ويدخلون البلاد في أتون صراعات وحروب
إشارةً لتلك المكاسب الفئوية والمصالح الشخصية التي يبتغونها لهم ولأتباعهم، فتكون النتائج
مضرةً بالأُمَّة من جميع الجهات، حتَّى يصل المقام إلى الإضرار بدين الناس ومعتقداتهم.
ومن المنافع التي صرَّح بها الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، والمترتبة على تلك المهادنة هو سنَّ
تلك السُنَّة الحسنة التي يقتدي بها مَنْ لم تخدمه الظروف وتعينه على الاحتفاظ بالسلطة، فيبادر
إلى تركها حفظاً للمصالح العام، وله بالإمام المعصوم (عليه السلام) أسوة حسنة.

النتائج

إنَّ من أهمِّ ما توصل إليه البحث من نتائج هو ما يلي:

١١٠

- ١- أنَّ البيعة مفهوم سياسي أقرَّه الشرع الإسلامي الحنيف وهو قائم في شرع من قبلنا.
- ٢- أنَّ البيعة عقد شرعي متكامل الأركان من إرادة ومبرز للإرادة ومحل وقع عليه العقد
ومتعاقدان.
- ٣- أنَّ للبيعة نوعين هما: بيعة إقرار وبيعة إنشاء.
- بيعة الإقرار: هي بيعة الأُمَّة لأوليائها الشرعيين الذين أمرت الشريعة بطاعتهم وولايتهم،
وهي بيعة واجبة لا يجوز التخلف عنها.
- وبيعة إنشاء: وهي عقد تلتزم من خلاله الأُمَّة بطاعة من يتنصب عليها من غير ولايتها
الشرعيين سواء كان تنصيبه بالغلبة أو بغيرها.
- ٤- أنَّ بيعة الأُمَّة للإمام الحسن (عليه السلام) كانت بيعة إقرار، لكنَّ الأُمَّة تراجعت في تحمل مسؤولياتها
تجاه تلك البيعة الأمر الذي اضطره لمهادنة معاوية وتسليم الأمر إليه، فكان كل السبب في
ذلك هو نكوص الأُمَّة عن الوفاء بالتزاماتها المترتبة عليها في عقد البيعة.



الهوامش

- ١- سورة هود: آية (٨٨)
- ٢- ينظر لسان العرب، ابن منظور: ٨ / ٢٦.
- ٣- سورة الفتح: آية (١٠).
- ٤- سورة التوبة: آية (١١١).
- ٥- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلاميّة، الشيخ حسين المنتظري: ٥٢٣.
- ٦- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: ١ / ٢٦١.
- ٧- ينظر تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: ١ / ٢٦١.
- والمُنسَط: ما يُخَفُّ إليه ويُؤَثَّرُ فعله. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة: ٢ / ٩٢٢.
- ٨- الفقه المنهجى على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في تأليف هذه السلسلة: الدكتور مُصطفى الحنّ [ت ١٤٢٩ هـ]، الدكتور مُصطفى البُغا، عليّ الشربجي: ٨ / ٢٦٨.
- ٩- ينظر المصدر نفسه
- ١٠- ينظر التأصل لقود الإذعان وفق مباني الفقه الإمامي، للكاتب: ١٩
- ١١- ينظر مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني: ٢ / ٢٣٨.
- ١٢- الشروط أو الالتزامات التبيعية في العقود، السيد محمّد تقي الخوئي (قدس سره): ١ / ٩٩
- ١٣- ينظر مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١ / ١٥٧.
- ١٤- الفايق في غريب الحديث، الزمخشري: ٣ / ٣٩٨.
- وقوق: اسم ملك من ملوك الروم واليه تنسب الدنانير القوقية. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٤ / ١٢٢، ولسان العرب، ابن منظور: ١٠ / ٣٢٥.
- وأما هرقل فهو أوّل من ضرب الدنانير، وأوّل من أحدث البيعة. ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٤ / ١١١.
- ١٥- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: ١ / ٢٦١.
- ١٦- سورة الكهف: آية (٦٦).
- ١٧- م.ن. آية (٩٤).
- ١٨- سورة القصص: آية (٢٧).
- ١٩- ينظر إيضاح الفوائد، ابن العلامة الحلي: ٣ / ٣٨٩.
- ٢٠- ينظر التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (قدس سره): ٧ / ٧٠.
- ٢١- ينظر مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٦٢.
- ٢٢- سورة الكهف: آية (٦٦).
- ٢٣- ينظر تفسير الرازي، فخر الدين الرازي: ٢١ / ١٥١.
- ٢٤- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلاميّة، الشيخ حسين المنتظري: ٥٢٣.

- ٢٥- ينظر بحوث فقهية مهمة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظله): ٤٧٨.
- ٢٦- غياث الأمم في التياث الظلم، إمام الحرمين، الجويني: ٢٧٦.
- ٢٧- ينظر مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس سره): ٢١ / ١٩٥.
- ٢٨- م.ن. ١٨ / ٢٤٨.
- ٢٩- الإرشاد، الشيخ المفيد (قدس سره): ١ / ٢٤٣.
- ٣٠- دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ٢ / ٩٥.
- ٣١- بحوث فقهية مهمة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظله): ٤٧٨.
- ٣٢- سورة الفتح، آية (١٠).
- ٣٣- م.ن. آية (٩).
- ٣٤- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: ١ / ٢٦١.
- ٣٥- ينظر المصدر نفسه.
- ٣٦- ينظر الانتصار، السيد المرتضى: ٣٥٤.
- ٣٧- فقه الصادق عليه السلام، السيد محمد صادق الروحاني (قدس سره): ٢٣ / ٣٢٨.
- ويستدل له بالرواية الواردة عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام في رجل عاهد الله عند الحجر ألا يقرب محرماً أبداً، فلما رجع عاد إلى المحرم، فقال عليه السلام: ((يعتق أو يصوم أو يطعم ستين مسكيناً، وما ترك من الأمر أعظم، ويستغفر الله ويتوب)). النوادر، أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي: ١٧٣.
- ٣٨- ينظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي: ٨ / ١٩٠.
- ٣٩- الإرشاد، الشيخ المفيد (قدس سره): ١ / ٢٤٣.
- ٤٠- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي: ٤ / ٣٠٤.
- ٤١- مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني: ٢ / ٢٣٨.
- ٤٢- سورة المائدة: آية (١).
- ٤٣- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (قدس سره): ١ / ٢٨٩، ووسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي (قدس سره): ٢٣ / ٣٢٧.
- ٤٤- حاشية المكاسب، الشيخ الأصفهاني (قدس سره): ٥ / ١٠٧.
- ٤٥- ينظر فقه العقود، السيد كاظم الحائري (دام ظله): ١ / ٣٢٣.
- ٤٦- ينظر نظرية العقد، الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري: ١ / ١٦٨ - ١٦٩.
- ٤٧- فقه العقود، السيد كاظم الحائري (دام ظله): ١ / ٣٢٣.
- ٤٨- ينظر مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام لزين الدين العاملي (الشهيد الثاني) (قدس سره): ٥ / ٣١٠.
- ٤٩- ينظر القواعد والفوائد، الشهيد الأول (قدس سره): ١ / ١٦٥، ونضد القواعد الفقهية، المقداد السيوري (قدس سره): ١٣٩.

- ٥٠- عوائد الأيام، المحقق النراقي (قدس سره): ١٥٩.
- ٥١- ينظر نهاية المرام، السيد محمد العاملي (قدس سره): ١ / ٢٤٤.
- ٥٢- ينظر جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ النجفي الجواهري (قدس سره): ٢٢ / ٢٦٦.
- ٥٣- وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي (قدس سره): ١ / ٣٥ ح ١٠.
- ٥٤- ينظر تحرير المجلة، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قدس سره): ١ / ١٨.
- ٥٥- ينظر مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني: ٢ / ٢١١.
- ٥٦- سورة الفتح: آية (١٠).
- ٥٧- ينظر مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني: ٢ / ٢١١.
- ٥٨- ينظر تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره): ١٨ / ٢٧٤.
- ٥٩- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، الشيخ حسين المنتظري: ١ / ٥٢٦.
- ٦٠- الكافي، الشيخ الكليني (قدس سره): ١ / ٤٠٥.
- ٦١- ينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٩٥.
- ٦٢- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ٨٢.
- ٦٣- سورة الفتح: آية (١٠).
- ٦٤- ما وراء الفقه، السيد محمد الصدر: ٢ / ٢٦٨.
- ٦٥- سورة التحريم، آية (١٢).
- ٦٦- ينظر مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١ / ١٥٧.
- ٦٧- م.ن.
- ٦٨- صحيح البخاري، البخاري: ٨ / ١٢٢.
- ٦٩- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (قدس سره): ٢٢ / ٢٧٨.
- ٧٠- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صالح): ٧٩.
- ٧١- ينظر نظام الحكم في الإسلام، الشيخ المنتظري، تحقيق: قام بالتلخيص والتعليق لجنة الأبحاث الإسلامية في مكتب سماحته، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٠ ش، المطبعة: هاشميون.
- ٧٢- الإرشاد، الشيخ المفيد (قدس سره): ١ / ٢٤٣.
- ٧٣- دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ٢ / ٩٥.
- ٧٤- علل الشرائع، الشيخ الصدوق (قدس سره): ١ / ٢١١، والإرشاد، الشيخ المفيد (قدس سره): ٢ / ٣٠.
- ٧٥- الكافي، الشيخ الكليني (قدس سره): ١ / ٢٩٧.
- ٧٦- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١ / ٨٢.
- ٧٧- سورة الشورى: آية (٢٣).
- ٧٨- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي: ٢ / ١٥٥-١٥٦.
- ٧٩- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٥٢، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ابن عساكر: ١٧١.

- ٨٠- الخارجين من الميثاق والبيعة، يعنى البغاة ومخالفى الإمام، ويقال: لكل من خرج من إسلام أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحرم: محل. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٥٢.
- ٨١- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ٤ / ١٢١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢ / ٧٥١.
- ومما يذكر من حماس قيس بن سعد وجهه لعل عليه السلام أن أباه ذكر أمراً من أمور أمير المؤمنين عليه السلام يوجب ولايته، فقال له أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب، ثم تطلب الخلافة ويقول أصحابك منّا أمير ومنكم أمير! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً. ينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٤ / ٦.
- ٨٢- التوحيد، الشيخ الصدوق (قدس سره): ٣٨٧، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (قدس سره): ٣ / ١٩٦، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٣ / ٢٦٣، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٦٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٢٦٦.
- ٨٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٢.
- ٨٤- تنزيه الأنبياء عليه السلام، الشريف المرتضى (قدس سره): ٢٢٤.
- ٨٥- النغب: جمع نغبة وهي الجرعة، والتهام بفتح التاء: الهم، أنفاساً أي جرعة جرعة. ينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٠ / ٢.
- ٨٦- الكافي، الشيخ الكليني (قدس سره): ٥ / ٦.
- ٨٧- سورة النحل، آية (٩٢).
- ٨٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦ / ١٢٧.
- ٨٩- المصدر نفسه: ٤٢.
- ٩٠- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ٤ / ١٢٣، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٣ / ٢٦٣.
- ٩١- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ابن عساكر: ١٨٢.
- ٩٢- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٢.
- ٩٣- المصدر نفسه: ٤٢.
- ٩٤- ينظر ترجمة الامام الحسن عليه السلام، ابن عساكر: ١٧٤.
- ٩٥- ينظر تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي: ١ / ٥٧٤.
- والدهاة الخمسة وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بديل.
- وكان قيس وعبد الله بن بديل مع الإمام علي عليه السلام، والمغيرة بن شعبة معتزلاً بالطائف، حتى حكّم الحكمان.
- ٩٦- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ٤ / ١٢٢. ترجمة الامام الحسن عليه السلام، ابن عساكر: ١٧٤، وامتناع الأسماع، المقرئ: ٥ / ٣٥٩.
- ٩٧- ينظر الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي: ٢ / ٦٤٣.
- ٩٨- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ابن عساكر: ١٨٠.
- ٩٩- ينظر أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري): ٣ / ٤٦.

١٠٠- رجال ابن داوود، ابن داوود الحلي: ١٠٠.

١٠١- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١٠ / ٢.

١٠٢- المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعة): ٤١٧.

١٠٣- ينظر علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١ / ٢١٢.

١٠٤- م.ن. ١ / ٢٤١.

١٠٥- ينظر الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ٤ / ٢٩٣، وكشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح

الإربلي: ٢ / ١٩٤.

والرواية هي أنّ الإمام الحسن عليه السلام احتجّ على أهل الكوفة بمحتوى البيعة؛ إذ قال: ((إنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت لصالح الأئمّة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمته وتحاربون من حاربته، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد بايعته....))

١٠٦- ينظر تنزيه الأنبياء عليه السلام، الشريف المرتضى (قدس سره): ٢٢٤.

١٠٧- ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٤ / ٢٦.

ويقال للصالح بعد القتال والمؤادعة بين المسلمين والكفار وكل متحاربين: هُدْنَةٌ، وربما جعلت للهْدْنَةُ مَدَّةً معلومة، فإذا انقضت المدة عادوا إلى القتال. ينظر لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٤٣٤.

وقيل المهادنة: المعاقدة على ترك الحرب مدة معلومة بغير عوض، والتقدير في المدة إلى الإمام، ولا يبلغ السنة. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي (قدس سره): ٦ / ٣٢٨.

١٠٨- لقد وصف القرظي حال المهادنة تلك فأجاد الوصف في بيان أسبابها، ونحن ننقل نصّ كلامه لما فيه من بيان واع للحقّ والحقيقة؛ إذ قال: ((كان أبو عبد الله الحسن بن علي عليه السلام أعلم بالله وأخوف له، وأشجّ على دينه وأفقه من أن يأخذ بالإمامة، التي وجبت له من الله ورسوله عرضاً من الدنيا، أو يعتاض بها شيئاً من معاوية، وإنّا كان الأمر في ذلك أنّه ندب الناس إلى حرب معاوية، وجهد فيه ووجه قيس بن سعد وعبيد الله بن عباس على مقدّمته، وأتبعهم بنفسه مرتحلاً في عسكره، فاختلف أصحابه عليه ميلاً منهم إلى إثارة الدنيا، وغشوه وكاتبو معاوية، وسألوه الدنيا الخبيثة، ثمّ وثبوا على الحسن فانتبهوا رحله، فلمّا لم يجد رحمه الله للحقّ ناصراً، ولا لدين الله ثائراً، ولا معيناً، إلّا شذمة قليلة، خاف إنّ هو حارب بهم أن يصطلموا فلم يبق لدين الله ناصر، ولا داع إليه، ولا قائم بحقه، فضع بأهل بيته عن الهلكة، كما فعل أبوه أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فلمّا رأى الحسن عليه السلام من فعل من معه، ما استدلّ به على خلافهم له، وميلهم عنه إلى الدنيا، وزهدهم في الآخرة، ورفضهم الحق، لم يسعه فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ إلّا الإبقاء على نفسه، وأهل بيته فراوغ حينئذ معاوية، ووثق في الشرط عليه، والأمان للناس جميعاً، وأخذ عليه أشدّ ما أخذ الله على أحد بالوفاء، إعطاء من نفسه، مثل ما دخل فيه علي عليه السلام من الشورى)). إمتاع الأسعاع، القرظي: ١٢ / ٢٠٦.

١٠٩- ينظر علل الشرائع، الشيخ الصدوق (قدس سره): ١ / ٢١٣.

١١٠- علل الشرائع، الشيخ الصدوق (قدس سره): ١ / ٢١١.

١١١- تنزيه الأنبياء عليه السلام، الشريف المرتضى (قدس سره): ٢٢٤.

- ١١٢- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٥٢.
- ١١٣- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري): ٣ / ٤٩.
- ١١٤- م.ن. ٣ / ٤٦.
- ١١٥- تنزيه الأنبياء ﷺ، الشريف المرتضى (قدس سره): ٢٢٤.
- ١١٦- إمتاع الأسماع، المقرئ: ١٢ / ٢٠٦.
- ١١٧- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري): ٣ / ٤٦.
- ١١٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٢٨٣.
- ١١٩- في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية (قدس سره): ١ / ١٤١.
- ١٢٠- تنزيه الأنبياء ﷺ، الشريف المرتضى (قدس سره): ٢٢٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي
الخصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام
محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت
- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* الإرشاد، الشيخ المفيد، (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق:
مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الطبعة: الثانية،
سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

* الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (تحقيق
الزيني)، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني،
الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

* الانتصار، الشريف المرتضى، (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق:
مؤسسة النشر الإسلامي، سنة الطبع: شوال المكرم
١٤١٥، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

* أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر
(البلاذري)، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: الشيخ محمد
باقر المحمودي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٣٩٧ -
١٩٧٧م، الناشر: دار التعارف للمطبوعات.

* إمتاع الأسعاب بما للنبي من الأحوال والأموال
والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو
العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت:
٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر:
دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠
هـ - ١٩٩٩م.

* الأمثل في تفسير كتاب الله، المنزل الشيخ ناصر
مكارم الشيرازي، ت: معاصر.

* إيضاح الفوائد، ابن العلامة الحلبي، (ت: ٧٧٠هـ)،
تعليق: السيد حسين الموسوي الكرماني، الشيخ علي

بناه الاشتهادي، الشيخ عبد الرحيم البروجردي،
الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٩، الناشر: مؤسسة
إسماعيليان.

* بحار الأنوار، العلامة المجلسي، (ت: ١١١١هـ)،
تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثانية
المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر:
مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

* بحوث فقهية مهمة، الشيخ ناصر مكارم
الشيرازي (دام ظله)، الطبعة الأولى، سنة الطبع:
١٤٢٢، المطبعة: نسل جوان - قم، الناشر: نسل
جوان للطباعة والنشر - قم.

* تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)،
تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٥، طباعة
ونشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
- لبنان.

* تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)،
الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
- لبنان.

* التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، (ت: ٤٦٠هـ)،
تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي،
الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩،
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر:
مكتب الإعلام الإسلامي.

* تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي
(ت: ٤٢١هـ)، تحقيق: الدكتور أبو القاسم إمامي،
الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٧٩ ش - ١٤٢٢ ق -
٢٠٠١م، المطبعة: مطابع دار سروش للناشر، الناشر:
دار سروش للطباعة والنشر.

* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة
الحراني، (ت: ٤ ق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر
الغفاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ -

الإسلامية.

* **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، القاضي النعمان المغربي، (ت: ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف بمصر - القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٣ - ١٩٦٣، ملتزم الطبع والنشر: دار المعارف بمصر ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة.**

* **رجال ابن داود، ابن داود الحلي، (ت: ٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٩٢ - ١٩٧٢م، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ملاحظات: منشورات الرضي - قم - إيران.**

* **سنن النسائي، النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٤٨ - ١٩٣٠م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.**

* **سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، تحقيق: إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغر جي، الطبعة: التاسعة، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٣م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.**

* **شرح تبصرة المتعلمين، آقا ضياء العراقي، (ت: ١٣٦١هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة - الشيخ محمد الحسنون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رمضان ١٤١٤.**

* **شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ملاحظات: مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان.**

* **الشروط أو الالتزامات التبعية في العقود، السيد**

١٣٦٣ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

* **ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، ابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الناشر: مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.**

* **تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة.**

* **تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، (ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.**

* **تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.**

* **تنزيه الأنبياء (عليهم السلام)، الشريف المرتضى، (ت: ٤٣٦هـ)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.**

* **التوحيد، الشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.**

* **حاشية المكاسب، الشيخ الأصفهاني، (ت: ١٣٦١هـ)، تحقيق: الشيخ عباس محمد آل سباع القطيفي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩، المطبعة: نهضت، الناشر: ذوي القربى.**

* **دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، الشيخ حسين المنتظري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جمادي الثانية ١٤٠٨، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: المركز العالمي للدراسات**

محمّد تقي الخوئي (قدس سره) ت: ١٤١٥ هـ، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان.

* صحيح البخاري، البخاري، (ت: ٢٥٦ هـ)، سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

* [العبر و] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

* الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، (ت: ٢٨٣ هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

* مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، (ت: ١٣٤٨ هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٤٢١، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

* ٣٦. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (ت: ٤٢٥ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٧، المطبعة: سليمان زاده، الناشر: طليعة النور.

* ٣٧. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، (ت: ٣١٤ هـ)، تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١، المطبعة: دار الأضواء، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

* ٣٨. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة

الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣. * ٣٩. فقه الصادق (عليه السلام) السيد محمد صادق الروحاني، ت: معاصر، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: العلمية، الناشر: مؤسسة دار الكتاب - قم. * ٤٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

* ٤١. النوادر، أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، (ت: ق ٣ هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) - قم المقدسة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤٠٨، المطبعة: أمير - قم، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) - قم المقدسة.

* ٤٢. الفايق في غريب الحديث، الزنجشيري، (ت: ٥٣٨ هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٦ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

* ٤٣. فقه العقود، السيد كاظم الحائري (قدس سره)، الطبعة الرابعة ١٤٣١ هـ، المطبعة: شريعت، الناشر مجمع الفكر الإسلامي - قم.

* ٤٤. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م.

* ٤٥. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١ هـ)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.

* العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، (ت: ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

* غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد

مرتضوي، ملاحظات: تهران، ناصر خسرو، پاساژ مجیدی / ليتوگرافي طراوت

* المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، (ت: ق ٤ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤١٥، المطبعة: الفارسي - قم، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانور.

* المناهل، السيد محمد بن علي الطباطبائي، (ت: ١٢٤١ هـ).

* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، (ت: ٥٨٨ هـ)، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

* النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، (ت: ٦٠٦)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٤ ش، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم - إيران.

* نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صالح)، (ت: ٤٠ هـ)، تحقيق: ما أختاره وجمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م.

* وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم المشرفة

الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨ هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ.

* كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي، (ت: ٦٩٣ هـ)، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.

* الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

* النجعة في شرح اللمعة، الشيخ محمد تقى التستري، (ت: ١٤١٦ هـ)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٦، الناشر: كتاب فروشى صدوق.

* ما وراء الفقه، السيد محمد الصدر، (ت: ١٤٢١ هـ)، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤٢٧ - ٢٠٠٧ م، المطبعة: قلم، الناشر: المحبين للطباعة والنشر.

* مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩ هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ.

* مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، (ت: ١٠٨٥ هـ)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: شهر ربيع ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانه طراوت، الناشر:

الوعي القيادي وأثره
في اتخاذ القرار عند الإمام الحسن عليه السلام



م.د. أحمد عدنان عبود
مدير الإدارة العامة - ديوان محافظة بابل

ملخص البحث

من الأمور التي شدّد عليها الشرع المقدّس هو السعي لمعرفة الأئمة عليهم السلام، وذلك لارتباطه بسلسلة المعرفة العقدية التي وردت في دعاء زمن الغيبة (اللهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تُعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تُعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهمّ عرّفني حجتك فإنّك إن لم تُعرّفني حجتك ضللت عن ديني).

أسعى في بحثي هذا أن أعرف ببعض خصائص الإمام الحسن عليه السلام من خلال وعيه القيادي في اتّخاذ القرارات لدفع المشكلات التي ابتلي فيها المجتمع الإسلامي؛ بسبب الحكم الأموي والتركيز على أبرز حدث في حياته الشريفة وهو الصلح، وكيفية التعامل مع خصومه ومواليه بعد هذا الحدث المهم، واستعرضنا أسباب الصلح وبعض النصوص الروائية التي توضح لنا سياسة الإمام الحسن عليه السلام مع المحيط الذي هو فيه، وقد اتّبعت المنهج الوصفي والتحليلي في كتابة البحث، واشتمل البحث على:

مقدمة وتمهيد وجانباً من سيرة الإمام في الحكم، وثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول متعلّق بـ: أسباب الصلح مع معاوية، والمبحث الثاني انحصر في بيان سياسة الإمام الحسن عليه السلام مع معارضيّه وخصومه، وختمنا في المبحث الثالث في سياسة الإمام عليه السلام مع أصحابه ومواليه، ثمّ استنتاجات البحث.

الكلمات المفتاحية: الوعي، القيادة، الصلح، السياسة، الخصوم.

Abstract

One of the essential aspects emphasized by the sacred Islamic law is the pursuit of knowledge about the Imams (peace be upon them), as it is intrinsically pertinent to the chain of doctrinal understanding outlined in the Invocation Zamn Al-Ghaibah: "O Allah, make me know You; for if You do not make me know You, I will not recognize Your Messenger. O Allah, make me know Your Messenger; for if You do not make me know Your Messenger, I will not recognize Your Proof. O Allah, make me know Your Proof; for if You do not make me know Your Proof, I will stray from my religion."

In this study, the focus will fall on some of the characteristics of Imam Hasan (peace be upon him) by examining his leadership acumen in making decisions to address the challenges that afflicted the Islamic society due to Umayyad rule. The focus is on the most significant event in his noble life, the peace treaty, and how he dealt with both his opponents and his supporters following this pivotal event.

The research explores the reasons behind the treaty and includes selected narrations that clarify Imam Hasan's (peace be upon him) policies in dealing with his environment. A descriptive and analytical methodology was employed in this study, which is structured as follows:

The study begins with an introduction and preface, providing an overview of Imam Hasan's (peace be upon him) tenure as a leader. The main body of the research is divided into three sections: The Reasons for the Peace Treaty with Muawiyah: This section delves into the underlying factors that led Imam Hasan (peace be upon him) to opt for reconciliation.

The policies of Imam Hasan toward Opponents and Adversaries: This part focuses on the Imam's (peace be upon him) approach and strategies in dealing with those who opposed him. His Policies Toward Supporters and Allies: The final section examines how the Imam (peace be upon him) engaged with his loyal companions and followers post-reconciliation. The study concludes with a summary of findings and key insights.

Keywords: Awareness, Leadership, Reconciliation, Politics, Adversaries.

المقدمة

الحمد لله الأوّل قبل الإنشاء والإحياء والآخر بعد فناء الأشياء، العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا ينقص من شكره ولا يخيب من دعاه، وصلّى يا ربّ على من أرسلته رحمة للعالمين حبيبك وحبیب العالمين، سيّدنا المصطفى محمد ﷺ، وعلى أهل بيته المصطفين سفينة النجاة وعدل الكتاب والشفعاء يوم يقل الزاد، وعلى المتجبن من صحبه الكرام.

وبعد:

فيعدّ الإمام الحسن المجتبی ﷺ واحداً من أبرز الشخصيات العظيمة التي ملأت التاريخ عموماً، والتاريخ الإسلامي بشكل خاصّ فكرًا وعطاءً، وكيف لا يكون كذلك وهو رابع خمسة اصطفاهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ لكن الظروف التي رافقت الإمام الحسن ﷺ كانت ظروف عصيبة ومفصلية في تاريخ الإسلام؛ لذلك استلزمت من الإمام ﷺ اتخاذ قرارات جريئة وحاسمة؛ لأنّها تؤسّس للحاضر آنذاك ولما بعده من المستقبل، وبالفعل فقد اتخذ الإمام ﷺ قراره بالصلح مع معاوية، وربما هذا القرار ما يزال الإمام ﷺ يدفع الثمن عنه من سمعته على الرغم من أنّه كان قراراً حكيماً حفظ به الإمام ﷺ وحدة الأمة الإسلامية وحفظ دماء أصحابه ومواليه، وهنا تكمن أهميّة البحث كونه يعدّ دفاعاً عن مظلوميّة الإمام الحسن المجتبی ﷺ، وردّاً على الأقلام المأجورة والجاهلة بحقيقته ﷺ وإيضاح جزء من وعيه القيادي.

هيكلية البحث:

تضمّن البحث: مقدّمة، وتمهيد وقدمنا فيها معلومات عامّة عن حياة الإمام العامّة وجزء من حياته الخاصّة، وتناولنا بعد ذلك ملخص لسيرته في الحكم، وثلاثة مباحث: وسمنا المبحث الأول بـ: سياسة الإمام الحسن ﷺ مع معارضيّه وتعامله مع خصومه، وسلطانا فيه الضوء على الأساليب التي اتبعتها وابتدعتها مؤسّسة الحكم الأموي بقيادة معاوية مع الإمام الحسن ﷺ بشكل خاص، ومع أتباعه ومواليه بشكل عام، وكيف استطاع الإمام بحكمته وحنكته عدم الانجرار إلى مستنقع الأمويين بعدم الرد عليهم بالأسلوب نفسه؛ بل

إنَّه (عليه السلام) فنَّد كلَّ أباطيلهم بالأعمال الحسنة التي قام بها.

أما المبحث الثاني فقد وسمناه بـ: "(أسباب إبرام الصلح مع معاوية)، ودرسنا في أبرز الأحداث والأُمور التي دعت الإمام (عليه السلام) لعقد الصلح.

وخصصنا المبحث الثالث لأسلوب تعامله مع أتباعه، وكان تحت عنوان: (سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) مع أصحابه)، وبيَّنا كيف أنَّه (عليه السلام) كان حريصًا على حفظ دمائهم، وأوضح لهم الأسباب الباطنية التي دعت به إلى إبرام الصلح، وكان جزء من ذلك باطلاعهم على مكنوناته العلميَّة.

وأخيرًا نسأل الله التوفيق في عملنا وأن نكون قد رفعنا جزءًا من ظلامه التاريخ بحقِّ إمامنا المجتبي صلوات الله وسلامه عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

تمهيد:

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد وريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، ولد في الخامس من شعبان، وقيل في نصف من رمضان سنة (٣) للهجرة، والرأي الثاني الأقرب إلى الصواب^(١)، وهو رابع أصحاب الكساء، وأحد الذين باهل بهم النبي ﷺ نصارى نجران^(٢)، والإمام الثاني من أئمة أهل البيت عليه السلام.

عاش الإمام الحسن عليه السلام في كنف والديه وفي ظل جدّه النبي الأكرم محمد ﷺ الذي أغدق عليه من علومه وأشبعه رعايةً وحبًّا، وقال عنه عليه السلام أحاديث عدّة، نقتبس منها: "أمّا الحسن فله هيتي وسؤددى..."^(٣)، وقوله في حبّه وحبّ أخيه الحسين عليه السلام: "هم ریحانتاي من الدّنيا"^(٤)، وكان الحسن عليه السلام أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس^(٥).

استلم الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة (٤٠) للهجرة، وبويع بالخلافة بعد شهادة الإمام علي عليه السلام حتّى عدّه كثير من المؤرخين بأنّه الخليفة الراشدي الخامس^(٦)، وسار بسيرة جدّه وأبيه (صلوات الله وسلامه عليهما وأهلها)، وذكر المؤرخون أنّه حجّ ماشياً وقسّم ماله نصفين^(٧)، وهذا يعني أنّه عاش زاهداً بالدنيا ولا يفكر بحطامها، وكان يتغني رضا الله تعالى في أعماله الدنيّة والدنيويّة، وكيف لا يكون كذلك وقد تربّى في أطهر حجر، وهو أوّل مولود نتج عن اشتراك النبوّة والإمامة.

سيرته في الحكم:

سار الإمام الحسن عليه السلام كما أسلفنا بسيرة جدّه وأبيه في الحكم، وكان همّه الأكبر هو ترسيخ الإسلام المحمّدي في نفوس الناس وحقيقة، فإنّه كان يهدف إلى الارتقاء بالمجتمع، وكيف أنّه استعمل الحكمة في جميع المواقف التي تعرض لها، فنراه مرّةً مجاهداً بالسيف؛ ولكن لم تكن تلك السمة الغالبة على سيرته العطرة، وأخرى بالفكر، وثالثة بالحكمة، وكان همّه الأكبر هو الحفاظ على دين جدّه المصطفى ﷺ والحفاظ على شيعته ومواليه؛ لذلك قام بإبرام الصلح من معاوية.

المبحث الأول

سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) مع معارضيهِ وتعامله مع خصومه

سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) مع معارضيهِ:

قبل التعرف على سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) لابدّ لنا من التعرف على المنهج الذي اتبعه معارضوه، فقد اتبع معاوية الذي كان رأس المعارضة للعلويين وسيّدهم الإمام الحسن (عليه السلام) أمور عدّة ستتطرق لبعضها بشيء من الاختصار:

١- اتباع سياسة اتّهام الخصم: ولا يشمل هذا الاتّهام شخصاً بعينه؛ بل كيل الاتّهامات الجماعيّة التي لا يُشترط الصدق فيها، وتكرارها لترسخ في أذهان الناس (اعتماد مبدأ كذب كذب حتّى يصدّقك الناس)، فقام الأمويون بحملةٍ لتشويه البيت العلوي وكل من انتمى لهذا البيت، فنجد أنّ الشامي يصاب بالذهول عندما يسمع أنّ عليّاً (عليه السلام) كان يصلي^(٨).

٢- تخويف الناس من الخصم: عملت المؤسّسة الأمويّة بزعامة معاوية باختلاق أعداء داخل المجتمع مستخدمين المبدأ الذي عرف بالتاريخ الحديث بـ: "مبدأ فرق تسد"، فقاموا بالتفريق بين القبائل اليمنيّة الموالية لهم والمعارضة لهم كقبيلة همدان المعروفة بتشيعها لعلي (عليه السلام)^(٩)، وتفريق وتفضيل أهل الشام على غيرهم من العرب؛ ولعلّ حادثة الكوفي الذي أخذ جملة على أنّه ناقة خير شاهد^(١٠).

٣- تصفية الخصوم: دأب معاوية منذ توليه على بلاد الشام على انتهاج منهج مخالف للمنهج الإسلامي، فقد اتّخذ الأبهة في الحكم والزي، حتّى إنّ عمر بن الخطاب عندما قدم إلى الشام ورأى ما رأى استنكر ذلك وقال: أكسروية يا معاوية؟!، فقال له معاوية إنّي في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة، فسكت عمر ولم يخطئه^(١١).

إنّ الكسروية التي انتهجها معاوية لتثبيت أركان حكمه دعت إلى العمل بالمبدأ الميكافيلي القائم على تحقيق الغاية مهما كان الثمن، لذلك فقد أولغ في الدماء لتحقيق ذلك، فتبّع خصومه وقضى عليهم أينما كانوا، وما حادثة قتل الصحابي حجر بن عدي الكندي ما هي إلّا نموذج لتلك السياسة^(١٢).

٤- محاربة الخصوم: أتبع معاوية سياسة محاربة الخصوم وبجميع الوسائل المتاحة له، فقد بعث إلى عمّاله كتاباً جاء فيه: "برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته"، فقامت الخطباء في كل كورة بلعن علي وأهل بيته عليه السلام والبراءة منهم^(١٣)، ولم يكتف معاوية عند هذا الحد؛ بل أصدر أمراً آخر كان الهدف منه دقّ اسفين بين أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وهو أشدّ قسوة من سابقه "من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته عليهم السلام محوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة"^(١٤)، ولم يشبع الكتابين السابقين المرض النفسي الذي أصاب معاوية حتّى راح يتجاوز جميع الخطوط الحمراء التي أمر بها الشرع المقدّس فأصدر أمراً آخر أشدّ ظلماً وهو "من اتهمتموه ولم تقم عليه البيّنة فاقتلوه"^(١٥)، فقتلوههم على التّهم والظنّ والشبهة تحت كلّ كوكب، حتّى كان الرجل يسقط بالكلمة فتضرب عنقه، وفي أمر شديد الوطأة على أتباع أهل البيت عليهم السلام صدر أمر من معاوية جاء فيه: "من اتهمتموه بمولاة هؤلاء القوم- ويعني أهل البيت عليهم السلام - فنكّلوا به واهدموا داره"^(١٦)، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة، حتّى إنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك القرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا بها الأموال والضياع والمنازل حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رروها ولا تدينوا بها، فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض^(١٧).

بعد أن وصل الحال بالشيعة إلى هذا الحد بلغ بهم الأمر إلى أن يقال للرجل زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة على عليه السلام^(١٨).

كان الهدف من هذه الأعمال التي اقترفها الأمويون من دون ورع ووازع ديني يذكر هو لعزل



أهل البيت (عليهم السلام) عن أتباعهم، وعزلهم وأتباعهم عن المجتمع، وضمان عدم تمددهم وتوسعهم، وبهذه الأفعال لم يبق شيعة في العراق لاسيما بعد حملة التهجير القسري التي قام بها زياد بن أبيه الذي روى لنا المؤرخون أنه أبعد خمسين ألفاً مع عيالاتهم من البصرة ومثلهم من الكوفة إلى خراسان^(١٩).

٥- ضرب الخصوم بالصميم: إن أكثر ما ركّز عليه معاوية لضرب خصومه بالصميم هو العمل على تشويه صورة إمامهم الحسن (عليه السلام)، فاتباع أمور عدّة لعلّ من أبرزها:

أ- تصوير الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه محبّ للمال، وأنه طلب من معاوية المال مقابل التنازل عن الخلافة، متدرّعا بأحد بنود الصلح الذي يشترط إعطاء الإمام ما موجود في بيت مال الكوفة من أموال؛ في حين كان الإمام الحسن (عليه السلام) وهو المعصوم ومن أهل البيت الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ينظر لما يلوح في الأفق من مظالم سيتعرض لها أتباعه على يد معاوية وجلاوزته، فأراد أن يضمن لهم حياة مكفولة ما أمكنه ذلك.

ب- تهمة النساء وتصوير الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه كان لا همّ له غير النساء، وأنّه كثير الزواج (رجل منكاحاً مطلقاً)^(٢٠)، فنسجوا الأخبار والروايات الباطلة التي تدعّم توجههم هذا، وتناقلوها كابراً عن كابر حتّى عدّ هذا الأمر من المسلّمات، والإمام (عليه السلام) منه براء لأسباب عدّة، أهمّها أنّه يخالف عصمته والصفات والملكات التي تحلّى بها، ناهيك عن تربيته التي كان المسؤول الأوّل عنها نبي الرحمة.

تعامل الإمام الحسن مع خصومه:

لم ينجر الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الحرب التي شنها الأمويون ضده و ضد أتباعه، ولم يدافع عن نفسه حتّى؛ لأنّه رأى أن مجرد دفاعه عن نفسه سيجعله موضع شبهة وهو بحدّ ذاته يعد تهمة، واتباع الإمام (عليه السلام) هذا الأسلوب بسبب الفارق الكبير بينه وبين خصومه، فهو ابن محمّد (عليه السلام) وأعداؤه هم الطلقاء وأبناء الطلقاء، وكما قال الشاعر الحيص بيص:

مَلَكُنَا فَكَانَ الْعَفْوَ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ
وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٢١).



فالإمام عليه السلام نأى بنفسه عن ما اتَّخذه عدوّه، ولكنه عمل بأسلوب فرض الواقع، ففند ادّعاءات وافتراءات أعدائه عملياً، ولعلّ حادثة الشامي الذي دخل إلى المدينة، التي مفادها أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يرد، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السلام عليه وضحك وقال: أيّها الشيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كبيراً، فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلّى، والآن أنت أحبّ خلق الله إلّى^(٢٢)، وبهذا الفعل فقد فند الإمام الحسن عليه السلام بالفعل التّهم والافتراءات التي اختلقها ضده أعداءه.

وفي جانب آخر فقد تصدّى الإمام الحسن عليه السلام لخطة الأمويين التي كانت ترمي إلى تفريق الأمّة الإسلاميّة، فقام بعمل اجتماعي استطاع من خلاله رأب الصدع، وهو يعدّ من أهمّ نتائج الصلح، فأبقى الأمّة موحدة، وهذا ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام، بقوله: "والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس..."^(٢٣).

ويضاف إلى أعمال الإمام الحسن عليه السلام أنّه استخدم أسلوب المواجهة الناعمة للإعلام الأموي ففند نظريّة الجبر، التي حاول تسويقها معاوية للمجتمع (أي أنّ العباد مجبورين على طاعته كونه منصوب من الله تعالى)، التي كان يهدف من خلالها إلى تثبيت حكمه؛ فكان للإمام عليه السلام كلمات وخطب ورسائل تدحض مدّعى معاوية، وكانت بحق ثورة فكريّة هائلة مكّنت الإمام الحسن عليه السلام من تثبيت قواعد الإسلام الأصيل، وتوضيح المشتبهات التي حاولت المؤسّسة الأمويّة تعميقها عند المسلمين، ودحض النظريّة التي تقول بعدالة الصحابة بأجمعهم، واختلاق فضائل لهم وبالمقابل طمس فضائل أهل البيت عليه السلام، والثورة الفكريّة التي قادها الإمام الحسن عليه السلام هي التي هيأت الأبطال الذين شاركوا في ثورة كربلاء، التي قادها الإمام الحسين عليه السلام أواخر سنة ٦٠ وبداية سنة ٦١ هجرية، والتي انتهت بشهادته ولكنها أعادت للإسلام نظارته.

المبحث الثاني

أسباب إبرام الصلح مع معاوية بن أبي سفيان

استلم الإمام الحسن (عليه السلام) الإمامة والحكم بعد شهادة أبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي اغتيل على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم يوم ٢١ رمضان سنة (٤٠هـ / ٦٦١م)، والحكم محمّل بأعباء كثيرة، كالتناج التي تمخّضت عنها حروب أبيه التي كانت ضدّ الناكثين والمارقين والقاسطين^(٢٤)، والجيش المنهك من تلك الحروب^(٢٥)، واستمالة معاوية لعدد غير قليل من ذلك الجيش بالأموال والإغراءات^(٢٦)، إضافة إلى تربّص البيزنطيين بالمسلمين لتنشب الفتنة بينهم فينقضوا عليهم ويسقطوا دولتهم؛ كلّ تلك الأمور وغيرها دعت الإمام الحسن (عليه السلام) إلى اختيار مبدأ الصلح وتغليبه على كلّ شيء لحفظ الدين الإسلامي، وإن لم يكن بقيادة أهله، فعقد الصلح مع معاوية على وفق البنود التالية:

- ١- تسليم الخلافة على بلاد المسلمين كلها إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة الصالحين من الخلفاء.
- ٢- أن يكون الأمر من بعده إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، وإن توفي قبل ذلك يكون للإمام الحسين (عليه السلام).
- ٣- يتعهد معاوية بوقف سبّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنابر وغيرها.
- ٤- عدم التعرض للموالين لأهل البيت (عليه السلام) بالملاحقة والأذى.
- ٥- أن يبقى ما في بيت مال الكوفة تحت تصرف الإمام الحسن (عليه السلام)^(٢٧).

المبحث الثالث

سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) مع أصحابه

دأب أهل البيت (عليه السلام) على تربية أصحابهم ومواليهم ومحبيهم على أخلاق السماء التي أقرّها كتاب الله وسنة نبيّه، وكانوا قدوة لهم في كلّ شيء؛ لذلك فقد كان عدد من أصحاب الأئمة كزبر الحديد، فقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال: "كان لي مالك كما كنت لرسول الله ﷺ"^(٢٨)، وكذلك ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) بحقّ أصحابه: "فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي"^(٢٩)، وهذا يؤكّد ما ذهبنا إليه، ولكن وبحكم الواقع لم يكن الأصحاب

بدرجةٍ واحدةٍ من الإيمان والتقوى طبعًا بحكم التربية والإيمان والظروف، وموضوع الصلح الذي أبرمه الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية لم تكن معالمه واضحة لأصحابه؛ لأنهم لم يعلموا المصلحة التي دفعت الإمام لهذا الأمر؛ فمنهم من اعترض على ذلك وسنعرض لأبرز المواقف التي صدرت من بعض أصحابه (عليه السلام)، فقد ورد أنه وبعد الاتفاق على الصلح وبلغ ذلك قيس بن سعد، فقال لأصحابه: اختاروا الآن واحدة من ثنتين: قتالًا مع غير إمام أو بيعة لضلال، قالوا: بل البيعة أيسر علينا من سفك الدماء، قال: فعندها نادى قيس بن سعد فيمن بقي من أصحابه، فانصرف بهم نحو العراق وهو يقول :

أتاني بأرض العال من أرض مسكن بأن إمام الحق أضحي مسلما
فما زلت مذنباته متلدا أراعي نجوماً خاشع القلب ناجما

ثم أقبل قيس بن سعد حتى دخل الكوفة والحسن بن علي (عليه السلام) بها، ثم أرسل إلى قيس بن سعد فدعاه إلى البيعة، فأبى أن يبايع، فدعاه الحسن (عليه السلام) وأمره أن يبايع معاوية، فقال له قيس: يا بن رسول الله إن لك في عنقي بيعه، وإني والله لا أخلعها أبدًا حتى تكون أنت الذي تخلعها، فقال له الحسن (عليه السلام): فأنت في حلٍّ وسعةٍ من بيعتي، فبايع فإني قد بايعتُ، فعندها بايع قيس لمعاوية، فقال له معاوية: يا قيس إني قد كنت أكره أن تجتمع الناس إليّ وأنت حي، فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن يصير هذا الأمر إليك وأنا حي (٣٠).

وبعد أن قام معاوية وخطب خطبته التي تنصّل بها عن بنود الصلح قام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله فداك، ما ينقضي تعجبي منك، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهدًا وميثاقًا في عقد طاهر، لكنّه أعطاك أمرًا بينك وبينه، ثمّ إنّه تكلم بما قد سمعت، والله ما أراد بهذا الكلام أحدًا سواك، فقال له الحسن: صدقت يا مسيب، قد كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: أرى والله أن ترجع إلى ما كنت عليه وتنقض هذه البيعة، فقد نقض ما كان بينك وبينه، قال: ونظر الحسن بن علي (عليه السلام) إلى معاوية وإلى ما قد نزل به من الخوف والجزع، فجعل يسكن الناس حتى سكنوا، ثمّ قال للمسيب: يا مسيب إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه، ولو

أني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء، ولا أثبت عند الوغاء، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء، ولكنني أردت بذلك صلاحكم وكف بعضكم عن بعض، فارضوا بقضاء الله وسلّموا الأمر لله حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر، فبينما الحسن (عليه السلام) يكلم المسيب بهذا الكلام إذا برجل من أهل الكوفة يقال له عبيدة بن عمرو الكندي قد دخل، وفي وجهه ضربة منكورة، وعرفه الحسن (عليه السلام) فقال له: ما هذا الذي بوجهك يا أخا كندة؟ قال: هذه ضربة أصابتنني مع قيس بن سعد، فقال حجر بن عدي الكندي مخاطباً الإمام الحسن (عليه السلام): أما والله لقد وددت أنك متّ في ذلك ومتنا معك، ثم لم نر هذا اليوم، وليس كلّ إنسان يحبّ ما تحبّ ولا رأيته كرايك، وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاءً عليكم، والله تعالى كلّ يوم في شأن، فبينما الحسن (عليه السلام) يكلم حجر بن عدي وإذا برجل من أصحابه قد دخل عليه يقال له سفيان بن الليل البهمي، فقال له: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فلقد جئت بأمر عظيم، هلاً قاتلت حتى تموت ونموت معك، فقال له الحسن (عليه السلام): يا هذا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم يصعدون منبره واحداً بعد واحد، فشقّ ذلك عليه^(٣١)، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٣٢)، إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية^(٣٣)، وهذه المحاورة توضح أن أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) قد ساء لهم عقد الصلح، وأشكلوا على إمامهم الذي هو أعرف بمصلحتهم ومصلحة المسلمين منهم، والإمام (عليه السلام) هنا أظهر لهم جزءاً من علمه اللدني والمكنون في صدره الشريف، ومن هذه المحاورة يتوضّح لنا أيضاً أن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يقسوا على أصحابه حتى في أشدّ الحالات غضباً، وأنه عمل كلّ ذلك لأجل مصلحتهم وللحفاظ عليهم.

استنتاجات البحث

توصّل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات، أبرزها:

- ١- حَرَصَ الإمام الحسن عليه السلام على وحدة المسلمين والإبقاء على توحيدهم.
- ٢- لم ينجر الإمام الحسن عليه السلام إلى الحرب التي شنها الأمويون ضده وضد أتباعه، حفاظاً منه عليهم.
- ٣- فنّد الإمام الحسن عليه السلام المزاعم والافتراءات والكذب الأموي بالعمل المضاد، أي أنّه جاهد بالكلمة والفعل.
- ٤- أظهر الإمام الحسن عليه السلام جزءاً من مكنونات علمه لأصحابه الذين اعترضوا على الصلح؛ لإثبات حجّيته وأنه إمام مفترض الطاعة.

الهوامش

- ١- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٤٥.
- ٢- الخراساني، وحيد، منهاج الصالحين: ١ / ٣٢٨.
- ٣- الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ٢ / ٨٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨ / ١٦١.
- ٤- الطبراني، المعجم الكبير: ٤ / ١٥٦.
- ٥- دميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى: ١ / ١٩٠.
- ٦- الزركلي، الأعلام: ٢ / ١٩٩.
- ٧- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣ / ٢٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨ / ٢٢٦.
- ٨- السند، الشيخ محمد، (الحدائث، العوالة، الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية): ٩٨.
- ٩- القلقشندي، صبح الأعشى: ١٣ / ٢٣٧.
- ١٠- المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣١.
- ١١- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١ / ٢٠٣.
- ١٢- الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٥ / ٤٠.
- ١٣- أيوب، سعيد، معالم الفتن: ٢ / ١٩٥.
- ١٤- الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ٣١٨.
- ١٥- البحراني، المحقق، الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: ٣ / ٤٠٢.
- ١٦- الميانجي، الأحدي، مكاتيب الرسول: ١ / ٦٤٨.
- ١٧- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٥.
- ١٨- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٤.
- ١٩- البلاذري، فتوح البلدان: ٣ / ٥٠٧؛ الطبري، تاريخ الطبري: ٤ / ١٧٠.
- ٢٠- الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٥٣.
- ٢١- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: ١١ / ٢٠٧.
- ٢٢- الميلاني، السيد محمد هادي، قادتنا كيف نعرفهم: ٣ / ٤٥٦.
- ٢٣- الكليني، الكافي: ٨ / ٣٣٠.
- ٢٤- الغزالي، المستصفى: ١٠٤؛ الديلمي، إرشاد القلوب: ٢ / ٣١٤.
- ٢٥- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ٤٤١؛ الكوراني، علي، جواهر التاريخ: ٣ / ٢٠-٢١.
- ٢٦- العاملي، جعفر مرتضى، عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني: ٤٣-٤٨.
- ٢٧- القاسم، أسعد وحيد، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة: ١٢٢.
- ٢٨- الكوراني، علي، قبيلة النخع: ١٠ / ٨٨.

- ٢٩- الطبرسي، إعلام الوری: ١ / ٤٥٥؛ النويري، نهاية الأرب: ٢٠ / ٤٣٤.
- ٣٠- ابن أعثم، أحمد بن أعثم، الفتوح: ٤ / ٢٩٠-٢٩١.
- ٣١- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام): ١٣٩.
- ٣٢- سورة القدر، الآية: ١-٥.
- ٣٣- ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح: ٤ / ٢٩٦.

المصادر والمراجع

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ).

* القرآن الكريم.

* سير أعلام النبلاء، ط ٩، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

* أولاً: المصادر

* الحموي، ياقوت (ت: ٦٢٦هـ).

* ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ).

* معجم الأدباء، ط ٣، (دار الفكر - بيروت)، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

* الفتوح، ط ٢، تح: علي شيري، (دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

* الراوندي، قطب الدين (ت: ٥٧٣هـ).

* البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ).

* الخرائج والجرائح، تح: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، (العلمية - قم)، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

* أنساب الأشراف، تح: الدكتور محمد حميد الله، (دار المعارف - مصر)، ١٩٥٩م / .

* سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي (ت: ١هـ).

* فتوح البلدان، تح: الدكتور صلاح الدين المنجد، (لجنة البيان العربي - القاهرة)، ١٩٥٦م.

* كتاب سليم بن قيس، (نكارش - قم)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

* ابن أبي الحديد، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ).

* الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ).

* المعجم الكبير، ط ٢، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، د. ت.

* شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية - د. م)، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

* الطبرسي، أمين الاسلام أبي علي بن الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت: ٨٠٨هـ).

* إعلام الوري بأعلام الهدى، تح: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، (ستارة - قم)،

* تاريخ ابن خلدون، ط ٤، (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، د. ت.

* الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).

* دميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت: ٨٠٨هـ).

* تاريخ الطبري، ط ٤، تح: نخبة من العلماء الأجلاء، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت)،

* حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، (دار الكتب العلمية - بيروت)، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

* الديلمي، أبي محمد الحسن بن محمد (ت: ق ٨).

* ابن عساكر، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ).

* إرشاد القلوب، ط ٢، (أمير - قم)، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

* تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تح: علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

* الدينوري، ابن قتيبة أحمد بن داود (ت: ٢٧٦هـ).

* الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، (دار إحياء الكتاب العربي - القاهرة)، ١٩٦٠م.

- * الغزالي، الامام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ).
- * المستصفي في علم الأصول، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية - بيروت)، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- * القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ).
- * صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية - بيروت)، د. ت.
- * ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ).
- * البداية والنهاية، تح: علي شيري، (دار إحياء الكتاب العربي - بيروت)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- * الكليني، ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت: ٣٢٨هـ).
- * الأصول من الكافي، ط ٥، تح: علي أكبر غفاري، (دار الكتب الإسلامية - طهران)، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- * المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ).
- * مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، تح: يوسف أسعد داغر، (منشورات دار الهجرة - قم)، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- * المحقق البحراني، المحدث الشيخ يوسف بن أحمد (ت: ١١٨٦هـ).
- * الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، تح: شركة دار المصطفى لإحياء التراث، (شركة دار المصطفى لإحياء التراث - بيروت)، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- * النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ).
- * نهاية الأرب في فنون الأدب، (مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة)، د. ت.
- * ثانياً: المراجع
- * أيوب، سعيد.
- * معالم الفتن نظرات في حركة الاسلام وتاريخ المسلمين، تح: الدكتور عاطف سلام، (سمهر - قم)، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٧م.
- * الخراساني، وحيد.
- * منهج الصالحين وجيزة في عقائد الشيعة، (د. مط - د. م)، د. ت.
- * الزركلي، خير الدين.
- * الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، (دار العلم للملايين - بيروت)، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- * السند، محمد.
- * الحداثة، العولمة، الارهاب في ميزان النهضة الحسينية، تح: الشيخ علي الأسدي، (وفا - قم)، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- * العاملي، جعفر مرتضى.
- * عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد المرواني، (المركز الاسلامي للدراسات - بيروت)، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- * القرشي، باقر شريف.
- * حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، (الأداب - النجف)، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- * الكوراني، علي الكوراني العاملي الباطني.
- * جواهر التاريخ، (وفا - قم)، ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م.
- * قبيلة النخع، (د. مط - د. م)، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- * الميانجي، الأحمدي.
- * مكاتيب الرسول ﷺ، (دار الحديث - د. م)، ١٤١٧هـ / ١٩٩٨م.
- * الميلاني، محمد هادي.
- * قادتنا كيف نعرفهم؟، تح: السيد محمد علي الميلاني، (شريعت - قم)، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٧م.

صلح الإمام الحسن عليه السلام
في المصادر الشيعية



أ.م.د. محمد منصور حسين البياتي
مديرية تربية بابل

ملخص البحث

حظي صلح الإمام الحسن (عليه السلام) باهتمام طيف واسع من الباحثين على مر السنين؛ لما له من أهمية كبيرة في الموروث الإسلامي، ومن هذا المنطلق قام البحث على دراسة الصلح من الناحية التاريخية بناء على مرويات المذهب الشيعي؛ إذ سلط الضوء على دراسة تلك المرويات وضم النصوص المتناثرة في بطون أممات المصادر؛ لتكوين رؤية واضحة اتجاه ملامسات الحادثة، من ناحية بيان تسالم ثبوتها في المصادر المعتمدة، وإثبات ما أمكن من البنود التي قام عليها الصلح وما دار حولها من غموض ولبس يثير شكوك المتلقي من ناحية الصحة لعدد من تلك البنود، ومن حيث موافقة دلالة عدد منها لثوابت الدين والعقيدة، وبين البحث كذلك تعدد المصطلح المشار به إلى الحادثة وإسهام ذلك التعدد بشكل أو بآخر إلى خلق ضبابية حول مفهوم الصلح، وبخاصة عند عدد غير قليل من المسلمين الذين لم تكتمل لديهم صورة الصلح بعد، فكثرة المصطلحات التي تشير إلى الحادثة قد تخلق تصورًا مشوشًا عند المتلق، ومن أبرزها: (صالح، بايع، هادن، داهن، وادع، سلم الأمر أو سلم ولاية الأمر)، لينتهي المطاف إلى إثبات عدد من النتائج التي توصل إليها البحث على وفق المنهج البحث العلمي بعيدًا عن الميل أو التعصب أو الانتماء المذهبي.

الكلمات المفتاحية: صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، الصلح، هدنة الإمام الحسن (عليه السلام)، تسليم ولاية الأمر.

Abstract

The Peace Treaty of Imam Hasan (peace be upon him) garners significant attention from a wide range of scholars over the years due to its profound importance in Islamic heritage. This research aims to study the treaty from a historical perspective based on Shia narrations, shedding light on these accounts and gathering the scattered texts from primary sources to form a clear understanding of the incident's circumstances.

The study examines the reliability of these narrations as found in credible sources, endeavors to establish as many terms of the treaty as possible, and addresses the ambiguities and doubts surrounding certain clauses. Additionally, it explores how some of these terms align with or deviate from the fundamentals of religion and creed.

The research also highlights the multiplicity of terms referring to the incident, such as "peace," "allegiance," "truce," "diplomacy," and "surrendering authority." This terminological diversity has, to some extent, contributed to the obscurity surrounding the concept of the peace treaty, especially among many Muslims who lack a complete understanding of its context. The confusion caused by this plethora of terms often leads to misperceptions.

In conclusion, the study presents several findings derived through the scientific research methodology, striving to maintain impartiality and avoid bias or sectarian inclinations.

Keywords: The peace treaty of Imam Hasan (peace be upon him), reconciliation, truce of Imam Hasan (peace be upon him), transfer of authority.

المقدمة

يمثل صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، حدثاً مهماً في تاريخ الأمة الإسلامية؛ ولذلك عملتُ على دراسته بعدد من العنوانات فكان هذا البحث هو الرابع من بينها^(١)، منصباً على دراسة موضوع الصلح في المصادر الشيعية؛ لاستكمال فكرة البحث السابق عليه والذي سلط الضوء على دراسة الصلح في المصادر السنية^(٢)؛ لإعطاء صورة واضحة الملامح عن موضوع الصلح والذي أحيط بهالة من الضبابية التي قد يُجزم بقصديتها من قبل الظالمين لأهل البيت (عليهم السلام)، وبخاصة السلطات الأموية المتعاقبة؛ لتضييع الحقيقة وتشويهها؛ ولذلك هدف البحث إلى بيان حادثة الصلح بالنصوص التاريخية الموثقة محاولاً الابتعاد عن تكرار ما تمّ ذكره في الدراسات السابقة، وإضفاء الأسلوب العلمي الرصين المعتمد على المنهج التاريخي بعيداً عن الميل أو التعصب؛ وذلك بثلاثة مطالب رئيسة:

المطلب الأول: إثبات أصل حادثة الصلح في التراث الشيعي

المطلب الثاني: بيان بنود الصلح التي أثبتتها المصادر الشيعية

المطلب الثالث: بيان تعدّد مصطلح الصلح الوارد في المصادر الشيعية

مهاده

شهد مسار الأمة الإسلامية منعطفات خطيرة كادت تؤدّي إلى تحريف الدين الإسلامي عن وجهته السماوية التي جاء بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)؛ سواء أكان بظهور الفتن الداخلية نحو: اقتتال أبناء الأمة الإسلامية فيما بينهم، أو بظهور التيارات الفكرية المنحرفة عن جادة الدين والشرعية، فكان من أبرز تلك المنعطفات استيلاء بني أمية على سدة الحكم، إلا أنه على الرغم من التحديات الكبيرة وقف رجال البيت النبوي بوجه كل من أراد شراً بالرسالة الإسلامية؛ فكان صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، الترس والسور المنيع الذي حفظ الدين الحنيف والأمة الإسلامية من الضياع في تلك المدة؛ وذلك بحفاظه على ركنين أساسيين، هما: روح الشعائر الإسلامية التي جاء بها الدين الحنيف المتمثلة بالفرائض والسنن، والحفاظ على الثلة المؤمنة التي تفهم تطبيق ما جاء به الدين الإسلامي، التي يمكن تسميتها بالخطّ الرسالي، وهم مجموعة من المخلصين

الذين وصفهم الإمام الحسن (عليه السلام)، بقوله: "لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ تَرَكَوْا ذَلِكَ إِلَّا أَهْلَهُ خَشِيتُ أَنْ تَجْتَشُوا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِلدِّينِ فِي الْأَرْضِ نَاعِي" (٣)، وقوله لحجر: "فصالحْتُ بَقِيًّا عَلَى شِيعَتِنَا خَاصَّةً مِنَ الْقَتْلِ" (٤)، وقد استطاع الإمام الحسن (عليه السلام) بشروط الصلح كشف حقيقة معاوية الساعية إلى نيل السلطة لا لأجل خدمة الدين؛ بل لقهْر عباد الله وسلب حقوقهم والبطش بهم، وقتل كُلِّ مَنْ يَنْوِي مَخَالَفَتَهُ وَلَوْ بَيَّانَ الْحَقِيقَةَ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى رَغْمٍ مِنْ ذَلِكَ مُنِيَ تَارِيخُ الصَّلْحِ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِبْهَامِ بِسَبَبِ سِيَاسَةِ التَّضْلِيلِ الَّتِي نَهَجَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَسْلَافُهُ، وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ سَعَى الْبَحْثُ الْوَقُوفَ عَلَى تَفْصِيلَاتِ الصَّلْحِ فِي مَوَادِّ الشَّيْعَةِ؛ بَغْيَةَ إِزَالَةِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ؛ فَلِذَلِكَ حَرَّصَ الْبَحْثُ عَلَى بَيَانِ رَأْيِ الْمَوَادِّ الشَّيْعِيَّةِ بِالصَّلْحِ وَإِثْبَاتِ بَنُوْدِهِ الْمُنْتَاثِرَةِ، وَبَيَانِ مَا أَهَمُّ مِنْهَا بِثَلَاثَةِ مَطَالِبٍ وَبِالنَّحْوِ الْآتِي:

المطلب الأول: إثبات أصل الصلح

وَتَقَى عِدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ مَوَادِّ الشَّيْعَةِ الْمَعْتَبَرَةِ حَادِثَةَ صَلْحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عليه السلام)، بِنَحْوِ مُتَسَالَمٍ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى رَغْمٍ مِنْ ذَلِكَ اِكْتَنَفَ الصَّلْحُ غَمُوضًا فِي كَثِيرٍ مِنْ تَفْصِيلَاتِهِ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى أَسْبَابٍ عِدَّةٍ، مِنْهَا: مُوَاجَهَةُ الصَّلْحِ رَفْضًا صَرِيحًا مِنْ قَبْلِ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ أَمْثَالِ: الْخَوَارِجِ الَّذِينَ طَعَنُوا الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عليه السلام)، وَقَالُوا لَهُ: "أَشْرَكَتَ يَا حَسَنُ، كَمَا أَشْرَكَ أَبُوكَ" (٥)، وَمِمَّا هُوَ ثَابِتٌ أَنَّ الْخَوَارِجَ حِينَهَا كَانُوا مُنْتَشِرِينَ فِي مُخْتَلَفِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى تَحْرِيزِ الْمُسْلِمِينَ بِإِشَاعَةِ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَبَاطِيلِ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ اسْتِغْلَالِهِمْ حَادِثَةَ الصَّلْحِ لَخْلُطِ الْأَوْرَاقِ وَتَشْوِيهِ الْحَقَائِقِ وَبِتَرَاهَا، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ لِلْإِعْلَامِ الْأُمُويِّ الدَّورَ الْبَارِزَ بِتَضْلِيلِ الرَّأْيِ الْعَامِ وَنَشْرِ الْأَكَاذِيبِ؛ لِإِضْفَاءِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى حُكْمِهِمْ، مَا دَفَعَ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عليه السلام)، إِلَى مُوَاجَهَةِ ذَلِكَ بِصِرَاحَةٍ، فَخَطَبَ بِالنَّاسِ قَائِلًا: "وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ رَعَمَ لَكُمْ أَنِّي رَأَيْتُهُ لِلْخِلَافَةِ أَهْلًا، وَلَمْ أَرْ نَفْسِي لَهَا أَهْلًا، فَكَذَّبَ مُعَاوِيَةُ، نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ" (٦)، وَكَذَلِكَ فَقَدْ كَانَ لِلتَّغْيِيبِ الْمُتَعَمَّدِ مِنْ قَبْلِ الْحُكُومَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ، أَوْ لِلْكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ وَغَيْرِ الطَّبِيعِيَّةِ دَوْرٌ فِي تَشْوِيهِ الْحَقَائِقِ وَبِتَرَاهَا، وَمِنْ ذَلِكَ فَقْدَانُ عِدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَهَا عُلَمَاءُ الشَّيْعَةِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ، فَقَدْ أَثْبَتَ الْمَوَادِّ أَنَّ عِدَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي زَمَنِ الْأُئِمَّةِ (عليهم السلام)، قَدْ أَلْفَوْا كُتُبًا كَثِيرَةً فِي

الصلح إلا أن كثيراً منها لم يصل إلينا، منها: كتاب صلح الحسن (عليه السلام)^(٧)، لعبد الرحمن بن كثير الهاشمي من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، (ت ق ٢ هـ)^(٨)، وكتاب قيام الحسن (عليه السلام)، لإبراهيم بن محمد بن سعيد الكوفي (ت ٢٨٣ هـ)^(٩)، وكتاب صلح الحسن (عليه السلام)، ومعاوية^(١٠)، لأحمد بن محمد بن سعيد السبيعي (ت ٣٣٣ هـ)، فاجتمعت هذه الأسباب وغيرها في جعل تفصيلات حادثة الصلح مشوبة بالغموض وعدم الوضوح، وبخاصة بنود الصلح، إلا أن ذلك لا يؤثر في ثبوت أصل الحادثة وتواترها في أمّات المصادر الشيعية، التي سيقتصر على بيان ما وثّقته المصادر المتقدمة منها في إثبات الحادثة بإيجاز، وبالنحو الآتي:

١. كتاب الغارات، لإبراهيم الكوفي (ت ٢٨٣ هـ)، الذي ذكر فيه مفردة (الصلح)، صراحة في مواضع متعددة، منها: عند كلامه عن بسر بن أرطاة وكيف تحققت فيه دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقيل في ذلك: "إنّه ذُكرَ عنده (عليه السلام) بسر، فقال: اللهم العن بسرًا وعمراً [ومعاوية]، اللهم ليحلّ عليهم غضبك، ولتنزل بهم نقمتك، وليصّبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين، قال: فلم يزل بسر إلّا قليلاً حتّى وسوس؛ وذلك بعد صلح الحسن بن علي معاوية، فكان يهذي فيقول: أعطوني السيف أقتل به حتّى يجعل له سيف من عيدان، وكانوا يدنون به إلى المرفقة فلا يزال يضربها حتّى يغشى عليه، فما زال كذلك حتّى مات لا رحمه الله"^(١١)، وفي موضع آخر ذكر بيعة الإمام الحسن (عليه السلام)، لمعاوية بقوله: "فلما قدم معاوية النخيلة فبايعه الحسن"^(١٢)، وفي هذين الموضعين تصريح وافٍ في ذكر تحقق حادثة الصلح لا غموض فيه ولا يقبل الشك والتأويل، ولعلّ كتاب الغارات لإبراهيم الكوفي هو أقدم مصدر شيعي بين أيدينا ذكر الحادثة، ولا ريب أن المصادر الشيعية السابقة عليه قد ذكرت الحادثة ووثقتها إلا أنّه لم يصل كثير منها إلينا؛ نتيجة الإتلاف المتعمّد الذي طال التراث الشيعي على مرّ السنين، وبخاصة إبان الحكم الأموي والعباسي الأول؛ إذ لم تصل كثير من كتب أصحاب الأئمة أمثال محمد بن أبي عمير الذي ذكر له أصحاب التراجم عشرات الكتب، إلا أنّه لما حبسه المأمون العباسي قامت أخته ودفنت كتبه، "وكونه في الحبس أربعة سنين فهلكت الكتب"^(١٣)، هذا ناهيك عن العدوان المتتالي على بغداد وحرّق أهمّ المكتبات فيها كما فعل ذلك الغزو السلجوقي والمغولي

وغيرهم، وذلك الأمر مشهور وموثق عند كثير من المؤرخين ومنهم ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، فعند ذكره محال الكرخ التي تضم الطائفة الشيعية قديماً وحديثاً قال: "وكانت من أحسن محالها وأمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ" (١٤)، هذا ومن جانب آخر كانت للحروب الطائفية أثر واضح في فقدان كثير من التراث الشيعي، وفي ذلك قال ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): "لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نُهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة؛ حتى نُهبت دور قرابات الوزير" (١٥)، فلا ريب اجتماع تلك الأسباب وغيرها يؤدي إلى ضياع كثير من التراث الشيعي.

٢. كتاب مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، لمحمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠ هـ)؛ إذ ذكر الصلح بقوله: "عن سفيان بن أبي الليل أنه أتى حسناً بالمدينة حين انصرف من عند معاوية فوجده بفناء داره، فلما انتهى إليه قال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: فقال: وما ذُكرَكَ لهذا؟ قال: فذكرته الذي كان منه من تركه القتال ورجوعه إلى المدينة، [ف] قال [له ال] حسن: يَا سُفْيَانُ، أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى يَجْتَمِعَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَجُلٍ وَأَسْعَ السُّرْمِ" (١٦)، ضَخَمَ الْبُلْعُومُ، يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، لَا يَمُوتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي السَّمَاءِ عَاذَرٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ حَامِدٌ وَإِنَّهُ مُعَاوِيَةُ، وَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (١٧) (١٨)، فيظهر من النص عبارات سفيان بن أبي ليلى التي تحمل لوم وعتب شديدين إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، لما فعله في حادثة الصلح، وكذلك يظهر رد الإمام (عليه السلام)، على تلك الكلمات القاسية بصدر رحب من دون حرج؛ بل أظهر تبريراً لما قام به قائماً على التسليم لقضاء الله وقدره المبرم.

٣. كتاب المقالات والفرق، للقمي (ت ٣٠١ هـ)، الذي ذكر الصلح فيه بقوله: "فإنه لما وادع الحسن بن علي معاوية وأخذ منه المال الذي بعث به إليه على الصلح أزرؤا على الحسن فطعنوا فيه، وخالفوه ورجعوا عن إمامته" (١٩)، وكلامه صريح في إثبات الصلح الذي حصل بين الإمام الحسن (عليه السلام)، ومعاوية.

٤. كتاب الكافي، للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، الذي أشار إلى الصلح بروايته حديثاً "عن أبي جعفر عليه السلام: قال: والله، للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام، كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس" (٢٠)، ومراد الرواية واضح في الصلح الذي حصل بين الإمام الحسن عليه السلام، ومعاوية. ٥. كتاب الهداية الكبرى للخصيبي (ت ٣٣٦هـ)، فذكر خطبة للإمام الحسن عليه السلام، وصرح فيها بمهادنة معاوية وتسليم الخلافة إليه؛ لقلّة الناصر وخذلان المعين، بقوله: "وأيّم الله، لو وجدت على ابن هند أعواناً ما وضعت يدي في يده، ولا سلّمت إليه بالخلافة، وإيها محرمة عليهم، فإذا أنتم لا يأمن غدركم وأفعالكم فإنّي وأضع يدي في يده، أيّم الله، لا ترون فرجاً أبداً مع بني أميّة، وإنّي لأعلم أنّي عنده أحسن حالاً منكم، وتالله، ليسو منكم بنو أميّة سوء العذاب، ويشنون عليكم جيشاً عظيماً من معاوية، فأف لكم وترحاً يا عبيد الدنيا، وأبناء الطمع. ثم كتب إلى معاوية: إنّي تاركها من يومي هذا، وغير طالب لها، وتالله، لو وجدت عليكم أعواناً ناصرين عارفين بحقي غير منكرين ما سلّمت إليك هذا الأمر، ولا أعطيتك هذا الأمر الذي أنت طالبه أبداً، ولكن الله عز وجل قد علّم وعلمت يا معاوية، وسائر المسلمين، إن هذا الأمر لي دونك، ولقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الخلافة لي ولأخي الحسين، وإيها محرمة عليك وعلى قومك، وسماعك وسماع المسلمين، والصّادق والأمين والمؤدّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وانصرف إلى الكوفة فأقام بها عاتباً على أهلها موارياً عليهم" (٢١)، تضمّن هذا النصّ تصرّيحاً من قبل الإمام الحسن عليه السلام، بالصلح مع معاوية وتسليم الخلافة له لقلّة المعين والناصر، مبيّناً حقيقة معاوية التي قد تغيب على أكثر المسلمين بسبب اتّباع معاوية أساليب الخداع والحيل. ٦. كتاب شرح الأخبار، للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ)؛ إذ صرح في كتابه بالصلح مبيّناً ذلك تحت عنوان "أسباب صلح الحسن" (٢٢)، بين فيه الأسباب التي أدّت إلى إبرام الصلح وتسليم الأمر إلى معاوية مناقشاً بعض الشبهات التي قد تثار على الإمام الحسن عليه السلام، ولعلّ أبرزها عدم مواجهة معاوية والتنازل عن حقّ الإمامة فردّ على ذلك بعبارات موجزة جاء منها: "ووجه إليه معاوية يسأله تسليم الأمر إليه، ويدعوه إلى ذلك، ويبذل له ولشييعته وأنصاره الأمان والبر والإكرام، والرغائب الجسام، فلمّا لم يجد الحسن غير ذلك أجابه إلى ما لم يجد بداً منه، وما

ليس يقطعه عن حقه، ولا يدفعه عن الإمامة له؛ لأن الإمامة حق من حقوق الله عز وجل، وأمر من أمره ليس يوجبها لغير أهلها ترك أهلها لا تسليم إياها لمن تغلب عليهم فيها" (٢٣).
٧. كتابي علل الشرايع، وكمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)؛ إذ خصص الشيخ الصدوق في الكتاب الأول عنواناً لهذا الموضوع بين فيه "السبب الداعي للحسن صلوات الله عليه إلى موادعة معاوية" (٢٤)، فأوضح تحت هذا العنوان بصراحة الأسباب التي دعت الإمام الحسن (عليه السلام)، مصالحة معاوية، والشروط التي وضعها الإمام على معاوية، وأما في كتاب تمام الدين فقد ذكر الشيخ رد الإمام الحسن (عليه السلام)، على بعض من لامه في ذلك الأمر؛ بقوله: "لما صالح الحسن بن علي (عليه السلام)، معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال (عليه السلام): وَيَحْكُمُ مَا تَذَرُونَ مَا عَمِلْتُ وَاللَّهِ، الَّذِي عَمِلْتُ خَيْرٌ لِّشِيعَتِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّنِي إِمَامُكُمْ مُفَرَّضُ الطَّاعَةِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَدُ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَنَصٍّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَيَّ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْخَضِرَ (عليه السلام)، لَمَّا خَرَقَ السَّفِينَةَ، وَأَقَامَ الْجِدَارَ، وَقَتَلَ الْغُلَامَ، كَانَ ذَلِكَ سَخَطًا لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ؛ إِذْ خَفِيَ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحُكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ حِكْمَةً وَصَوَابًا؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَقَعُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ لَطَاغِيَةِ زَمَانِهِ إِلَّا الْقَائِمُ الَّذِي يُصَلِّي رُوحُ اللَّهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (عليه السلام)، خَلْفَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْفِي وَلَا دَتَهُ وَيُعَيِّبُ شَخْصَهُ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إِذَا خَرَجَ ذَلِكَ التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِ أَخِي الْحُسَيْنِ ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ، يُطِيلُ اللَّهُ عُمُرَهُ فِي غَيْبِهِ، ثُمَّ يُظْهِرُهُ بِقُدْرَتِهِ فِي صُورَةِ شَابٍّ دُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ذَلِكَ لِيُعْلَمَ؛ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٢٥)، وفي هذا النص تصريح لا غبار عليه للإمام الحسن (عليه السلام)، مبيناً الحكمة في الصلح.

٨. كتاب تحف العقول، لابن شعبة الحراني (ت ق ٤ هـ)، الذي صرح عن صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، بقوله: "اعلم أن الحسن بن علي (عليه السلام)، لما طعن واختلف الناس عليه سلم الأمر لمعاوية، فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين، فقال (عليه السلام): مَا أَنَا بِمُذِلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي مُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكُمْ لَيْسَ بِكُمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ سَلَّمْتُ الْأَمْرَ؛ لِأَبْقَى أَنَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، كَمَا عَابَ الْعَالَمُ السَّفِينَةَ؛ لِتَبْقَى لِأَصْحَابِهَا وَكَذَلِكَ نَفْسِي وَأَنْتُمْ لِنَبْقَى بَيْنَهُمْ" (٢٦)، يظهر من



النصّ تصريح الحراني بالصلح من دون تردد أو أدنى شكّ.

٩. كتاب دلائل الإمامة، لابن جرير (ت ٤٠٠ هـ)، فأشار إلى حادثة الصلح بقوله: "عن أبي سعيد الخدري قال: رأيت الحسن بن عليّ (عليه السلام) عند منصرفه من معاوية، وقد دخل عليه حجر بن عدي، فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال: مه، مَا كُنْتُ مُدْهِمًا، بَلْ أَنَا مُعَزِّزُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الْبَقَاءَ عَلَيْهِمْ" (٢٧)، وفي هذا النصّ إشارة واضحة على حدوث الصلح.

١٠. كتاب كفاية الأثر، للخزاز القميّ (ت ٤٠٠ هـ)، فذكر أنّه "لما صالح الحسن (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال (عليه السلام): وَيُحْكُمُ، مَا تَدْرُونَ مَا عَمِلْتُ؟، وَاللَّهِ الَّذِي عَمِلْتُ؟ خَيْرٌ لِّشِيعَتِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ" (٢٨)، وفي النصّ تصريح واضح على حدوث الصلح بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام).

١١. كتابي الإرشاد والاختصاص، للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، فقد ذكر الشيخ في الأوّل مسير الإمام الحسن (عليه السلام) لحرب معاوية وما آل إليه الأمر من خذلان القوم للإمام (عليه السلام)؛ وانسلاخ بعض قادة جيشه إلى معاوية، فذكر ذلك بشيء من التفصيل مروراً بالصلح وشروطه (٢٩)، وأشار في الثاني إلى الصلح بذكره قول سفيان بن أبي ليلى المتقدّم، وردّ الإمام الحسن (عليه السلام) عليه (٣٠).

١٢. كتابي: الشافي في الإمامة وتنزيه الأنبياء، للسيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، فقد أشار في الأوّل إلى الصلح في مواضع متعدّدة، منها قوله: "ونحن نعلم أنّ الحسن (عليه السلام) لو أشار عليه مشير بعد صلح معاوية بمحاربته وبمخارجته لعصاه وخالفه؛ بل قد عصى جماعة أشاروا عليه بخلاف ما رآه من الامساك والتسليم، وبَيَّنْ لَهُمْ أَنَّ الدِّينَ والرَّأْيَ يَقْتَضِيَانِ مَا فَعَلَهُ (عليه السلام)" (٣١)، وفي هذا النصّ تصريح واضح بحدوث الصلح مع معاوية، وأمّا في الثاني فقد ذكر أموراً كثيرة عن الصلح وما جرى للإمام (عليه السلام)، من قبل أتباعه من الخذلان والنكول وغير ذلك من المحن التي أجبرت الإمام (عليه السلام) على الصلح جاء كلّ ذلك تحت عنوان: "الوجه في مسألة الحسن معاوية" (٣٢)، وأجاب عن ذلك بمسائل متعدّدة.

١٣. كتاب تلخيص الشافي، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، فقد أشار إلى الصلح تبعاً للسيد المرتضى بموارد متعدّدة، مشيراً إلى ما طُرِحَ من الشبهات وبيان الإجابة عليها؛ ومن ذلك ردّه



على المعتزلة بقوله: "ثمَّ يقال للمعتزلة: ما اعتبرتموه من الاجماع في إمامة أبي بكر يلزم عليه القول بإمامة معاوية؛ لأنَّ الناس - بعد صلح الحسن (عليه السلام) - بين نَفْسَيْن: مظهر للرضا ببيعته، وبين كاف عن النكير، فيجب أن يكون ذلك دلالة على إمامته وهم لا يقولون ذلك، أو يتركون الاعتماد على هذا الضرب من الاستدلال" (٣٣).

يمكن الاكتفاء بهذا القدر من المصادر لأساطين علماء المذهب الشيعي المتسالم على رواية حادثة الصلح، سواء بالنصوص المروية عن الإمام الحسن وأهل البيت (عليهم السلام)، أو بالنصوص التي أوردوها عن الحادثة من دون تشكيكهم في حدوثها لا بالتصريح ولا التلميح.

المطلب الثاني: بنود الصلح

جاءت بنود الصلح في التراث الشيعي مجزأة في عدد من المصادر لا تعطي المتلقي صورة واضحة المعالم بتفرقها، ولعلَّ ذلك يعود إلى سببين رئيسين، هما: أولاً: التغييب المتعمد للسلطة الأموية بمنع الرواة وترهيبهم من نشر الحقائق وبخاصة فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، حتى صرَّح معاوية محدراً الرواة وعلى رأسهم ابن عباس قائلاً: "إنَّا كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ فكف لسانك" (٣٤)؛ بل عمد بنو أمية إلى افتعال "الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة" (٣٥)، ظلَّنا منهم صرف أنظار المسلمين عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، وثانياً: إنَّ الإمام الحسن (عليه السلام)، بما يشغله من منصب قيادي وريادي إلهي كان يحمل همَّ خلاص الأمة من حرب طاحنة لو حدثت لقضت على الصرح العظيم الذي شيَّده جدُّه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، بدماء الشهداء وتضحياتهم من دون الاكتراث بما يقول عامَّة الناس عنه؛ ولذلك عندما قيل له: "تَرَكْتَ إِمَارَتَكَ وَسَلَّمْتَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الطُّلَقَاءِ وَقَدِمْتَ الْمَدِينَةَ؟" فقال: "إِنِّي اخْتَرْتُ الْعَارَ عَلَى النَّارِ" (٣٦)، والظاهر من الأخبار أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام)، لم يكثرث بالأمر الشكليَّة للصلح التي منها: الجانب الإعلامي في توثيق تلك البنود، وإشهاد رؤساء القابل عليها، وهذا المعنى يدلُّ عليه كلام سليمان بن صرد الخزاعي بقوله للإمام الحسن (عليه السلام): "لَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ ثِقَةً فِي الْعَهْدِ وَلَا حِظًّا مِنَ الْعُطْيَةِ، فَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَشْهَدْتَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَجُوهَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكُتِبَتْ عَلَيْهِ كِتَابًا بِأَنَّ الْأَمْرَ لَكَ بَعْدَهُ، كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْنَا أَيْسَرَ، وَلَكِنَّهُ أَعْطَاكَ

شَيْئًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَمْ يَفِ بِهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَالَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: إِنِّي كُنْتُ شَرَطْتُ شُرُوطًا وَوَعَدْتُ عِدَّةً إِرَادَةً لِإِطْفَاءِ نَارِ الْحَرْبِ وَمَدَارَةِ لِقَاطِ الْفِتْنَةِ، فَأَمَّا إِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَنَا الْكَلِمَةَ وَالْأَلْفَةَ فَإِنَّ ذَلِكَ تَحْتَ قَدَمِي، وَاللَّهُ مَا عَنِ بَذَلِكَ غَيْرِكَ، وَلَا أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ، قَدْ نَقَضَ، فَإِذَا شِئْتَ فَأَعَدْتَ لِلْحَرْبِ عِدَّةً، وَأَذِنَ لِي فِي تَقَدُّمِكَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَأَخْرَجَ عَنْهَا عَامِلَهَا وَأَظْهَرَ خَلْعَهُ نَبْذَهُ عَلَى سِوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ، وَتَكَلَّمَ الْبَاقُونَ بِمِثْلِ كَلَامِ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: أَنْتُمْ شِيعَتُنَا وَأَهْلُ مَوَدَّتِنَا، وَلَوْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْمَلُ وَلِسُلْطَانِنَا أَرْبَضُ وَأَنْصَبُ، مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ بِأَشَدَّ مِنِّي بَأْسًا وَلَا أَشَدُّ شَكِيمَةً وَلَا أَمْضَى عَزِيمَةً، وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ، وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا لِحَقْنِ الدِّمَاءِ، فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ وَالزَّمُوا بَيُوتَكُمْ وَامْسِكُوا" ^(٣٧)، وهذا النص يظهر اللوعة والحرقة التي تجرّعها الشيعة بسبب تغلب الإعلام الأموي وما قام به من دور رئيس في قلب الحقائق وتزييفها؛ فلذلك جاءت بنود الصلح مبعثرة ومتناثرة في بطون الكتب، وبحدود ما اطلعت عليه لعل ما أثبتته الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، يعدُّ أقدم نصٍّ شيعيٍّ وصل إلينا يضمُّ عددًا من الشروط بقوله: "بَايَعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، مُعَاوِيَةَ عَلَى أَنْ لَا يُسَمِّيَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُقِيمَ عِنْدَهُ شَهَادَةً، وَعَلَى أَنْ لَا يَتَعَقَّبَ عَلَى شِيعَةِ عَلِيٍّ شَيْئًا، وَعَلَى أَنْ يَفْرُقَ فِي أَوْلَادِهِ مَنْ قَتَلَ مَعَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَأَوْلَادَهُ مَنْ قَتَلَ مَعَ أَبِيهِ بِصَفِينِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَرَجِ دَارِ أَبِجَرْدٍ" ^(٣٨)، وجاء بعد ذلك الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، مثبتًا شروطًا أخرى غير السابقة بقوله: "وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ تَرْكَ سَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَالْعُدُولَ عَنِ الْقَنُوتِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَوَاتِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ شِيعَتُهُ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَلَا يَتَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، وَيُوصَلَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ مِنْهُمْ حَقُّهُ" ^(٣٩)، وذكر ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ)، شروطًا قد تكون مفسرة لما ذكره غيره بقوله: "وَاشْتَرَطَ الْحَسَنُ عَلَى مُعَاوِيَةَ: عَلَى أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَا فِي بَيْتِ مَالِهِ، وَخَرَجِ دَارِ أَبِجَرْدٍ، وَعَلَى أَنْ لَا يُشْتَمَ عَلَيَّ وَهُوَ يَسْمَعُ" ^(٤٠)، كما زاد ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، على ما ذكره أسلافه شروطًا أخرى، بما نصّه: "أَنْ يَعْمَلَ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ شُورَى، وَأَنْ يَتْرَكَ سَبِّ عَلِيٍّ، وَأَنْ يُؤْمِنَ شِيعَتُهُ، وَلَا يَتَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَيُوصَلَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ عَلَيْهِ حَقُّهُ، وَيُؤْفَرَ عَلَيْهِ حَقُّهُ كُلُّ

سَنَةِ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ" (١)، وزاد المحبّ الطبري (ت ٦٩٤ هـ)، شرطاً آخر على ذكره غيره بقوله: "واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده" (٢)، كما زاد ابن عتبة على الشروط السابق تكملة؛ وذلك بأن الحسن (عليه السلام)، "أرسل إلى معاوية وشرط عليه شروطاً إن هو أجابه إليها سلّم إليه الأمر، منها: أن له ولاية الأمر بعده فإن حدث به حدث فللحسين" (٣)، وعند جمع تلك النصوص بعضها إلى بعض عندها تكوين صورة تلك البنود أكثر وضوحاً للمتلقّي، وعليه تكون الشروط المتوافرة لدينا للصلح قرابة أحد عشر شرطاً، ويمكن بيانها بالنحو الآتي:

١. يسلم إليه ولاية الأمر على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، وهذا الشرط روته المصادر السنية أيضاً، ولكن بزيادة "وسيرة الخلفاء الصالحين" (٤)، ولا يخفى أن هذا الشرط من دون هذه الزيادة موافق لثوابت الدين والعقيدة الإسلامية التي تقرّ أن كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، هما المصدران للمشروع الإسلامي، وأمّا سيرة الخلفاء فحالتها لا تخلو من أحد أمرين: أمّا أن تكون مستمدة من الكتاب والسنة فذكرها يكون لغواً وتحصيلاً للحاصل، وهو قبيح، وأمّا أن تكون مخالفة لهما فعندها تكون معارضة ومخالفة للكتاب والسنة فيجب طردها، وما قد يقال: إن تسليم الأمر إلى معاوية هو خلع من منصب الإمامة، فيمكن ردّه بأن ذلك التصوّر لا أصل له في ثوابت الفكر الإسلامي عامّة؛ "لأنّ الإمامة بعد حصولها للإمام لا يخرج عنها بقوله، وعند أكثر مخالفتنا أيضاً في الإمامة: إنّ خلع الإمام نفسه لا يؤثر في خروجه من الإمامة، وإنّما ينخلع عندهم منها بالأحداث والكبائر، ولو كان خلعه نفسه مؤثراً لكان إنّما يؤثر إذا وقع اختياراً فأما ما يقع مع الإلجاء والإكراه، فلا تأثير له لو كان مؤثراً في موضع من المواضع، على أنّه لم يسلم الأمر إلى معاوية، وإنّما كفّ عن المحاربة والمغالبة؛ لفقد الأعوان وعوز الأنصار وتلافي الفتنة" (٥).

٢. أن يكون الأمر بعد معاوية للإمام الحسن (عليه السلام)، فإن حدث حادث فللإمام الحسين (عليه السلام)، وقيل: أن يكون الأمر بعد معاوية شورى، ولا يخفى ما في اشتراط الشورى من تعارض مع الشرط السابق؛ لأنّه لا يمكن اجتماع الشورى مع النصّ، وأغلب الظنّ أنّ شرط الشورى اعتُمدت روايته على المصادر السنية التي نصّت على أن يكون الأمر بعده شورى (٦).

٣. أن لا يُسمّى معاوية أمير المؤمنين، وهذا الشرط انفردت به المصادر الشيعيّة فقط.
٤. أن لا تقام عند معاوية شهادة، وهذا الشرط أيضًا انفردت بروايته المصادر الشيعيّة فقط، وهو منسجم لثوابت المذهب الشريف الذي يضع لإقامة "الشهادة شرايط وهي: حدودها التي لا يجوز تعدّيها؛ لأنّ من تعدّى حدود الله عزّ وجلّ فقد ظلم نفسه، وأؤكد شرايطها إقامتها عند قاضٍ فصلٍ وحكم عدلٍ، ثمّ الثقة من الشاهد أن يقيمها عند من تجد شهادته حقًا، ويميت بها إثرة، ويزيل بها ظلمًا، فإذا لم يكن من يشهد عنده سقط عنه فرض إقامة الشهادة، ولم يكن معاوية عند الحسن (عليه السلام)، أميرًا أقامه الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)" (٤٧).
٥. أن يترك معاوية سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الشرط روته أيضًا المصادر السنيّة؛ ولكن بقيد: "ولا يسب عليًا وهو يسمع" (٤٨)، وهذا القيد لا يصمد أمام الحكم القطعي القاضي بحرمة سبّ المؤمن مطلقًا حاضرًا كان أم غائبًا حيًّا أم ميتًا.
٦. أن يعدل معاوية عن القنوت على أمير المؤمنين (عليه السلام)، في الصلوات، وهذا الشرط أيضًا مرويًا في مصادر كلا الفريقين (٤٩).
٧. أن يؤمن معاوية شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الشرط أيضًا مرئيًا في مصادر الفريقين ولا خلاف فيه (٥٠).
٨. أن لا يتعرّض معاوية لأحد من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الشرط أيضًا مرويًا في مصادر الفريقين فلا خلاف فيه (٥١).
٩. أن لا يتعقّب على شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، شيئًا، وهذا الشرط أيضًا روته مصادر الفريقين فلا خلاف فيه (٥٢).
١٠. أن يوصل معاوية إلى كلّ ذي حقٍّ من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، حقّه؛ وذلك أن يفرق معاوية في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم، وأن يكون ذلك من خراج دار أبحرد، وهذا الشرط جلّه مرويًا أيضًا في مصادر الفريقين (٥٣).
١١. أن يجعل معاوية للإمام الحسن (عليه السلام)، ما في بيت مال الكوفة، وأن يوفرّ حقّه كلّ سنة خمسون ألف درهم، وهذا الشرط أيضًا روته المصادر السنيّة؛ ولكن باختلاف يسير بما نصّه: "صالح

الحسن معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله... وكان خمسة آلاف ألف درهم" (٥٤).

يتضح مما تقدم أن أكثر بنود الصلح متفق عليها بين الفريقين، وعليه يمكن الاطمئنان بصحة مضمون تلك الشروط وعدّها قدرًا متيقنًا للصلح، وأمّا البنود غير المتفق عليها فمما كان منها موافقًا للكتاب والسنة الشريفة فيمكن قبوله، وأمّا ما خالف الكتاب والسنة فيمكن القطع بعدم صحته، وهذه الشروط وإن عاجلت أغلب الموضوعات الرئيسة التي تحتاجها الأمة إلا أنه لا يمكن القول: إنها تمثل كلّ البنود التي اشترطت في حينها؛ لاعتراف أمّات مصادر الفريقين أنّها جزء من شروط كثيرة قام عليها الصلح (٥٥).

المطلب الثالث: تعدّد المصطلح

أنتجت الظروف التي عُقد فيها الصلح لبسًا واشتباهاً عند عامّة المسلمين وبخاصّة عند عدد من الشيعة، وسبب ذلك كلّ يرجع إلى قيام بني أميّة بدسّ أتباعهم وأعوانهم بين عامّة المسلمين وبخاصّة الشيعة؛ لإشاعة الأكاذيب وإثارة الاضطرابات وتعميق الخلاف بين المسلمين والإمام الحسن (عليه السلام)، وتفريق الناس من حوله، وتجهيل الناس بحقيقة الصلح؛ وذلك بنشر المعلومات المكذوبة على الإمام الحسن (عليه السلام)، وتزوير الحقائق، فتارة يقال: إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) بايع معاوية، وأخرى يقال صالحه، وثالثة: يقال سلّمه ولاية الأمر، هذا ومن جانب آخر حاول عدد من الشيعة مواجهة تلك الادّعاءات بمصطلحات أخرى لعلّ الغرض منها كان مواجهة الزيف الأمويّ وأكاذيبه، فأدّى ذلك كلّ إلى اختلاف المصطلح وتعدده، وهذا التعدد أسهم بشكلٍ أو بآخر إلى خلق ضبابيّة حول مفهوم الصلح، وبخاصّة عند عدد غير قليل من المسلمين لم تكتمل لديهم صورة الصلح وضوحًا، فكثرة المصطلحات التي تشير إلى الحادثة قد تخلّق تصورًا مشوشًا عند المتلقّ، ومن أبرزها: (صالح، بايع، هادن، داهن، وادع، سلّم الأمر أو سلّم ولاية الأمر)، ويمكن بيان هذه المصطلحات بالنحو الآتي:

١. صالح، وهذا المصطلح هو الأكثر شيوعًا وانتشارًا في مصادر كلا الفريقين (٥٦)، إلا أنّ هذا المصطلح يمكن أن يعطي فهمًا خاطئًا لكثير من أبناء المذهب السنيّ، مفاده: صالح الإمام الحسن (عليه السلام)، معاوية بن أبي سفيان على نحو الوثام والمحبة؛ نتيجة فهمهم الخاطئ للظرف الذي

جرى فيه استعمال مفردة (صالح)، وحركة معناها الحرفي التداولي في النص؛ فاستدلوا بذلك الفهم الخاطيء على أن الإمام (عليه السلام)، تسالم مع معاوية وتصالح معه على نحو الوئام وترك ما كان بينهما من عدااء ونزاع؛ لإضفاء الشرعية على حكومة معاوية، إلا أن ذلك مجرد وهم وخيال؛ لأن دلالة (صالح)، الواردة في النص واستعمالها التداولي لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى حركة معناها الحرفي الدالة عليه ومقارنته بملازمات الحادثة وسياق الكلام؛ كون الاتكال والجمود على المعنى الحرفي المعجمي لكلمات النص قد لا يعطي فهماً صحيحاً لمراد المتكلم، لما للمعنى الحرفي من حركة قد تتغير نتيجة للظروف الزمانية أو المكانية المحيطة بالمتكلم والمتلقي على حد سواء.

تشير أمّات المعاجم أن مادة (صلح) تدلّ على^(٥٧):

- (الصلاح)؛ أي: نقيض الفساد.
- (صالح)، ومن ذلك رجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأمواره.
- (صلح)، تصالح القوم بينهم.

أمّا المعنى الأوّل فهو الصلاح المحض الخالي من كلّ شائبة فهو نقيض الفساد لا محالة؛ لأنّه طارد له وغير متصوّر معه، بينما يدلّ المعنى الثاني على طلب السلوك المستقيم وجادة الشريعة، وهذا أيضاً نقيض الفساد، أمّا المعنى الأخير وهو موضع الشاهد الذي نحن بصددّه، فدلالته أعمّ من المعنيين الأولين؛ لأنّه يدلّ على توافق القوم على أمر ما، سواء تحقّق فيما بينهم وئام ومودة أم لم يتحقّق ذلك، وبناء على ما تقدّم يكون الجامع مشترك بين هذه المعاني الثلاثة هو أنّ مادة (صلح)، في جميع دالاتها تتضمّن جلب النفع والخير وإبعاد الضرر، وهذا المعنى نجده متوافراً في النصّ بشكل واضح وجليّ، وأمّا إرادة التوافق على أمر بنحو الوئام ونسيان الخلاف السابق فلا بدّ أن يُحدّد بالسياق الكلامي الواردة فيه تلك المفردة، وعند ملاحظة سياق الكلام المحيط بالنصوص الواردة عن الإمام الحسن (عليه السلام)، تجد بنحو واضح خلو دلالة مفردة (صالح)، من التوافق النفسي (المحبة والوئام)، بين الإمام الحسن (عليه السلام)، ومعاوية؛ بل في عدّة نصوص تجد دلالات صريحة واضحة تثبت أن الإمام الحسن (عليه السلام)، يؤكّد استيلاء معاوية بالظلم على الخلافة،

وكذلك فقد أكد الإمام (عليه السلام)، مراراً أن سبب تسليم الأمر إلى معاوية هو خوفه وحرصه على شيعته وأتباعه وعلى نفسه وأهل بيته (عليه السلام)، من أن ينالهم بطش وغدر معاوية سرّاً أو جهراً؛ لأنّ آل أميّة حاربوا آل البيت (عليه السلام)، بغضاً وحسداً فيما آتاهم الله عزّ وجلّ وبذلك صرّح أئمة أهل البيت (عليه السلام)، فعن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قوله عزّ وجلّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٥٨)، قال: "نَحْنُ وَبَنُو أُمَيَّةَ قُلْنَا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَالَ بَنُو أُمَيَّةَ: كَذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^(٥٩)، وعن النضر بن مالك قال: "قُلْتُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام): يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: نَحْنُ وَبَنُو أُمَيَّةَ اخْتَصَمْنَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قُلْنَا: صَدَقَ اللَّهُ، وَقَالُوا: كَذَبَ اللَّهُ، فَتَحْنُ وَإِيَّاهُمُ الْخَصْمَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٦٠)، فمن كان خصماً إلى يوم القيامة لا يمكن أن يتصالح معه على نحو الوثام والتوافق النفسي، غاية الأمر يتصالح معه لدرء شرّه وإن كان طرف نقيض للإمام (عليه السلام)، كما تصالح الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) مع المشركين في الحديبية، ولا شك إبرام الإمام الحسن (عليه السلام)، الصلح مع معاوية ظاهرة منافعه على الأمة الإسلامية إلى يوم الدين؛ إذ لو لم يبرم هذا الصلح لأدخل معاوية بن أبي سفيان الأمة الإسلامية في ظلمات حرب لا يمكن أن يسلم منها الدين الإسلامي من الضياع والاندثار، فكلّ تلك المنافع هي نتاج صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، مع معاوية، وعليه يتضح أنّ مفردة (صالح)، غاية ما تدلّ عليه كون طرفا الصلح مجرد خصمين، وأنّ ما حصل بينهما هو هدنة حفظت الدين الإسلامي وأرواح الناس والمؤمنين من الخطر لا غير.

٢. بايع، ورد استعمال هذا المصطلح في جلّ المصادر السنية التي ذكرت أحداث الصلح؛ إذ جاء تداول هذا المصطلح على ألسنتهم بكثرة واسعة^(٦١)، وبحدود ما اطلّعت عليه، أنّهم لم يأتوا بنصّ عن الإمام الحسن (عليه السلام)، استعمال فيه هذا المصطلح؛ بل غايته نقل ابن قتيبة نصّاً منسوباً إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، يقرّ فيه بالبيعة لمعاوية؛ وذلك عندما طلب منه حجر بن عديّ محاربة معاوية قائلاً: "دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدّمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف، فقال

الحسين: إِنَّا قَدْ بَايَعْنَا وَعَاهَدْنَا، وَلَا سَبِيلَ إِلَى نَقْضِ بَيْعَتِنَا" (٦٢)، وأمّا في المصادر الشيعية فلم يتداول ذكر هذا المصطلح إلا بنحو يسير جداً، منها: كتاب الغارات، الذي جاء فيه: "فلما قدم معاوية النخيلة فبايعه الحسن" (٦٣)، وكتاب كفاية الأثر، فذكر أنّه "لما صالح الحسن (عليه السلام)، معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم على بيعته، فقال (عليه السلام): وَيُحْكُم، مَا تَدْرُونَ مَا عَمِلْتُ؟، وَاللَّهِ، الَّذِي عَمِلْتُ؟ خَيْرٌ لِشِيعَتِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ" (٦٤)، وكتاب الأمالي، الذي أورد فيه كلاماً للإمام الحسن (عليه السلام)، مصرحاً بذلك: "وَقَدْ خَذَلْتَنِي الْأُمَّةُ وَبَايَعْتُكَ يَا بَنَ حَرْبٍ، وَلَوْ وَجَدْتُ عَلَيْكَ أَعْوَانًا يَخْلُصُونَ مَا بَايَعْتُكَ" (٦٥)، وأكبر الظن أن الرواية في هذه المصادر اعتمدت على ما كان متداولاً حينها في بغداد، وبخاصة إبان انتشار المذهب السني فيها وتعرّض الشيعة إلى القمع والتشريد، وهذا الأمر واضح في كتاب الغارات؛ إذ لا تقتصر روايته على المصادر الشيعية فقط؛ بل كثيراً ما يعتمد رواية المذاهب الأخرى كما صرح بذلك محقق الكتاب (٦٦)، وعلى فرض صحّة النسبة فمصطلح البيعة حينها يبدو أنّه كان مستعملاً في القبول والايجاب بين الطرفين، من دون دلالة على الرضا وطيب النفس أو الاحترام أو أي صفة أخرى، وهذا الأمر يمكن بيانه بالوقوف على حركة المعنى المعجمي المفردة: (بايع)، وما تضمّنته من استعمالات تداوليّة:

- قال الخليل: "والبيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة" (٦٧).
- قال ابن فارس: "(بيع) الباء والياء والعين أصل واحد وهو بيع الشيء" (٦٨).
- قال ابن منظور: "وبايعته من البيع والبيعة جميعاً، والتبايع مثله، وفي الحديث أنّه قال: ألا تُبايعوني على الإسلام؟ هو عبارة عن المُعَاهَدَةِ والمُعَاهَدَةِ كَأَن كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةَ نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ" (٦٩).

يستتج ممّا سبق أنّ البيعة تطلق حقيقة على الإيجاب والقبول بين الطرفين كما في البيع، غاية الأمر أنّ الإيجاب والقبول في البيع يقع حقيقة على الثمن والمثمن، وأمّا في البيعة فالإيجاب والقبول يقع على قبول الحكم والوفاء به، وفي صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، فإنّ قبول الحكم والوفاء به لم يحصل من دون قيد أو شرط؛ بل قام على شروط عدّة وقد تمّ ذكر بعضها سابقاً،

وعليه يكون الاستعمال التداولي للبيعة والصلح لمعنى واحد؛ لكون "إن أريد بالبيعة الرضا وطيب النفس فالحال شاهد بخلاف ذلك، وكلامه المشهور كله يدل على أنه أحوج إليه وأحرج، وأن الأمر له وهو أحق الناس به، وإنما كف للخوف على الدين والمسلمين" (٧٠)، وعليه يمكن القول: إن مفردة (بايع)، إن صح صدورها عن الإمام الحسن (عليه السلام)، غاية ما تدل عليه هو الإشارة إلى الحادثة تماشياً مع الاستعمال العرفي السائد حينها والدال على أن طرفا الصلح مجرد خصمين، وأن ما حصل بينهما هو هدنة حفظت الدين الإسلامي وأرواح الناس والمؤمنين من الخطر لا غير، وهذا التناوب في المصطلح هو نوع من التغير الدلالي الذي يعد ظاهرة كونية تعرفها جميع اللغات.

٣. وادع، ورد هذا المصطلح في مصادر الفريقين (٧١)، وإن كان استعمالها بنسبة قليلة، وقيل إن وادع: "في معنى تركته" (٧٢)، وعلى هذا يكون مرادهم بموادعة الإمام الحسن (عليه السلام)، لمعاوية بمعنى تركه وتجنبه.

٤. هادن، ورد هذا المصطلح على لسان الإمام الحسن (عليه السلام)، بقوله: "إِنَّمَا هَادَنْتُ حَقْنَا لِلدِّمَاءِ وَصِيَانَتِهَا، وَإِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَأَهْلِي وَالْمُخْلِصِينَ مِنْ أَصْحَابِي" (٧٣)، والهدنة "اتفاق لوقف القتال بصورة مؤقتة يعقد بين المتحاربين" (٧٤).

٥. داهن، ورد هذا المصطلح على لسان عدد من خواص الإمام الحسن (عليه السلام)، وقد استعمله عدد من العلماء ولعل أولهم الشيخ الصدوق بقوله: "العلّة التي من أجلها صالح الحسن بن علي صلوات الله عليه معاوية بن أبي سفيان وداهنه ولم يجاهده" (٧٥)، وكذلك ورد على لسان خواص الإمام منهم أبي سعيد بقوله: "يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لِمَ دَاهَنْتَ مُعَاوِيَةَ وَصَاحَتَهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ لَكَ دُونَهُ، وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ ضَالٌّ بَاغٌ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَلَسْتُ حُجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِمَامًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَبِي؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِي وَلِأَخِي: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَأَنَا إِذْنُ إِمَامٍ لَوْ قُتِلْتُ وَأَنَا إِمَامٌ إِذْ لَوْ قَعَدْتُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، عَلَيَّ مُصَاحَتِي لِمُعَاوِيَةَ عَلَيَّ مُصَاحَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَنِي ضَمْرَةٌ وَبَنِي أَشْجَعٌ وَلِأَهْلِ مَكَّةَ حِينَ أَنْصَرَفَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، أُولَئِكَ كُفَّارٌ بِالتَّنْزِيلِ وَمُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ كُفَّارٌ

بِالتَّوَلَّى، يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِذَا كُنْتُ إِمَامًا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَمْ يَجِبْ أَنْ يُسَفَّهُ رَأْيِي فِيمَا أَتَيْتُهُ مِنْ مُهَادَنَةٍ أَوْ مُحَارَبَةٍ وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الْحُكْمَةِ فِيمَا أَتَيْتُهُ مُلْتَبَسًا، أَلَا تَرَى الْخَضِرَ عليه السلام، لَمَّا خَرَقَ السَّفِينَةَ وَقَتَلَ الْغُلَامَ وَأَقَامَ الْجِدَارَ سَخِطَ مُوسَى عليه السلام، فَعَلَّهُ لِاشْتِيَائِهِ وَجْهَ الْحُكْمَةِ عَلَيْهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ فَرَضِي، هَكَذَا أَنَا سَخِطْتُمْ عَلَيَّ بِجَهْلِكُمْ بِوَجْهِ الْحُكْمَةِ فِيهِ، وَلَوْ لَا مَا أَتَيْتُ لَمَّا تَرَكْتُ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدًا إِلَّا قُتِلَ" ^(٧٦)، والمداهنة "هي المصانعة، داهنت الرجل إذا واربته وأظهرت له خلاف ما تضرر له" ^(٧٧)، وكما يمكن عدّ استعمال هذا المصطلح دليلاً على كون الصلح الواقع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية لا يراد به معنى الوفاق النفسي والوئام بين الطرفين.

٦. سلّم الأمر، ورد هذا المصطلح في مصادر الفريقين أيضاً ^(٧٨)، والمراد منه واضح، وهو تسليم أمر الحكم إلى معاوية، فهو يرگز على مسألة السلطة، وهذا ما تمّ فعلاً؛ إذ قام الإمام الحسن عليه السلام، بتسليم معاوية سلطة الحكم في الكوفة؛ ولكن هذا لا يعني فقد الإمام الحسن عليه السلام ثقله المعنوي، الذي يجعل عامّة المسلمين فضلاً عن الشيعة لا يأترون له؛ بل كلّما حاول معاوية تقويض مكانة الإمام الحسن عليه السلام، وعزل المسلمين عنه بالحيل والتظليل زاد ذلك تمسك المسلمين به، ومما يشهد على ذلك اضطرار معاوية أن يطلب من الإمام الحسن عليه السلام مقاتلة الخوارج بعد الصلح؛ ولكن جاء ردّ الإمام الحسن عليه السلام: "وَاللَّهِ، لَقَدْ كَفَفْتُ عَنْكَ لِحِقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا أَحْسَبُ ذَلِكَ يَسْعِينِي، أَفَأَقَاتِلُ عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْلَى بِالْقِتَالِ مِنْهُمْ؟" ^(٧٩). وفي موضع آخر "قال معاوية للحسن: اخرج إليهم وقاتلهم، فقال: يَا أَبَى اللَّهِ لِي بِذَلِكَ، قَالَ: فَلِمَ أَلَيْسَ هُمْ أَعْدَاؤُكَ وَأَعْدَائِي؟ قَالَ: نَعَمْ يَا مُعَاوِيَةَ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَوَجَدَهُ، فَأَسْكَتَ مُعَاوِيَةَ" ^(٨٠)، وهذه النصوص الواردة عن الإمام الحسن عليه السلام، هي خير دليل على إيضاح المصطلحات السابقة وخاصّة مصطلح: (بايع)، وكونه لا يحمل دلالته الاصطلاحية: "العهد على الطاعة" ^(٨١) لولي الأمر، وإلّا لكان رفض الإمام الحسن عليه السلام يعدّ نقضاً للبيعة والصلح ولم يقل أحد بذلك.

خاتمة البحث

خلص البحث إلى إثبات عدد من النتائج، منها:

* يمثل صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، من الحوادث المتسالم حدوثها عند أساطين علماء المذهب الشيعي ولا خلاف في ذلك عندهم.

* أثبتت المصادر المتعددة عدداً من الشروط التي بني عليها الصلح، تضمن جلّها رسائل تكشف حقيقة معاوية الرامية إلى نيل السلطة بأيّ ثمن، فضلاً عن إثبات ظلمه وغطرسته اتّجاه عامّة المسلمين.

* تبين أنّ ما حصل من لبس وغموض في عدد من بنود الصلح يعود إلى أسباب عدّة، جلّها تتعلّق بسياسة معاوية الرامية إلى تشويه الحقائق وتزييفها بأساليب متنوعة، مثل: تهيب الرواة ومنعهم من توثيق الحوادث المخالفة لسياساته الباطلة، أو بإشاعة الأكاذيب على الإمام الحسن (عليه السلام)، وغير ذلك من الأمور التي اشتهر بها معاوية.

* أثبت البحث تعدّد المصطلح المشار به إلى الصلح، كما اتّضح لما لهذا التعدّد من دور بارز في خلق الاضطراب والتشويش عند عدد من المسلمين؛ لأسباب عدّة، منها: الاعتماد على المعنى الحرفي للكلمات، والابتعاد عن المعنى التداولي الاستعمالي الدالّ على إيقاف الحرب بين الطرفين.

الهوامش

- ١- جاءت الأبحاث السابقة عليه بالعنوانات الآتية: ١- صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، في روايات أهل السنة، دراسة تاريخية ٢- الأداء الحجاجي بالأفعال الكلامية في عدد من النصوص المنددة بصلح الإمام الحسن (عليه السلام) ٣- الاستعمال التداولي وأثره في فهم النص، دراسة نصية في بنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام) نموذجاً. علماً أنّ جميعها منشور في وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي لفكر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، الذي تقيمه العتبة العباسية المقدسة/ جمعية العميد العلمية والفكرية.
- ٢- يُنظر: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، ج ١، ص ٢٦٠.
- ٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١٣، ص ٢٨٠.
- ٤- الأخبار الطوال، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠م، ص ٢٢٠.
- ٥- أنساب الأشراف، البلاذري، دار التعارف، بيروت، ط ١، ١٩٧٧، ج ٣، ص ٣٥.
- ٦- الأمالي، الشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٤هـ، ص ٥٥٩.
- ٧- رجال النجاشي، النجاشي، تحقيق: السيد موسى الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ص ٢٣٥.
- ٨- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط ٥، ١٩٩٢، ج ١٠، ص ٣٧٣.
- ٩- الفهرس، الشيخ الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٣٦.
- ١٠- المصدر نفسه، ص ٩٤.
- ١١- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ج ٢، ص ٦٤٢.
- ١٢- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤٤.
- ١٣- رجال النجاشي، مصدر سابق، ص ٣٢٦.
- ١٤- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٥٣٤.
- ١٥- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، ج ١، ص ٥٣٤.
- ١٦- السُّرم: الدبر، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ، ج ١٢، ص ٢٨٦، مادة: (سرم).
- ١٧- الطلاق، ٣.
- ١٨- مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: محمد باقر المحمود، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ١٢٨.
- ١٩- المقالات والفرق، أبو خلف القمي، مركز انتشارات، قم المقدسة، ط ٢، ١٩٨١، ص ٢٣.
- ٢٠- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي الغفاري، مؤسسة دار الكتب، طهران، ط ٢، ١٣٨٩هـ، ج ٨، ص ٣٣٠.

- ٢١- الهداية الكبرى، الخصبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٤، ١٤١١ هـ، ص ١٩١، ١٩٢.
- ٢٢- شرح الأخبار، القاضي النعمان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ج ٣، ص ١٢١.
- ٢٣- المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٢.
- ٢٤- علل الشرايع، الشيخ الصدوق، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١، ١٩٦٦، ج ١، ص ٢٢٠.
- ٢٥- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ٣١٦.
- ٢٦- تحف العقول، بن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ص ٣٠٨.
- ٢٧- دلائل الإمامة، ابن جرير، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٣ هـ، ص ١٦٦.
- ٢٨- كفاية الأثر، الخزاز القمي، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١ هـ، ص ٢٢٥.
- ٢٩- الإرشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، دار المفيد، بيروت، ١٤١٣ هـ، ج ٢، ص ١١-١٤.
- ٣٠- الاختصاص، الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ص ٨٢.
- ٣١- الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، مؤسسة الصادق، طهران، ط ٢، ١٤١٠ هـ، ج ٣، ص ١١٧.
- ٣٢- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، دار الأضواء، بيروت، ص ٢٢١.
- ٣٣- تلخيص الشافي، الشيخ الطوسي، منشورات المحبين، قم المقدسة، ط ١، ١٩٦٢، ج ٣، ص ٩٤.
- ٣٤- المناقب، ابن شهر آشوب، منشورات علامة، قم المقدسة، ط ١، ١٣٧٩ هـ، ج ٢، ص ٣٥١.
- ٣٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٩٥٩، ج ١١، ص ٤٦.
- ٣٦- الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣٠.
- ٣٧- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٨، وتنزيه الأنبياء، مصدر سابق، ص ٢٢٣.
- ٣٨- علل الشرائع، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١، ١٩٦٦، ج ١، ص ٢١٢.
- ٣٩- الإرشاد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٤.
- ٤٠- تجارب الأمم، أحمد بن مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش، ط ٢، ٢٠٠١، ج ١، ص ٥٧٣.
- ٤١- المناقب، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٣.
- ٤٢- ذخائر العقبى، المحب الطبري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ج ٢، ص ١١٧.
- ٤٣- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبه، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٩٦١، ص ٦٧.
- ٤٤- الفتوح، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٩١.
- ٤٥- تلخيص الشافي، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧٨.
- ٤٦- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٢.
- ٤٧- علل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٥.

- ٤٨- الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٢.
- ٤٩- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، تحقيق: سامي الغريزي، دار الحديث، ط ١، ج ٢، ص ٧٢٨.
- ٥٠- أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٢.
- ٥١- مطالب السؤل في مناقب آل الرسول، مصدر سابق، ص ٣٥٧.
- ٥٢- الفتوح، مصدر سابق، ص ٢٩١.
- ٥٣- الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٣.
- ٥٤- تاريخ الطبري، الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء، مطبعة برييل، هولندا، ط ٤، ١٨٧٩، ج ٤، ص ١٢٢، ١٢٣.
- ٥٥- تاريخ البخاري، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٤، والإرشاد، مصدر سابق، ص ١٣.
- ٥٦- الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٢، وأنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٧٦، وعلل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠.
- ٥٧- معجم العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ج ٣، ص ١١٧، مادة: (صلح).
- ٥٨- الحج، ١٩.
- ٥٩- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٧، ص ٨٤.
- ٦٠- الخصال، الشيخ الصدوق، الناشر: جماعة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ، ص ٤٣.
- ٦١- الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٥، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٨، أسد الغابة، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤، ج ٢، ص ١٤، وغير ذلك كثير من المصادر السنية.
- ٦٢- الأخبار الطوال، ابن قتيبة، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
- ٦٣- الغارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٤٤.
- ٦٤- كفاية الأثر، مصدر سابق، ص ٢٢٥.
- ٦٥- الأمالي، مصدر سابق، ص ٥٦٦.
- ٦٦- المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥.
- ٦٧- معجم العين، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٦٥، مادة: (بيع).
- ٦٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مركز النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٤هـ، ج ١، ص ٣٢٧، مادة: (بيع).
- ٦٩- لسان العرب، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٦، مادة: (بيع).
- ٧٠- تلخيص الشافي، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧٩.
- ٧١- علل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٠، المسائل العبرية، الشيخ المفيد، ص ٦٩، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الهمداني، الدار المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٦٢، ج ٢٠، ص ٧٥.

- ٧٢- معجم العين، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٢٤، مادة: (ودع).
- ٧٣- تنزيه الأنبياء، مصدر سابق، ص ٢٢٢.
- ٧٤- القانون الدولي العام، شارل روسو، ترجمة: شكر الله خليفة وعبد المحسن سعد، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٥٨.
- ٧٥- علل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠.
- ٧٦- علل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١١.
- ٧٧- معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٨، مادة: (دهن).
- ٧٨- الثقات، ابن حبان، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ط ١، ١٩٧٣، ج ٢، ص ٣٠٦، وتحف العقول، مصدر سابق، ص ٣٠٨، ومكارم أخلاق النبي والأئمة (عليهم السلام)، قطب الدين الراوندي، تحقيق: حسين موسى، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ص ٢٢٣.
- ٧٩- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: تغريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧، ص ١٩٥.
- ٨٠- علل الشرايع، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٨.
- ٨١- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ج ١، ص ٢٠٩.

المصادر والمراجع

- * الكتاب الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤٢٨ هـ .
- * الخصال، الشيخ الصدوق، الناشر: جماعة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ .
- * رجال النجاشي، النجاشي، تحقيق: السيد موسى الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة .
- * الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، مؤسسة الصادق، طهران، ط ٢، ١٤١٠ هـ .
- * شرح الأخبار، القاضي النعمان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٤ هـ .
- * شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ .
- * علل الشرايع، الشيخ الصدوق، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١، ١٩٦٦ .
- * عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبه، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٩٦١ .
- * الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: جلال الدين الحسيني .
- * الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، تحقيق: سامي الغريزي، دار الحديث، ط ١ .
- * الفهرس، الشيخ الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- * القانون الدولي العام، شارل روسو، ترجمة: شكر الله خليفة وعبد المحسن سعد، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧ .
- * الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي الغفاري، مؤسسة دار الكتب، طهران، ط ٢، ١٣٨٩ هـ .
- * كمال الدين وتام النعمة، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٥ هـ .

- * القرآن الكريم
- * الأخبار الطوال، ابن قتيبة، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٠ .
- * الاختصاص، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ .
- * الإرشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، دار المفيد، بيروت، ١٤١٣ هـ .
- * الأمالي، الشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٤ هـ .
- * أنساب الأشراف، البلاذري، دار التعارف، بيروت، ط ١، ١٩٧٧ .
- * البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ .
- * تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ .
- * تجارب الأمم، أحمد بن مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش، ط ٢، ٢٠٠١ .
- * تحف العقول، بن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ .
- * تلخيص الشافي، الشيخ الطوسي، منشورات المحبين، قم المقدسة، ط ١، ١٩٦٢ .
- * تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، دار الأضواء، بيروت .
- * الثقات، ابن حبان، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ط ١، ١٩٧٣ .
- * دلائل الإمامة، ابن جرير، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٣ هـ .
- * ذخائر العقبى، المحب الطبري، مؤسسة دار

* الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: تغريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧.

* كفاية الأثر، الخزاز القمي، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.

* لسان العرب، ابن منظور، أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

* معجم البلدان، الواقدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط ٥، ١٩٩٢.

* معجم العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

* معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق:

عبد السلام هارون، مركز النشر، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٤هـ.

* المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الهمذاني، الدار المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٦٢.

* المقالات والفرق، أبو خلف القمي، مركز انتشارات، قم المقدسة، ط ٢، ١٩٨١.

* مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: محمد باقر المحمود، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٢هـ.

* المناقب، ابن شهر آشوب، منشورات علامة، قم المقدسة، ط ١، ١٣٧٩هـ.

* الهداية الكبرى، الخصيبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٤، ١٤١١هـ.

القيم الخلقية
عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام



الباحث موسى جعفر حسن الخفاجي
مديرية تربية ذي قار

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وآله المنتجبين الطاهرين...

أمّا بعد

فإنَّ الإمام الحسن بن علي المجتبي (عليه السلام) هو منظومة متكاملة من المكارم والفضائل والأخلاق، ومنهاجاً نيراً يسير عليه كلُّ من أراد الاستقامة والثبات والحياة الكريمة في الدنيا، والفوز والسعادة في دار الآخرة.

لذلك كان بحثنا الموسوم بعنوان "القيم الخلقية عند الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)؛ لما لهذه الفضائل من أهمية في صقل النفوس وتهذيب الأرواح وبناء كيان الإنسان، لاسيما ونحن بأمس الحاجة للرجوع إلى عظماء التاريخ لاقتفاء آثارهم والسير على منهجهم والاستئناس بسنتهم، في ظلِّ ما نراه من ابتعاد المجتمعات عن الدين الإسلامي الحنيف، وأسس الشريعة السمحاء، وما رسمه أهل البيت (عليهم السلام) للعيش بأمن وأمانٍ وطمأنينة وسلام.

لذا سلطنا الضوء على أخلاقيات الإمام الحسن (عليه السلام) في جانب الكرم والحلم والصفح والنبل، وتطرّقنا لتلك المكارم لبيان معانيها وما يمكن أن نفيده منها، وكيف يمكن لنا الاقتداء بها بأسلوب علمي وتحليل لتلك الفضائل بما يتلاءم مع احتياجنا لتلك المزايا الأخلاقية، والرجوع إليها للنهوض بواقعنا نحو السمو والرفعة والتعايش السلمي.

فقد كانت حياة الإمام الحسن (عليه السلام) نبراساً ومثالاً يُتخذى به في جميع الفضائل المنشودة، فقد تطرّقنا في البحث إلى كيفية تعامل الإمام مع أعدائه ومبغضيه ومنكري إمامته والجاحدين لمنزلته، وكيف كان يكرمهم، ثمَّ بيان أخلاقه اتّجاه من يحاول يتقص من مقامه، وهو جاهل به، وكيف كان ردُّ الإمام (عليه السلام)، كلُّ ذلك نجده في البحث مفصلاً... ومن الله نستمد التوفيق والسداد ومن الإمام المجتبي العون والرشاد...

الكلمات المفتاحية:

الكرم والإنفاق - كريم آل البيت (عليهم السلام) - الحلم - النبل - التسامح

Abstract

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful. Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon our Noble Messenger and his chosen, pure God... Now then, Imam Hassan bin Ali al-Mujtaba (peace be upon him) is an integrated system of honorable deeds, virtues, and morals, and a luminous path upon which everyone who wants uprightness, steadfastness, and a decent life can follow. This world, success, and happiness in the afterlife. Therefore, our research entitled "Imam Hassan, peace be upon him, is the ultimate horizon in generosity and morals," because of the importance of these virtues in refining souls, refining spirits, and building human beings, especially since we are in dire need of returning to the greats of history to trace their footsteps, follow their approach, and forget their traditions, in light of what we see of them. Societies move away from the true Islamic religion, the foundations of tolerant Sharia, and what the Ahl al-Bayt (peace be upon them) prescribed for living in security, safety, tranquility, and peace. Therefore, we have shed light on the ethics of Imam Hassan (peace be upon him) in terms of generosity, forbearance, forgiveness, and nobility. We have discussed these virtues to explain their meanings and what we benefit from them, and how we can imitate them in a scientific manner and analyze those virtues in a way that is compatible with our need for those moral advantages and to return to them to advance our reality towards nobility and elevation. And peaceful coexistence. The life of Imam Hassan was a beacon and an example to emulate in all the desired virtues. We discussed in the research how he dealt with his enemies, those who hated him, those who rejected his Imam, and those who denied his Imamate, and how he honored them, then explained his morals towards those who tried to diminish his position while he was ignorant of it, and how the Imam's response (peace be upon him) was. We find all this in detail in the research... From God we derive success and payment, and from Imam Al-Mujtaba, help and guidance.

Keywords: Generosity and spending. - The Generous of the Household, peace be upon them - Forbearance - Nobility - The Halim of the Household, peace be upon them – Tolerance.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

أمّا بعد فإنّ السبط المنتجب الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يمثل مناراً مشعاً، وسراجاً مضيئاً من المكارم والفضائل والأخلاق، تأخذ بيد الفرد نحو الكمال والسمو والرفعة، فكل أفعاله وأقواله وسيرته العطرة، تصلح أن تكون منهجاً متبع لينهل منها جميع الشعوب والمجتمعات البشرية بغض النظر عن انتماءاتهم واعتقاداتهم؛ لأنهم عليه السلام أوجدتهم الباري عز وجل هدايةً ورحمةً للعالمين.

لقد حمل الإمام الحسن عليه السلام راية الإسلام في ظروف عصيبة، فقد شرع حكام الجور والظلم والطغيان على شراء الذمم والضمان بثمانٍ بخسٍ ومحاولة انتزاع المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية من المجتمع، لذا فقد عمل الإمام عليه السلام جاهداً على إرساء تلك المبادئ والقيم السامية التي جاء بها رسول الإنسانية والسلام عليه السلام وترسيخها وتطبيع الناس عليها، فترجمها عملياً في مسيرة حياته الشريفة، فما أحوجنا اليوم لتتعرف على تلك المكارم ونتمسك بها؛ لنكون أفراداً صالحين كما أرادنا أئمتنا الميامين عليه السلام.

وبحثنا الموسوم بعنوان "القيم الخلقية عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام" قد تضمّن مبحثين سبقتهما مقدمة ولحقتها خاتمة، فأما المبحث الأول فكان عنوانه "الكرم والإنفاق عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام"، وقُسم على مطلبين: المطلب الأول: "مفهوم الكرم ومنشأه"؛ إذ بيّنا فيه معناه لغةً واصطلاحاً، وكذلك في أحاديث أهل البيت عليه السلام، ثم ذكرنا فيه مؤهلاته ومنشأه عند الإمام الحسن عليه السلام، وأمّا المطلب الثاني فكان بعنوان "أشكال الكرم عند الإمام الحسن عليه السلام"، وشمل أمور عدّة منها: كرمه لأعدائه ومنكري إمامته، وكذلك عطاؤه للمحتاجين وأخيراً لردّ الجميل؛ إذ أخذنا نماذج من سيرته العطرة، وأبرز المواقف التي حصلت معه لبيان جوده وعطاءه، ثم ذكرنا ما نستفيدة منها. أمّا المبحث الثاني فحمل عنوان "أخلاقيات النبيل والحلم عند الإمام الحسن عليه السلام"، وكذلك

تضمّن مطلبين: الأوّل "مفهوم النبل والحلم"؛ إذ بيّنا مفهوم النبل والحلم لغةً واصطلاحاً، ومفهوم تلك المصطلحات في منظور القرآن الكريم وأهل البيت (عليه السلام)، وفي أحاديث الإمام الحسن (عليه السلام)، والمطلب الثاني عنوانه "أشكال النبل والحلم عند الإمام الحسن (عليه السلام)؛ إذ تضمّن أمور عدّة منها: حلمه ونبله اتّجاه أعدائه ومبغضيه، وكذلك حلمة ونبله اتّجاه رعيته، وأخيراً حلم الإمام الحسن (عليه السلام) وعفوه لمن استحقّق العقاب.

أفاد البحث العديد من المصادر الأولية، أبرزها الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ)، والإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وكتاب الطبقات لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، ومقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٢٨هـ)، وإحقاق الحقّ للقاضي التستري (ت ١٠١٩هـ).

أمّا المراجع الثانوية فأبرزها حياة الإمام الحسن (عليه السلام) دراسة وتحليل للشيخ باقر شريف القرشي، وكريم آل البيت لموسى محمّد علي، وجواهر التاريخ للكوراني، وأخلاق أهل البيت (عليه السلام) للسيد الصدر.

المبحث الأوّل

الكرم والإنفاق عند الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

ويشمل هذا المبحث مطالب عدّة منها:

المطلب الأوّل

مفهوم الكرم ومنشأه عند الإمام الحسن (عليه السلام)

أولاً/ مفهوم الكرم:

ويعرف الكرم لغةً: كرم فلاناً كرمّاً وكرامة: أعطى بسهولة وجاد فهو كريم^(١)، وعرفه الجرجاني بأنّه: هو الإعطاء بسهولة... والكريم: من يوصل النفع بلا عوض، فالكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال؛ لغرض جلب النفع أو الخلاص عن الدّمّ فليس بكريم^(٢). والكريم: الصفوح، وهو من الأسماء الحسنی ذو الكرم، يقال: رجل كريم أي سخي معطاء، يطلق الكريم من كلّ شيء على أحسنه، وعلى كلّ من يرضى ويحمد في بابهِ^(٣).

أمَّا الكرم اصطلاحًا: وهو أن لا يستبد بالمأكل والمشرب وحده؛ بل يقصد أن يشرك في مأكله في ذلك إخوانه وأوداءه^(٤)، وعرفه القاضي عياض اصطلاحًا: الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره ونفعه^(٥).

وعرفه الإمام الحسن عليه السلام عندما قيل له ما الكرم قال: "الابتداء بالعطية قبل المسألة وإطعام الطعام في المحل"^(٦)، وعندما سأل معاوية الحسن بن علي عن الكرم والمروءة؟ فقال الحسن: "أمَّا الكرم فالتبرع بالمعروف والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل"^(٧)، "والكرم: إن كان بهال فهو جود، وإن كان بكف الضرر مع القدرة فهو عفو، وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة"^(٨).

بعد أن بينا مفهوم الكرم لغةً واصطلاحًا سيوضح لنا مليًا ويترجم جليًا في سيرة كريم أهل البيت عليه السلام، أول الأسباب وثاني الأوصياء، وثالث من باهاهم رسول الله ﷺ النصاري، ورابع أصحاب أهل الكساء، الإمام المؤمن صاحب السم والمحن، الحسن بن علي المجتبي عليه السلام، ولذلك الكرم منشأ ومؤهلات وأسباب لتتعرف على أبرزها كما سيأتي إن شاء الله.

ثانيًا/ مؤهلات الكرم عند الإمام الحسن عليه السلام ومنشؤها

تنوعت أسباب الكرم بين ذاتية نابعة من ذاته عليه السلام، ووراثية وأخرى مكتسبة ومستمدة من التربية الواعية، والتنشئة الأسرية الصالحة وهي على النحو الآتي:

١- أسباب ذاتية: إنَّ روح المعصوم وجسده خلقن من أعلى عليين ومزوجة بطينه خاتم النبيين، لذا فأخلاقهم وسكناتهم ربانية، فهم أرواح ملكوتيَّة هيئة بشريَّة، قال أبو جعفر عليه السلام: "إنَّ الله خلق محمَّد وآل محمَّد من طينة عليّين، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك..."^(٩)، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "خلقنا الله تعالى من نور عظمته، ثمَّ صوِّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقًا وبشرا نورانيين..."^(١٠)، فإذا كان خلق آل محمَّد عليه السلام، هكذا فلا عجب أن نراهم متخلِّقين بأخلاق الله جلَّ جلاله، ومتَّصفين بصفاته لتصبح ذاتية مجبولة في نفوسهم ومترجمة في سكناتهم وتصرفاتهم.

وصفة الكرم هي جزء من الرحمة، والكرم الإلهي لعباده، وقد تجلَّت في عبادة المصطفين،



النجباء الأكرمين الهداة المهديين الأئمة المعصومين عليهم السلام، ثم أصبحت لقباً للسلطان الأكبر، الحسن بن علي المجتبي عليه السلام فلقب بكريم أهل البيت، وهذا الكرم الذي عُرف به نابع من ذاته ونفسه النورانية وروحه الملكوتية .

٢- أسباب وراثية: عُرِفَت الوراثة بأنها مشابهة الفرع لأصله، وكما أن الوراثة توجب المشابهة في الظواهر الشكلية، كذلك الحكم في الخواص الباطنية والذاتية والمقومات الطبيعية^(١١).

إن للوراثة دور مهم في انتقال الصفات الوراثية من الآباء والأجداد للأبناء، وهذا ما صرح به القرآن الكريم وذكره الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم ٥-٨)، وقال تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح ٢٦)، قال القرشي في تعليقه على الآية: فالآية دللت بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء إلى الأبناء^(١٢).

والسجاياء الخلقية والصفات الحميدة، أو الصفات الرذيلة للآباء والأمهات تهية استعداداً في الأولاد، فالآباء والأمهات الذين يمتازون بصفات الشجاعة والكرم والتضحية والخدمة يخلفون أبناء ذوي فضيلة وإباء وكرم^(١٣)، وعلى أي حال فقد أكد علماء الوراثة من دون تردد أن الأبناء والأحفاد يرثون معظم صفات آبائهم وأجدادهم النفسية والجسمية، وهي تنتقل إليهم بغير إرادة ولا اختيار^(١٤)، وقال مكارم الشيرازي: الآباء والأمهات ينقلون قسماً من صفاتهم الجسمية والروحية إلى أبنائهم بحسب قانون الوراثة الطبيعي^(١٥).

وإذا جئنا إلى آباء الإمام الحسن عليه السلام وأجداده فقد جمعت فيهم جميع الصفات الخلقية، فهم المثل الأعلى في الكرم والمروءة والانفاق حتى إن أسماءهم أخذت تُعرف تبعاً لكرمهم، ولُقبوا بألقاب تدل على ذلك، ومن أجداد المجتبي عليه السلام مثلاً عبد المطلب؛ إذ كان يقال له: "الفياض لجوده، ومطعم طير السماء؛ لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال..."^(١٦)، أما الجد الآخر فهو هاشم، فقد كان يقال لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل... يقال



لهم المجيرون؛ لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب... وقيل له هاشم؛ لأنه أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم^(١٧)، أمّا عن جده المصطفى ﷺ فلا نضير له بالكرم، وشهد له الباري عزّ وجلّ في كتابه المجيد، ولشدة كرمه فقد أنفق حتّى ملابسه التي كان يرتديها فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الاسراء ٢٩)، فقد ورد في تفسيرها أنّه ﷺ بذل جميع ماله حتّى قميصه، وبقي في داره عرياناً على حصيره؛ إذ أتاه بلال وقال: يا رسول الله الصلاة فنزلت... الآية، وأتاه بحلّة فردوسيه^(١٨). والإمام الحسن عليه السلام شبيه جده ووارث صفاته وشماله، قال أنس بن مالك: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي عليه السلام^(١٩).

وأما عن والده أمير المؤمنين عليه السلام فكذلك تحدّث القرآن الكريم عن كرمه، وأنزل آيات تتلى إلى قيام الساعة بحقّه منها عندما أنفق بليل والنهار سرّاً وعلانية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢٧٤) فقد ورد في تفسيرها أنّه كان لعلي عليه السلام أربعة دراهم فأنفقها واحداً ليلاً وواحداً نهاراً وواحداً سرّاً وواحداً علانية، فأنزل قوله تعالى..^(٢٠)، أمّا عن التشابه والوراثه والتماثل بين الإمام الحسن وأبيه عليه السلام ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ أمير المؤمنين كتب لابنه الحسن بعد انصرافه من صفين: "أمّا بعد فإنّي وجدتك بعضي؛ بل وجدتك كلي، حتّى كأنّ شيئاً أصابك أصابني، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي"^(٢١)، فهذا الحديث فيه دلالة على أنّ الكلمات ومنها الكرم عند أمير المؤمنين عليه السلام نجدها عند ولده المجتبي عليه السلام. كذلك والدته الصديقة الشهيذة فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد كانت مثال وأسوه للكرم والجود، وذلك أنّها أنفقت ثيابها في ليلة زفافها، ففي الرواية أنّ النبي ﷺ صنع لها قميصاً جديداً ليلة عرسها وزفافها، وكان لها قميص مرقوع، وإذا بسائل على الباب، يقول: أطلب من بيت النبوة قميصاً خلقاً، فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران ٩٢)، فدفعت له الجديد^(٢٢). قال جعفر السبحاني: "أمّا الوراثة فهي القابليّات التي ينتقل إلى المعصوم من آبائه وأجداده

من طريق الوراثة، إنّ الأولاد كما يرثون أموال الآباء و ثرواتهم يرثون أوصافهم الظاهرية والباطنية، فترى أنّ الولد يُشبه الأب أو العم، أو الأم أو الخال... وعلى ذلك فالروحانيات الصالحة أو الطالحة تنتقل من طريق الوراثة إلى الأولاد، فنرى ولد الشجاع شجاعاً، وولد الجبان جبناً إلى غير ذلك من الأوصاف الجسمانية والروحانية^(٢٣).

فإذا كان أجداد الإمام الحسن (عليه السلام) وآبؤه بهذا المقام من الكرم والجود فلا غرابة أن يكون حفيدهم أكرم أهل زمانه.

٣. عامل التربية: إنّ للتربية الأثر البالغ في تكوين شخصية الطفل ونفسيته وتنشئته، وبعد أن يمتلك الولد القدرة على الاختيار بعد بلوغه سن الرشد فإنّ الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الضمير الذي يمنعه من اتّخاذ القرارات الخاطئة^(٢٤)، قال السبحاني: أمّا عامل التربية فإنّ الكمالات والفضائل الموجودة في بيتهم تنتقل من طريق التربية إليهم^(٢٥)، وكان البيت الذي عاش فيه السبط المجتبي (عليه السلام) أنموذجاً للتربية الصالحة، فقد عمل أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على تربية أبنائهم على الفضائل الحسنة واتخاذ القدوة الصالحة، فكانا يشركان أبناءهم بأعمال البر والاحسان كالبدل والأنفاق؛ لكي يتربّوا على ذلك منها قصة السائل الذي جاء إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فقال: "من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي (عليه السلام): أنا يا رسول الله، فأتى فاطمة (عليها السلام) فاعلمها، فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا، فقال (عليه السلام): يا ابنة محمّد نومي الصبية واطفئي السراج...^(٢٦).

ولم يكتفوا بذلك؛ بل أنفقوا حتّى جلد الكبش الذي ينام عليه الحسان، فعند مجيء السائل إلى بيت عليّ والزهراء (عليهما السلام)، فقد عمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: خذ هذا أيّها الطارق! فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه...^(٢٧)، وهكذا كانت تلك الأمور إشراك الأبناء بالعطاء بمثابة تربية عمليّة لهم على الإنفاق والشعور بمعاناة الآخرين، وهذا ما تربّى عليه الإمام الحسن (عليه السلام) في البيت العلوي المطهر.

المطلب الثاني

أشكال الكرم عند الإمام المجتبي عليه السلام

اتَّخذ الكرم لدى سيّد شباب أهل الجنّة الحسن السبط عليه السلام أشكالاً متعدّدة تبعاً للظروف والمواقف الذي يراها مناسبة له، وأهمُّ تلك النماذج والأشكال ما يلي:

أوّلاً / كرم الإمام المجتبي عليه السلام لأعدائه ومنكري إمامته ومناوئيه:

إنَّ إمامة أهل البيت عليه السلام هي جعل رباني وتنصيب الهي ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة ١٢٤)، فكلُّ من ينكرها ويحدد بها يُعدُّ منكراً لأصل من أصول دينه وفساداً في عقيدته، لكن هذا لا يمنع ويقف حائل من كرم المعصوم اتّجاه تلك الفئات، فلم يجرموا من عطائه وفيض رحمته ونيل بركاته وسمو كرمه، ومن المتعارف أنَّ الشخص إذا أراد أن يكرم فإنَّه يكرم من يوده ويميل إليه، ويلتقي معه عقائدياً واجتماعياً... لكن عندما نأتي إلى سيرة الإمام الحسن عليه السلام نجد العكس من ذلك فقد امتدَّ عطاؤه لمن تجاهر له بالنصب والعداء، وهو كما يلي:

كرمه وعطاؤه للجاهلين بمقامه ومنكري إمامته

إنَّ صفات الإمام المعصوم وخصائله هي من سنخيه وصفات الباري عز وجل كما بينا في المطلب الأول فكما أنَّ الله جلَّ جلاله يرزق ويعطي ويمنُّ على من يشاء من عباده الصالح والطالح المؤمن والكافر، فكذلك أوليائه وأمنائه على عباده عطاؤهم متاح لجميع الخلائق، وهذا ما نجده في سيرة الإمام الحسن عليه السلام، فكم من منكر وجاحد قد ضلَّه الإعلام المعادي اتّجاه أئمة أهل البيت عليه السلام؛ لكن استطاع الإمام الحسن أن يمتصَّ غضبهم ويغير نظرهم ويجول من ولائهم بحكمته وفيض كرمه، ومن الأمثلة على ذلك ما روي بسند معتبر أنَّ شامياً رآه - أي رأى الإمام الحسن - راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّه، فلما فرغ أقبل الحسن فسلم عليه وضحك، فقال: أيُّها الشيخ أظنُّك غريباً ولعلَّك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبنك، ولو سألنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرَّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنَّ

لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً، فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه^(٢٨).

قال القرشي: "هكذا كان عليه السلام مثلاً للإنسانية الكريمة، ورمزاً للخلق العظيم لا يثيره الغضب، ولا يزعجه المكروه قد وضع نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤).."^(٢٩).

وفي رواية أخرى أنّه قدم رجل المدينة وكان يبغض عليّاً، فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة، فشكى ذلك إلى بعض أهل المدينة فقال له: عليك بحسن بن علي فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلّا في حسن وأبي حسن فقيل له: فإنّك لا تجد خيراً إلّا منه فأتاه فشكى إليه فأمر له بزد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت به بزد وراحلة؟ قال: أفلا أشتري عرضي منه بزد وراحلة؟^(٣٠)، وهناك روايات كثيرة في هذا الجانب لا مجال لذكرها، أمّا أهم ما نستنتجه من تلك الروايات وأمثالها التي بينت تعامل الإمام عليه السلام مع الشاميين هو ما يلي:

١- أنّ أهل الشام قد ضلّ لهم الإعلام المعادي لأهل البيت عليه السلام وغذاهم بالنصب والعداء لأصحاب الحقّ الشرعيين، وهذا ما دفع بالإمام الحسن عليه السلام يغيّر نظرهم ويحول ولائهم من مبغض إلى محب.

٢- أعطى هذا الموقف من الشاميين درساً أنّ للإشاعات المغرضة والإعلام المضاد له دور في تغيير النفوس وخلق الأعداء.

٣- أنّ أهل الشام اعتادوا في ظلّ الحكم الأموي أن يكتسب ودّهم وولاءهم بالأموال، لذلك الإمام عليه السلام التفت إلى هذا الأمر وعلم أنّ هؤلاء يكون إصلاحهم بالبذل وطيب الكلام.

٤- نستدل من تلك الروايات أنّ الإمام المجتبي عليه السلام يحمل نبل وكرم وحلم لا نظير له بحيث تلك المواقف حولت ولاء هؤلاء المبغضين إلى محبين ومعتقدين بالإمامة، ويشهدون بذلك أمام الملأ.

كرمه وعطاؤه لناوئيه ومبغضيه

إنَّ اختلاف المجتمعات فكرياً وعقائدياً أمراً طبعياً خاصّة المجتمعات الإسلامية؛ لأنّها مرّت بأحداث ووقائع وفتن شتّت الأهواء وغيّرت النفوس والآراء وأبرزت المبغضين من الصلحاء، وإذا أردنا أن نعرف كيف التعامل مع هكذا مجتمع؟ أو كيف نتعامل نحن! علينا الرجوع إلى سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم الأنموذج الأكمل في ذلك لاسيّما مولانا المجتبي عليه السلام؛ لأنّه واجهه بعد أبيه محن وفتن عصفت بالأئمة في زمنه، لكنّه لم يقطع عطاؤه وكرمه لهم؛ بل نالهم فضلة ووصلهم بأمواله، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه خطب الناس، ثمّ قال: "إنَّ ابن أخيكم الحسن بن علي قد جمع مالاً وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس فقام الحسن فقال: إنّما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس، ثمّ كان أوّل من أخذ منه الأشعث بن قيس (٣١)" (٣٢).

وهذا الرواية تدلّ على أنّهم الإمام المجتبي عليه السلام هو الاهتمام بالفقراء وجمع الأموال لقضاء حوائجهم وانعاشهم اقتصادياً على الرغم من أنّ ولي أمر المسلمين وحاكم الدولة آنذاك هو والده أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّه حمل هموم هؤلاء وجمع المال ليقسمه بينهم، اللطيف في ذلك أنّه لم يمنع ويرد من كان مبغضاً ومتلوناً ومنافقاً، وهو الأشعث بن قيس؛ بل أعطاه من تلك الأموال، وهذا ينمّ عن ساحة الإمام الحسن عليه السلام وبسط جوده للموالف والمخالف، والمحب والمبغض.

ومن مكارمه الأخرى لمبغضيه أنّ مروان بن الحكم (٣٣) قال: إنّني لمشغوف ببغلة الحسن بن علي فمن يأتيني بها؟ فانبرى إليه ابن أبي عتيق قائلاً: أنا آتيك بها؛ لكن بشرط أن تقضي لي ثلاثين حاجة؟ التزم لك بذلك، فقال ابن أبي عتيق لمروان: إذا اجتمع الناس عندك العشيّة فإني آخذ في مآثر قريش وأمّسك عن الحسن فلمني على ذلك، فلمّا اجتمع الناس أخذ ابن أبي عتيق في مآثر قريش وسكت عن ذكر فضائل الإمام الحسن عليه السلام، فقال له مروان ألا تذكر أوّلية أبي محمّد، وله في هذا ما ليس لأحد منّا، فقال ابن أبي عتيق: إنّنا كنّا في ذكر الأشراف، ولو كنّا في ذكر الأنبياء لذكرنا فضائل أبي محمّد، ولمّا خرج الإمام عليه السلام تبعه ابن أبي عتيق، فلمّا نظر إليه الحسن عليه السلام تبسّم وعرف الغاية من مديحه فقال عليه السلام له: ألك حاجة؟ فقال: نعم ذكرت البغلة، فنزل الإمام عنها ودفعها إليه (٣٤).

إنَّ مروان بن الحكم رجل غني عن التعريف، فقد أفنى عمره في الكيد للإسلام، وكان همُّه الأوَّل والأخير كيف يستولي على الحكم والسلطة، وفعلاً حصل له ما أراد... وما نستشفُّه من الرواية أنَّ ليس للكرم حد، فلا يقف عند عدوٍّ أو مبغضٍ وما شاكل ذلك، فعلى الرغم من المواقف العدائية لابن الحكم إلَّا أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) لم يرد ذلك الرجل الذي أرسله لطلب البغلة.

ثانياً / كرم الإمام الحسن (عليه السلام) وعطاؤه للمحتاجين:

إذا كان للكرم حدٌّ وللأنفاق منتهى، فهناك عظماء في التاريخ لأحدٍ عندهم في الكرم والفضل ولأنفاق، فهم المثل الأعلى في ذلك والإسوة والقُدوة لجميع البشر بمختلف القوميات والأديان... وبعد أن عرفنا كيف يبذل الإمام الحسن (عليه السلام) الأموال لمن يختلف معهم عقائدياً وفكرياً، وأنكروا إمامته ومَن آذوه وأبغضوه، سنذكر هنا بذل الإمام (عليه السلام) للفقراء والمحتاجين وهو ما يأتي:

يعطي الأموال من دون سؤال ولا يرد سائل

وفي هذا الجانب وردت روايات وأخبار كثيرة عنه، منها ما روي أنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) سمع إلى جنبه رجلاً يسأل أن يرزقه الله عشرة آلاف درهم فانصرف فبعث بها إليه^(٣٥)، وقد سأل (عليه السلام) عن سبب عدم ردِّه للسائلين فقال: إنِّي لله سائل وفيه راغب، وأنا أستحيي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وأنَّ الله تعالى عودني عادة أن يفيض نعمة علي، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعي المادة، وأنشد يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً * بمن فضله فرض علي معجل

ومن فضله فضل على كلِّ فاضل * وأفضل أيام الفتى حين يسأل^(٣٦)

وجاء بعض الأعراب فقال (عليه السلام): أعطوه ما في الخزانة، فوجدوا فيها عشرون ألف دينار، فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي، وأنشر مدحتي، فأنشأ الإمام الحسن (عليه السلام) يقول:-

نحن أناسٌ نوالنا خَصَل^(٣٧) يرتعُ فيه الرجاء والأمل

تجوّد قبل السؤالِ أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسأل

لو عَلِمَ البحر فضل نائلنا لغاصَّ من بعد فيضه خجل^(٣٨)

ففي هذه الرواية الإمام عليه السلام دفع له ما يحتاج، وزاد عليها قبل أن يُبدي السؤال ويشكوا حوائجه؛ بل ودفع إليه كل ما في الخزانة من أموال! وهذا الكرم لا نجده إلا في هذه البيوت التي جعلها الله تعالى مظهرًا من مظاهر كرمه ولطفه بعباده، وكذلك فإن قضاء الحوائج والسعي فيها من الأمور التي توجب الرحمة والغفران الرضوان والسلامة في الدارين، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: "ألا ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب الآخرة، واثنين وسبعين من كربة الدنيا" (٣٩).

وعن أبي هارون العبدى (٤٠) قال: انطلقنا حجًا فدخلنا المدينة فقلنا: لو دخلنا على ابن رسول الله ﷺ الحسن فسلمنا عليه، فدخلنا عليه فحدثنا بمسيرنا وحالنا، فلمَّا خرجنا من عنده بعث إلى كل رجلٍ منَّا بأربعمائة أربعمائة، فقلنا للرسول: إننا أغنياء وليس بنا حاجة، فقال: لا تردوا عليه معروفه.

فرجعنا إليه فأخبرناه بيسارنا وحالنا، فقال: لا تردوا علي معروفٍ فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسير، أما أني مزودكم: إن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة فيقول: "عبادي جاؤني شعثًا تتعرضون لرحمتي، فأشهدكم أني قد غفرت لمحسنهم وشفعت محسنهم في مسيئهم، وإذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك" (٤١).

وأهم ما نستنتجه من تلك الروايات ما يلي:

١- إن الإمام الحسن عليه السلام يمثل الرحمة الإلهية والعطاءات الربانية، فهو مظهر من مظاهر تلك الرحمة التي يتنعم بها العباد، فعندما يرى أحد العباد محتاج يبادر بإكرامه وقضاء حوائجه من دون يسأله ويبوح له بحوائجه كما رأينا في الروايات السابقة.

٢- إن إكرامه للوافدين عليه، وهم في طريقهم إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج هو مساعدة لهم للاستعانة بسفرهم وتشجيعًا لعملهم العظيم، وهو الحج الأكبر إلى بيت الله الحرام حتى وإن كانوا غير مستحقين له.

٣- تربية المجتمع عامة من جهة وأصحابه وخواصه من جهة أخرى على إشاعة المساعدة والمعونة بين الأفراد والحث عليها بغض النظر عن انتهاء السائل، والمحتاج والظرف الذي دعاه...



إكرام السائل ودفعه حتّى كراء الحمال .

ذكرنا فيما سبق عطاء الإمام (عليه السلام) للمحتاجين من دون أن يقصدوه ويوحووا بحوائجهم! لكن ما هو عطاؤه لمن يقصدوه ويسألوه! والرواية التالية تبين ذلك: سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: انت بحمال يحمل لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه^(٤٢)، وقال: يكون كراء الحمال من قبلي^(٤٣).

إنّ المعتاد بين الناس عندما يأتي سائل يدفعوا إليه اليسير من الأموال ليسد قوت يوم أو بضعة أيّام، لكن عندما يقصد بيوت آل محمد يخرج بأموال تكاد أن تغنيه وتقضي حوائجه، وهذا من فضل كرمهم (عليه السلام)، فهنا الإمام قد أجزل له بالعطاء، ثمّ دفع إليه حتّى طيلسانه وهو رداؤه الخاص! ثمّ دفع أجرة الحمال الذي حمل ما أعطاه! وهذا غاية الجود والكرم الذي تميّز به أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام).

كتابة الحوائج برقاع

١٨٠

لتسهيل قضاء الحوائج وتجنباً للإحراج وذلّ السؤال فقد اعتاد الناس في زمن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن يكتبوا حوائجهم برقاع ويدلّوا بها إليهم لتقضى، وللإمام الحسن (عليه السلام) مواقف عدّة في هذا الجانب، منها ما رواه البيهقيّ قائلاً: ذكروا أنّ الحسن أتاه رجلٌ في حاجة، فقال له: اذهب فاكْتُبْ حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك، فرفع إليه حاجته، فأضعفها له أي أعطاه ضعف ما طلب، فقال له بعض جلسائه: ما أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله! فقال (عليه السلام): بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً أما علمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه!^(٤٤).

وأهمّ ما يتّضح لنا من الرواية ما يأتي:

١- أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) عندما يأمر السائل بكتابة حاجته برقعة ناظر إلى مراعاة حالته ونفسيته؛ لكي لا يشعر بالخجل ويراق ماء وجهه فليس من السهل إراقة ماء وجهه، وهو في حضرة المعصوم! وأمّا من هم أهلاً لقضاء الحوائج فقد ذكرهم الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله: "لا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه،



وأما ذو المروة فإنه يستحيي لمروته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك" (٤٥).

٢- أن قوله للسائل بكتابة حاجته أمام جلسائه، هو لكي يريهم على إعطاء السائل والمحتاج بتلك الطريقة، وأن يكونوا أهلاً للمعروف؛ لما فيه خير كثير والأجر الجزيل، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: "إن في الجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف" (٤٦).

٣- نستفيد من تلك الرواية أن من يقصده الناس في قضاء حوائجهم ويجعلونه أهلاً للمعروف عليه أن يكون عند حسن الظن، ولا يتهرّب من ذلك أو يشعر بالملل والكلل؛ لأن قضاء حوائج الناس من نعم الله تعالى على العبد كما في حديث الإمام الحسين عليه السلام قال: "اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحوزوا نقمًا، واعلموا أن المعروف يكسب حمداً، ويعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين" (٤٧).

قضاء الحوائج قبل النظر بالرقاع

إن الإمام الحسن عليه السلام عندما يأمر بكتابة الحوائج برقاع حفاظاً على ماء وجه السائل من أن يراق نجد هنا أنه يدفع الأموال من دون النظر إلى ما فيها! فقد روي أن رجلاً دفع إلى الحسن المجتبي عليه السلام رقعة في حاجة، فقال له: حاجتك مقضية، فقبل له: يا ابن رسول الله، لو نظرت في رقعته، ثم رددت الجواب على قدر ذلك، فقال: أخشى أن يسألني الله عن ذلّ مقامه حتى أقرأ رقعته" (٤٨)، وهنا الإمام عليه السلام لشدة تقواه وخشيته من الله عز وجل فقد كان يخشى حتى من تأخر إجابة السائل، ولكي لا يشعر بحضرتة بالذلّ والخلل! فكيف لا يكون ذلك، وهو كريم آل البيت وجوادهم شهد له بذلك القاضي والداني، فقد قال في حقّ الشيخ موسى علي: "وحليمننا السمع الكريم وكريمنا الجواد الجليل الإمام الحسن بن علي عليه السلام... له الحظ الوافر في الجود والكرم والجانب في البذل والعطاء..." (٤٩).

رعايته للفقراء واستحيائه منهم عندما لا يملكون ما لا

روي أنه جاءه فقير يشكو حاله ولم يك عنده عليه السلام في ذلك اليوم شيء فعزّ عليه الأمر، واستحي من رده فقال عليه السلام له: إنني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير يا بن رسول الله ما

هو؟! قال عليه السلام اذهب إلى الخليفة فإنَّ ابنته قد توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحدٍ تعزيةً بليغة فعزّه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال يا بن رسول الله حفظني إياها، قال: قل له الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك، وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة فعزّاه بها، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة وقال له:

أكلامك هذا؟ لا: وإنَّما هو كلام الإمام الحسن، قال الخليفة: صدقت فإنَّه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى لصدقة^(٥٠).

إنَّ ديدن الإمام الحسن عليه السلام البذل والانفاق لمستحقِّها، وهذا ما اعتاد عليه من قصد بيته؛ لكن الإمام عليه السلام لم يكن من أولئك الذين يكنزون الذهب والفضة والأموال ويخلوها بها؛ بل أموالهم تنفق في وجوه البر والخير وإعانة ذوي الفاقة، فقد ورد في الأثر أنَّه عليه السلام: "خرج من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات حتَّى أنَّه كان يعطي من ماله نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خفًا ويمسك خفًا"^(٥١)، فعندما جاء السائل يشكو حاله للإمام، ولم يكن لديه أموال عزَّ عليه ذلك، وخجل من أن يرده، فأرشده إلى الوالي ليكون الدال على الخير كفاعله، وبذلك قد حقَّق الإمام عليه السلام أمور عدَّة بذلك الفعل:

١- نتعلَّم درسًا أن لا نرد السائل حتَّى وإن كان أحدنا لا يملك ما لا فيتصدَّق عليه بكلمة أو بأمر يسهل عليه قضاء حوائجه، ففي الحديث القدسي أنَّ الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران: "يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل..."^(٥٢)، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "لويعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحدًا، ولو يعلم المعطي ما في العطية مارَدَّ أحد أحدًا"^(٥٣).

٢- بتلك الكلمات التي علمهنَّ الإمام عليه السلام للسائل قد خفَّف الحزن عن الوالي صاحب المصيبة فلم يعزَّ بكلماتٍ قبلهنَّ، فتعزية صاحب المصاب من الأمور المندوبة قال رسول الله ﷺ: "من عزَّى مصابًا فله مثل أجره"^(٥٤).

إعادة ما يشتره من البائع عند افتقاره

ورد عن الحسن بن علي عليه السلام إذا اشترى من أحدٍ حائطًا^(٥٥)، ثمَّ افتقر البائع فيرد عليه الحائط ويردِّفه بالثمن معه، وما قال قط لسائل: لا^(٥٦).

إنَّ أهل البيت عليه السلام ليسوا طُلَّابَ دنيا ولا خازني مَالاً من حطامها الفاني، ولذا فعندما يقدموا على أمرٍ ما فإنَّهم ناظرين إلى مصلحة العباد والقرب من الباري يوم التناد، فإقدام الإمام الحسن عليه السلام لشراء الحائط من الرجل هو لتسهيل أمره وقضاء حاجته، فعندما يفتقر البائع فإنَّ كريم أهل البيت يرد عليه حائطه! وهذا الأمر لا نجد له مثل أبداً لا في القوانين الوضعيّة ولا العرفيّة، ثمَّ يردفه بالثمن فما أعظمك يا بن رسول الله ﷺ.

ثالثاً/ كرم الإمام الحسن عليه السلام لرد الجميل:

رأينا فيما سبق كيف كان كرم الإمام عليه السلام لأعدائه ومبغضيه، وكذلك للسائلين وذو الفاقة والمحتاجين، وهنا نذكر موقفه من الذين يبادرون له بهدية أو دعوه لطعام أو عمل من أعمال البرِّ، وهو ما يأتي:

إكرامه لجارية قدمت له بطاقة ریحان

روي عن أنس^(٥٧) قال: كنت عند الحسن بن علي عليه السلام فدخلت جارية بيدها بطاقة ریحان فحيتّه بها، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فقلت له: حيّتك جارية بطاقة ریحان لا خطر لها فأعتقتها، فقال: كذا أدبنا الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ وكان أحسن منها إعتاقها^(٥٨)، وأهمُّ ما يتّضح لنا من الرواية الأمور التالية:

١- رحمة الدين الإسلامي الحنيف بطبقة العبيد والإماء التي وجدت قبل البعثة النبوية، فعمل التشريع الإسلامي على تقنينها وإذابتها تدريجياً بالعتق، فما قام به الإمام الحسن عليه السلام هو تشجيعاً على العتق في سبيل الله.

٢- أن الذي يقدّم لنا هديّة نقبلها ونكرم صاحبها استناداً للآية الكريمة التي تلاها الإمام عليه السلام، وهي ترشدنا إلى رد التحية بأحسن منها، فقد كان عن رسول الله ﷺ "يقبل الهدية ويثيب عليها"^(٥٩).

إكرامه لصبيان مساكين دعوه لمأدبة

يحكى عن الحسن بن علي عليه السلام حكاية تدلُّ على ردّه للجميل وشكره على المعروف وأدبه وتواضعه^(٦٠)، وذلك: أنّه مرَّ بصبيان من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق، وقد نشروا كسراً على الأرض ولقماً من العيش، وكان الحسن على بغلته، فلما مرَّ بهم سلم عليهم فردوا

عليه السلام، وقالوا: هلم الغداء يا ابن رسول الله؟ فقال: نعم إن الله لا يحب المتكبرين، ثم ثنى فخذته عن دابته، وقعد معهم على الأرض، وأقبل يأكل وبعد أن فرغوا من الأكل، وكان الخبز الذي معهم قليلاً قام سيدنا الحسن وأركبهم معه إلى منزله، ثم أطعمهم أنواعاً من المأكّل، وكساهم بعد ذلك، فلما سئل في سبب إطعامهم وكسوتهم؟ قال: الفضل لهم؛ لأنهم لم يجدوا معهم غير قطع الخبز الذي أطعموني، ولكن أجد كثيراً ممّا أعطيتهم، فيجب أن أقابل الحسنة بمثلهما أو بأحسن منها^(٦١)، وأهمّ ما نلاحظه في الرواية ما يلي:

١- تواضع مولانا أبي محمّد المجتبى عليه السلام وبساطته، فهو لم يكن فرداً كأفراد المجتمع؛ بل هو جدّه رسول الله ﷺ وأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأعلم أهل زمانه، وحاكم الدولة الإسلامية بعد أبيه وعميد السادة الهاشميين وفخرهم، كل تلك المقامات لا تزيده إلاّ إيماناً وتواضعاً ورفعة، فعندما يدعى من قبل صبيان مساكين واضعين كسيرات خبز على الأرض نراه يجلس معهم بكلّ هدوء وتواضع ورحمة وعطف عليهم، قال القرشي في تعليقه على الرواية: "إنّ التواضع دليل على كمال النفس وسموها وشرفها"^(٦٢).

٢- رسالة بليغة ودعوة لجميع البشريّة أن يكونوا متواضعين متراحمين يعطفوا على الأدنى رتبة اجتماعيّة منهم، والدين الإسلامي أكّد على هذا الأمر مراراً وتكراراً فعن رسول الإنسانية والسلام ﷺ قال: "طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذللّ في نفسه من غير مسكنة، وأنفق ما لا جمعه في غير معصيّة، ورحم أهل الذلّ والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة"^(٦٣).

٣- إنّ استجابة دعوة أولئك المساكين وجلسه على الأرض معهم هو امتثالاً وتطبيقاً للسنة النبويّة الشريفة فعن ابن عباس^(٦٤)، قال: "كان رسول الله ﷺ يجلس جلسة على الأرض ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة ويحلب دعوة المملوك"^(٦٥)، وكذلك فإنّ تلبية الدعوة من الأمور التي حثّ عليها الشرع المقدّس فيجب المبادرة إليها، أمّا إذا كانت من قوم فقراء أو من طبقات اجتماعيّة متدنّية ففيها ثواب جزيل وأجرٌ كثير؛ لأنّ المأدبة والوليمة التي لا يحضر فيها الفقراء وصفت بشرّ الولايم، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: "بئس الطعام وشرّ الطعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء"^(٦٦).

٤- لكرم الإمام الحسن عليه السلام وسعة جوده وتوالي عطاياه، فقد حمل هؤلاء القوم إلى داره وأكرمهم وأطعمهم أنواع الأكل وكساهم، وهذا كان منوال كريم أهل البيت عليه السلام اتجأه ذوي الفاقة والمحتاجين والسائلين، لاسيما وأن هؤلاء المساكين هم بدأوا بدعوته؛ لذا فقد ضاعف لهم بالعطية والكرم سواء بالمأكل أو الملبس.

أعتق غلامًا واشترى له بستانًا لإطعامه كلبًا

روي عن الحسن بن علي عليه السلام: أنه كان مرًا في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته، فلم يعاينه فيه بشيء؟ قال: استحت عينا من عينيه أن أعاينه، فقال له: غلام من أنت؟ قال: غلام أبان بن عثمان فقال: والحائط (البستان)؟ فقال: لأبان بن عثمان فقال له الحسن:

أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام قد اشتريتك، فقام قائمًا فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك، قال: فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني له...^(٦٧)، وأهم ما يتضح لنا من الرواية ما يلي:

١- تأييد الإمام الحسن عليه السلام لأعمال البرِّ والرأفة بالحيوان والرفق به وإطعامه، فالإمام قد سبق جمعيات الرفق بالحيوان ومنظّماته - التي نراها اليوم في الشرق والغرب - بمئات السنين وكافئ من يطعمه وشجع عليه، كذلك نبينا الكريم ﷺ أكد على ذلك بقول: "من أكل وذو عنين ينظر إليه ولم يواسه، ابتلي بداء لا دواء له"^(٦٨).

٢- إشاعة عتق العبيد وتربية المجتمع عليها لجعلهم أحراراً لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

٣- سعة كرم الإمام عليه السلام وفضل جوده وسخائه^(٦٩)، فبإمكانه عندما يرى مثل هكذا عمل حسن أن يشكره ويثني عليه، وهذا الشكر من ابن رسول الله ﷺ يكفي؛ لكنّه يأبى إلا أن يدخل السرور والبهجة، وليفرح على قلبك ذلك العبد المسكين ويجعله حرّاً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ببركات الإمام المؤمن، والسبب المتعجب الحسن بن علي المجتبي عليه السلام.

المبحث الثاني

أخلاقيّة النبل والحلم عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

ويقسم هذا المبحث على مطالب منها:

المطلب الأوّل

مفهوم النبل والحلم

النُّبْل: ويعرف لغةً: هو الفضل والذكاء والنبل الشريف النجيب^(٧٠)، وهو الذكاء والنجابة وأنبل بقومك أي أرفق بقومك^(٧١)، ويدلُّ على فضلٍ وكبر فيقال للفضل في الإنسان نُبْل^(٧٢)، وقيل: هو الفضل كمال الجسم ويقال للأمر نبله أي عدته ويهيأ لإتمام^(٧٣).

وعُرِّف اصطلاحاً بأنّه: طيب الحديث وحسن المقال^(٧٤)، وسرور النفس بالأفعال العظيمة وابتهاجها بلزوم هذه السريرة^(٧٥)، كما عُرِّف بأنّه: خُلُقٌ حميد، يتحلّى صاحبه بالذكاء والنجابة في ذاته، والفضل والرّفق في تعامله مع النَّاس، مع حذْقٍ في الرَّأي والعمل^(٧٦).

أمّا الحلم: لغةً: فهو الأناة وضبط النفس والعقل^(٧٧)، قال الجرجاني: الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل تأخير مكافئة الظالم^(٧٨).

أمّا الحلم اصطلاحاً: فقد عرّفه الراغب الأصفهاني بأنّه ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب^(٧٩)، وقال الجاحظ: هو ترك الانتقام عند شدّة الغضب مع القدرة على ذلك، وهذا الحال محمود ما لم تؤدّ إلى ثلم جاه أو فساد سياسة، وهي بالرؤساء والملوك أحسن؛ لأنّهم أقدر على الانتقام من مغضبهم^(٨٠).

وقال النراقي: هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا يزعجه المكروه بسرعة^(٨١).

النبل والحلم في القرآن الكريم وأحاديث النبي

والأئمّة المعصومين عليه السلام

لقد حثَّ القرآن الكريم والسنة النبوية وما ورد عن الأئمّة عليهم السلام على التحلي بمكارم الأخلاق وتجنب رذائلها؛ بل من صفات المؤمن أن يكون حليماً لين العريكة سمحاً سخياً طيب القلب متنزهاً عن ردّ السيئة بمثلها، وقد مدح الله تعالى نبيّه لحسن خلقه، فقال عنه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال الراغب الأصفهاني في بيان معنى الحلم في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ (الطور: ٣٢) (أَخْلَامُهُمْ) أي: عُقُوبُهُمْ، فالحلم بمعنى: العقل أي الإحكام وضبط النفس، وحلم، أي: ضبط نفسه وسيطر عليها^(٨٢)، وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥)، وملهم الأخلاق والفضائل هو رسول الإنسانية والسلام نبينا الأكرم ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(٨٣)، وتلك الأخلاق الرفيعة قد ساد على العرب والعجم، وقر له المخالف والموالف والمحِب والمبغض.

وقد تضافرت الأحاديث الشريفة في الحث على التحلي بمكارم الأخلاق كالحلم والنبل والصفح، ومن يتحلَّى به فقد وعد بالمغفرة والرضوان ومجاورة الملك المنان، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: "من كفَّ غضبه عن الناس كفَّ الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة"^(٨٤)، وقال ﷺ: "بعثت للحلم مركزاً، وللعلم معدناً، وللصبر مسكناً"^(٨٥)؛ بل إنَّ بالحلم يبلغ الرجل درجة الصائم القائم حيث ورد عنه ﷺ: "إنَّ الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم"^(٨٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "الحلم عنوان الفضل (النبل)، والحلم زين الخلق"^(٨٧)، ولا يتصور بعض الناس أنَّ عدم رد الشتم أو الإساءة موضع ضعف؛ بل هو بمثابة الإهانة والعقاب له، ورضا وقرب من الرحمن، وسخط وطرْد للشيطان، وأنَّ صاحب الخلق له الدرجة والمنزلة الرفيعة، وله من الأجر كما للمجاهد في سبيل الله، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنَّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله"^(٨٨).

الحلم والنبل في منظور الإمام الحسن عليه السلام

ورد ذكر الأخلاق الفاضلة كالحلم والنبل والصفح على لسان أبي محمَّد الحسن المجتبي عليه السلام في مواضع كثيرة وترجمها بتعامله مع الناس ومع مجتمعه بأطيافه كافة واختلاف مذاهبه، ومن أحاديثه في هذا الجانب قوله: "لو شتمني أحد في إحدى أذني، ثمَّ اعتذر في الأخرى لقبلت"^(٨٩)، وخطب

يومًا بالكوفة فقال: اعلّموا يا أهل الكوفة أنَّ الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه...^(٩٠)،
وسأله الإمام علي عليه السلام عن الحلم؟ فقال الإمام الحسن عليه السلام: "كظم الغيظ، وملك النفس"^(٩١).
وقد شهد للإمام الحسن عليه السلام بالحلم حتى الذين لا يقرون له بالإمامة، فقد روي أنَّ
رجلاً قال للحسن البصري^(٩٢): يا أبا سعيد! أ معاوية أحلم أم الحسن؟ قال: بل الحسن،
فقال: إنَّما أعني معاوية الذي كان أمير المؤمنين؟ فقال: وهل كان ذلك إلّا حمارًا نهاقًا؟^(٩٣).
كذلك اعترف مروان بن الحكم بسعة حلم الإمام الحسن عليه السلام وعظمته كما في الرواية
- التي يأتي ذكرها مفصلاً فيما بعد- لما مات الحسن بن علي، وأخرجوا جنازته حمل مروان
سريره، فقال له الحسين: أتحمل سريرته؟ أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ، فقال مروان: إنِّي
كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(٩٤).

وقال الزرندي الحنفي في حقه: كان الحسن من العلماء الكرماء الأسخياء... ثم قال في معنى
بيان السيد: والسيد قيل: هو الذي لا يغلبه غضبه، وقيل: هو الذي يفوق قومه في الحين،
وقيل: السيد الخليم وهذه الأوصاف اجتمعت في الحسن بن علي^(٩٥)، وقال السيوطي في حقه:
"كان الحسن سيِّداً حليماً، ذا سكينة ووقار وحشمة جواداً ممدوحاً..."^(٩٦)، كذلك قال عنه ابن
عبد البر: "وكان عليه السلام حليماً ورعاً فاضلاً"^(٩٧)، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن صاحب الخلق
العظيم رسول الله ﷺ وبضعة منه وسبطه الأوّل وشبيهه؛ إذ قال المسعودي: "وكان أشبه الناس
خلقاً وخلقاً برسول الله"^(٩٨).

المطلب الثاني

أشكال النبل والحلم عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

اتَّخذ النبل والحلم عند الإمام الحسن عليه السلام أشكالاً متعدّدة يمكن تقسيمها إلى عدّة أمور،
وهي على النحو الآتي:

أوّلاً / حلمه ونبله اتّجاه أعدائه ومبغضيه:

تجلّت أبهى صور الحلم والنبل والرحمة عند الإمام الحسن عليه السلام في موقفه مع الذين يكيّدون
له ويضمرون الحقد والبغض له ولأبيّة عليه السلام، ومن تلك المواقف ما روي عن زعيم الأسرة

المروانية الملعون على لسان النبي الخاتم^(٩٩) ابن الطريد مروان بن الحكم، فعن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا، فكان يسبُّ علياً كلَّ جمعة على المنبر وحسن يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعلي وبعلي وبك وبك وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها من أبوك، فتقول أُمي الفرس، فقال له الحسن ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبَّك؛ ولكن موعدني وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة^(١٠٠)، وفي تلك الرواية دلائل عدّة منها:

١- ورد في الرواية أن مروان كان أميراً ووالياً عليهم، فهل الوالي وظيفته السب والشتم؟ أم إثارة الفتن والعنصرية؟ لكن يبدو أن الأحكام الذين غصبوا حق آل محمد، وتربّعوا على عرش الدولة الإسلامية يشعرون بعقدة نقص، وأن هناك أسرة هم أولى بالحكم وأحق به من غيرهم، لذا من شدّة خوفهم من جهة وتمسّكهم بالحكم والسلطة من جهة أخرى، فقد شرعوا بكل ما أتوا من قوّة في سبيل تفريق الناس عن أهل البيت^(عليه السلام)، وتشويه صورتهم واستغلال التجمعات الدينية لسبهم، وكان سب أمير المؤمنين^(عليه السلام) في مقدمة ما قاموا به.

٢- أن سكوت حليم آل البيت الإمام الحسن^(عليه السلام) عن مروان هو بحدّ نفسه إهانة له واستصغاراً لشخصه وتنزّها عنه، لذا عندما رأى مروان سكوته عنه بعث رجلاً يسبّه مباشرة؛ لكنّه كذلك فوجئ بالرد، ولم يقابل السيئة بالسيئة ليكون مصداقاً أمير البلغاء والمتكلمين علي بن أبي طالب^(عليه السلام)؛ إذ قال: "دع شاتمك مهاناً ترض الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه"^(١٠١).

وفي رواية أخرى: أنّه كان بين الحسن بن علي ومروان كلام فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له وحسن ساكت، فامتخط^(١٠٢) مروان يمينه، فقال له الحسن: ويحك: أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج؟ أف لك!! فسكت مروان^(١٠٣).

وهنا الإمام^(عليه السلام) يؤسّس قاعدة للتسامح والعفو ونبذ عقدة الحقد والتحامل على الآخرين، وعدم الرد بالمثل وترك السباب والشتم، فالله تعالى نهانا عن سبّ حتّى الذين يدعون من

دونه قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، فالإمام الحسن عليه السلام قادراً على رده؛ لكنه لا ينزل هكذا مستوى من التدني ولا انحطاط في السبِّ والشتم، ولا يرد إلا بما تجود به نفسه من العفو والحلم والنبل؛ ليكون مصداقاً لقول جدّه المصطفى عليه السلام: "إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه" (١٠٤)، أما عن اللذان يسبُّ بعضهما بعضاً فقد وصفهم عليه السلام بالشیطانين؛ إذ قال: "المتسابان شيطانان يتهاتران" (١٠٥).

حلمه يوازن به الجبال

روي أنّه لما مات الحسن بن علي عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره، فقال له الحسين: أتحمل سيره؟ أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ، فقال مروان: إنّي كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال (١٠٦).

إنّ هكذا اعتراف (١٠٧) من عدو لدود لآل البيت عليه السلام عامّة وللإمام الحسن خاصّة يدلُّ على القلب الكبير والحلم العظيم الذي كان يحمله الإمام الحسن عليه السلام ليجابه به أذى هؤلاء وما جرعه من الغيظ؛ لكن ابن الحكم صدق بذلك الوصف عندما قال يوازن حلمه الجبال.

الله يعلم حيث يجعل رسالته

عن عاصم بن المصطلق قال: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي فأعجبني سمته وأثارني ما كان في صدري على أبيه من البغض، فقلت: أنت الحسن بن علي بن أبي طالب؟ قال: نعم، فبالغت في شتمه وشتّم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطف رؤف، وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.. فقرأ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٩-٢٠١)، ثمّ قال: استغفر الله لي ولك، أنت لو استعنتنا لأعناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك، قال: فندمت على ما كان منّي، فقال: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢)، أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم قال: حيّاك الله وبيّاك، انبسط لنا في حاجتك تجد أفضل ظنك إن شاء الله، قال عاصم: فضاقت علي الأرض بما رحبت وودت أنها ساخت بي وذهبت عنه وما أحد على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه (١٠٨)، وأهم ما نلاحظه على الرواية ما يلي:

١- تتعلم درساً أخلاقياً من الإمام الحسن عليه السلام بعدم الرد بالمثل لمن يسيء لنا؛ بل الحلم والصفح والعفو أبلغ في الرد ونيل المراد.

٢- عندما سمع الإمام عليه السلام كلام الشامي البذيء من لعن وشتم، لتساءل هل رد عليه بالمثل؟ هل قابلة بما يكره؟ كلا؛ بل استقبله أبو محمد (صلوات الله عليه) بنظرته الرحيمة العظوفة، وعندما علم به من أهل الشام رحّب به، ثم تلا عليه الآيات الدالة على العفو وبذلك امتص غضبه.

٣- بسبب صدق ما رأى الشامي من كلام الإمام عليه السلام فقد ضاقت به الأرض ذرعاً، وتمنى أن الأرض ساخت به، ثم انصرف وما أحد على وجه الأرض أحب إليه من الإمام الحسن وأبيه عليه السلام.

٤- كان هدفه عليه السلام إشاعة التسامح ونبذ حقد الحقد والكرهية والدعوة للعفو والصفح والنبل، وعدم الرد بالمثل، وتبلك المبادئ يتحول ولاء المبغض والمعاندين إلى محب وموالي.

هكذا كان عليه السلام مثلاً للإنسانية الكريمة، ورمزاً للخلق العظيم لا يثيره الغضب ولا يزعجه المكروه، قد وضع نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤)، وقد قابل جميع ما لاقاه من سوء وأذى ومكروه من الحاقدين عليه بالصبر والصفح الجميل... لقد كان الإمام كجده الرسول الأعظم ﷺ في سعة حلمه، وعظيم أخلاقه، وصفحه ممن أساء إليه، وقد روى التاريخ بوادٍ كثيرة من أخلاقه دلّت على أنه في طليعة المسهمين في بناء الأخلاق والآداب في دنيا العرب والمسلمين^(١٠٩)، كذلك روي أنه شتم رجل يوماً الحسن بن علي عليه السلام فبالغ في شتمه، وقال به الحسن: «أما أنت فلم تبق شيئاً، وما يعلم الله أكثر^(١١٠)». يبدو أن بني أمية قد أشاعوا قضية السباب والشتم، ومن يريد أن يتقرب إليهم فإنه يبالغ بسب آل محمد ﷺ، لذا فالإمام المجتبي عليه السلام عمل على إشاعة العفو والتسامح والأخلاق الفاضلة؛ ليجابه به رذائل أخلاق بني أمية وأعوانهم.

حلمه وعفوه على أعدائه بعد شهادته

ورد من ضمن وصايا الإمام الحسن لأخيه الحسين عليه السلام: "احملني إلى قبر جدّي رسول الله ﷺ فألحني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك فبحق جدك رسول الله وأبيك أمير المؤمنين وأمك فاطمة، وبحقي عليك إن خاصمك أحد فردني إلى البقيع فادفني فيه ولا تهرق في محجمة دم"^(١١١)... فان

أبت عليك الامرأة فأنشذك الله بالقربة التي قرب الله عز وجل منك، والرحم الماسة من رسول الله أن تهريق في محجمة من دم^(١١٢)، وفي رواية قال: "ما أحب أن يقتل برئ بي"^(١١٣)، وأهم ما يتضح لنا من الروايات الأمور التالية:

- ١- إن أعداء الإمام الحسن عليه السلام قد شملهم عفوه وحلمه حتى عند رحيله من الدنيا.
- ٢- شدة تقواه وورعه في دين الله؛ إذ أوصى أن لا يراق بسببه حتى محجمة دم.
- ٣- تدل تلك الروايات على انحطاط وخسة اعداء آل بيت النبي عليه السلام ونذالتهم من جهة وسمو ورفعة أخلاق أهل البيت عليهم السلام من جهة أخرى، فهم في حالة من الحزن والمصاب بفقد سيدهم ونقيبهم، "وقد بكى على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعا النساء والرجال والصبيان... مكث الناس ليكون على حسن بن علي سبعا ما تقوم الأسواق"^(١١٤)، وفي هذه الظروف والأجواء المشحونة بالهم والحزن يُمنع سبط النبي من دفنه بجوار جده^(١١٥)، ويُطاول على نعشه الطاهر؟ فهل يجازى هكذا!!

ثانياً/ حلم الإمام الحسن عليه السلام ونبله اتجاه رعيته:

إن الأقوام التي عاش معهم الإمام الحسن عليه السلام وأصبحوا تحت إمرته هم أنفسهم الذين جرّعوا أمير المؤمنين عليه السلام الغصص، وأدخلوه في المحن وملأوا قلبه قيحاً وصدره غيظاً، وخالفوا له أمراً حتى قال في أحد خطبه: "لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً... وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"^(١١٦)، فلا غرابة أن نجدهم يتجرؤوا على الإمام الحسن عليه السلام ويخالفوا أمره؛ لكنه قابلهم بالحلم والعفو والتسامح، ولم يرد عليهم بالمثل كما سنرى فيما يلي:

حلمه ونبله لمن ثار عليه

وطعنه بفخذه

ذكر المؤرخون الأحداث التي سبقت صلح الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ابن أبي سفيان، وما جرى فيها من أمور؛ إذ كان للإمام عليه السلام دور كبير في احتواء الفتنة وحقن الدماء، وكان موقفه موقف الرجل الحليم ذو الخلق العظيم، فعندما بدأت بوادر الصلح افتتح كلامه بمحبته لهم

وعدم حمل الضغائن ولا سوء؛ إذ قال: "وما أصبحت محتماً على مسلم ضغينة، ولا مرید له بسوء ولا غائلة" (١١٧) ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأيي غفر الله لي ولكم... قالوا: نظنه يريد أن يصلح معاوية، ويكل الأمر إليه، كفر والله الرجل! ثم شدوا على فسطاطه (١١٨)، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً سيفاً بغير رداء... ثم قام إليه رجل من بنى أسد، ثم من بنى نصر بن قعين، يقال له جراح بن سنان، ويده معول فأخذ بلجام فرسه، وقال: الله أكبر! يا حسن أشرك أبوك، ثم أشركت أنت وطعنه بالمعول (١١٩)، فوقعت في فخذه، فشقته حتى بلغت أرييته، وسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده، واعتنقه، فخرا جميعاً إلى الأرض... واشتغل الحسن عليه السلام بنفسه يعالج جرحه (١٢٠).

وأهم ما يلاحظ على الرواية الأمور التالية:

١- أن جيش الإمام الحسن عليه السلام خليط من فرق عدة، ولم يكونوا من شيعته الخالص، وإلا هل يعقل أحد من مقربيه يريد قتله؟ أو يطعنه بمعول!!

٢- نستدل من تلك الرواية أن حكم أهل البيت عليه السلام لم يكن حكم تجبر وطغيان واستبداد؛ بل العكس من ذلك وهو حكم حرية التعبير عن الرأي وقبول الانتقاد برحابة صدر ويكون الرد عليه في محله، وهذا لا نجده إلا في حكومة أهل البيت عليه السلام، فالحكومات التي سبقتهم وتلتهم تميزت بالتجبر والطغيان على الرعية والتسلط على رقاب المسلمين، ومن أقرب الأمثلة على ذلك ما روي عن الوليد بن عبد الملك أنه جلس على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرَّت الشمس، فقام إليه رجل فقال: ... إن الوقت لا ينتظرك، وإنَّ الربَّ لا يعذرك، قال: صدقت: ومن قال مثل مقاتلتك، فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك، من هاهنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه" (١٢١).

٣- أن ذلك لا يدلُّ على ضعف الإمام الحسن عليه السلام وعجزه عن ردع أمثال هؤلاء، فهو من تلك الذرية التي قال عنها رسول الله ﷺ: "لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً" (١٢٢)،

وكذلك معه أخوته وأبنائه وأهل بيته في إمكانهم تأديب أولئك وردعهم، لكن يأبى حليم آل البيت إلا أن يغض الطرف عنهم ولم يرد عليهم، ولا أمر أن يُرد عليهم أحد بالمثل.

٤- يتضح لنا مما سبق أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد مرت عليه مآسي وهموم وخذلان جيشه، وتقلب أهواء رعيته كالأحداث التي عصفت بالأمّة زمن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكأخيه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، ولم يفسح له في الحكم؛ لكي يحقّ الحق وتنعم بلاد المسلمين بالأمن والأمان والرفاهية والاطمئنان؛ لكنهم أشغلوه بفتن وتشتت الأهواء وعدم استقرار حالت دون ذلك !!

حلمه ونبله اتجاه تأنيب صحابته واعتراضهم عليه

روي أنه: أتى مالك بن صُمرة^(١٢٣) الحسن بن علي (عليه السلام) فقال: السلام عليك يا مُسَخَّم وجوه المؤمنين! قال: "يا مالك لا تقل ذلك، إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله، خَشِيتُ أن تُجْتَشُوا عن وجه الأرض، فأردتُ أن يكون للدين في الأرض ناعي" فقال مالك: بأبي أنت وأمي، "﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾"^(١٢٤) (ال عمران ٣٤)، يبدو أن الاشاعات التي أثّرت داخل معسكر الإمام الحسن (عليه السلام)، وقلة الوعي وعدم التسليم المطلق للمعصوم جعلت اعتراضات وردود واستنكار؛ لما قدم عليه من مصالحه معاوية، لذا فمجرد تذكيرهم بأهداف الصلح وعدم الرد عليهم بالمثل يندموا على ما قالوه.

وقال ابن أعثم الكوفي: دخل عليه سفيان بن الليل البهمي، فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فلقد جئت بأمر عظيم، هلا قاتلت حتى تموت ونموت معك! فقال له الحسن: يا هذا! إن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى رفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم يصعدون منبره واحداً بعد واحد، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرأنا فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿ (القدر ١-٣)، إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية^(١٢٥)، أخرج الترمذي عن الحسن بن علي (عليه السلام)، قال القاسم بن الفضل الحداني: فعدناها فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً^(١٢٦).

إن هؤلاء لم تكن لهم رؤية عن مصلحة الأمّة، ولم يعوا المصلحة والفتح الذي حققه الحسن السبط

عليه السلام من صلحه، والواجب عليهم التسليم المطلق لإمامهم كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب ٥٦)، إلا أنهم اعترضوا وجادلوا وأنابوا إمامهم وأخرجوه ببعض الكلمات الجارحة؛ لكنه عليه السلام بسعة صدره وواسع حلمه وفيض نبلة تقبل ذلك وأجابهم كلاً بحسب فهمه.

عفو وحلمه اتجاه قتلته

وردت عدة روايات في سبب شهادة الإمام الحسن السبط عليه السلام، وأنه تعرض للقتل في أكثر من مرة؛ إذ دس له السم مراراً وتكراراً، وفي المرة الأخيرة التي أدت إلى شهادته كان السم من زوجته جعدة بنت الأشعث بدوافع خارجية^(١٢٧)، ولتساعل عن موقفه وردت فعله وكيف قابلهم، فقد روى الأميني: أنه سقي السم مراراً كثيراً فأفلت منه، ثم سقي المرة الأخيرة فلم يفلت منها... سقي الحسن مراراً وفي الآخرة مات فإنه كان يختلف كبده، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً^(١٢٨)، ودخل عليه الإمام الحسين عليه السلام يعود فقل له الحسن: يا أخي إني سقيت السم ثلاث مرات فلم أسق مثل هذه، فقال الحسين: ومن سقاك يا أخي قال: وما سؤالك عن ذلك أتريد أن تقتلهم؟ قال نعم قال: إن يكن الذي أظنُّ فالله أشدُّ بأساً وتنكيلاً، وإن لا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، أكلهم إلى الله تعالى^(١٢٩)، وفي رواية المفيد وابن شهر آشوب أنه عليه السلام قال: يا أخي إني مفارقك ولا حق بري، وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطشت، وإنني لعارف بمن سقاني، ومن أين دهيت وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل، فقال له الحسين: ومن سقاكه؟ قال: ما تريد به؟ أتريد أن تقتله؟ إن يكن هو هو فالله أشد نقمة منك، وإن لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بي بري فبحقي عليك أن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله في^(١٣٠)، وفي رواية قال لأخيه الحسين عليه السلام: "فلا أخبرك به أبداً حتى نلقي رسول الله ﷺ" ^(١٣١)، وفي تلك الرواية عدة دلائل:

١- أن الإمام الحسن عليه السلام صاحب السم والمحن قد سقي السم في أكثر من مرة، فلم يكشف عنه ولا أخبر أحداً عما جرى عليه إلا في المرة الأخيرة التي أدت إلى شهادته، وهذا يدل على كثرة محاولات الأعداء في القضاء عليه وتجربه لمراة السم والآلام من جهة وكتمان أمره وعدم شكايته لأحد من جهة أخرى؛ لأن كتمان المرض والمصيبة من الأمور التي أكد عليها رسولنا الكريم ﷺ في أحاديث عدة منها قوله: "ثلاثة من كنوز البر،

إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة، وكتمان الشكوى، يقول الله عزَّ وجلَّ: ابتليت عبيدي ببلاء، فصبر، ولم يشكني إلى عواده فأبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وإن أرسلته أرسلته ولا ذنب له، وإن توفيته توفيته فإلى رحمتي" (١٣٢).

٢- أن إصرار الإمام عليه السلام بعدم القصاص من قتلته والمطالبة بدمه الشريف هو استمرار على النهجة في العفو والصفح والنبيل والحفاظ على أمن مجتمعه والدعوة للتعايش السلمي، وإلاَّ فبإمكانه أن يسمح لإخوته بأخذ ثأره وله الحق بذلك، لكن يأتي إلّا أن يكون مصداقاً لقولة تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ١٣)، وقولة تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة ٢٣٧).

ثالثاً/ حلم الإمام الحسن عليه السلام وعفوه لمن استحق العقاب

لقد شمل عفو حليم آل البيت الإمام الحسن عليه السلام كل طبقات المجتمع فلقد رأينا حلمه على أعدائه ومبغضيه وكذلك عفوه ونبله لمن ساء الادب معه من رعيته... وفي هذا المطلب سنتناول عفوه وحلمه لترك العقوبة والقصاص وكما يأتي:

وحلمه وعفوه لترك عقوبة

روي أن غلاماً للإمام الحسن عليه السلام جنى جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ﴾، قال: خلّوا عنه، فقال: يا مولاي ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك (١٣٣)، وأهم ما يلاحظ على الرواية الأمور التالية:

١- رب سائل يسأل: إذا كان الإمام عليه السلام عرف بالحلم والعفو والنبيل والتسامح حتى أصبحت ألقاباً من ألقابه (حليم آل البيت)، فلماذا أمر بضرب الغلام؟ والجواب على ذلك هو أن القصاص أوجدته الشريعة الإسلامية للحفاظ على بناء المجتمع وكيانه ولردع الجناة والعصاة، فلو ترك لهم الحبل على الغارب لعاثوا في الأرض الفساد؛ لذلك كان القصاص أصلاً لهم، فالذي يجني جناية يكون إصلاحه وتطهيره بإقامة عليه الفرائض والحدود؛ لذلك أمر أبو محمد عليه السلام بإقامة الحد على الغلام، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

تَقُونُ ﴿ (البقرة: ١٧٩) .

٢- أن الإمام عليه السلام أقرَّ عليه الحد، ثمَّ عفى عنه! فحتَّى لو لم يتلوا عليه الغلام تلك الآية الكريمة لعفى عنه؛ لكنَّه أشعره بأنَّه من الكاظمين الغيظ ومن العافين عن الناس ومن المحسنين؛ ليكون عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤) .

٣- بركات كريم أهل البيت عليه السلام فقد عفى عنه من القصاص وأعتق ليصبح حرّاً وتضاعف عطاؤه، فقد شمله عفو الامام عليه السلام وحلمه وكرمه وإحسانه في آنٍ واحد، فقد روي عنه عليه السلام أنَّه قال: "من نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كُرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحبُّ المحسنين" (١٣٤) .

حلمه ونبله لمن جلب الهم والحزن له

روي أنه كان للحسن بن علي عليه السلام شاة تعجبه، فوجدها يوماً مكسورة الرّجل، فقال للغلام: من كسر رجلها؟ قال: أنا، قال: لم؟ قال: لأغمنك، قال الحسن: لأفرحنك، أنت حرٌّ لوجه الله تبارك وتعالى، وفي رواية أخرى قال: لأغمن من أمرك بغمي، يعني أن الشيطان أمره أن يغمّه (١٣٥)، وأهم ما نستفيدة من الرواية الأمور التالية:

١- أن الإمام الحسن عليه السلام يمثل شعلة من المكارم والأخلاق، فلا يستفز ولا يفقد

توازنه عند أي أمرٍ يتعرض له؛ بل هو مثال للشخصية المتزنة ذو الهيبة والوقار والسكينة، يمتلك نفسه عند الغضب مصداقاً لقول جدّه المصطفى عليه السلام: "ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (١٣٦) .

٢- نتعلم درساً أخلاقياً من أبي محمّد عليه السلام في مقابلة الإساءة بالإحسان والتجاوز بالعفو والغفران، ولكي نتأسّى بتلك الفضائل والأخلاق الكريمة (١٣٧)، ففي الرواية أن الغلام أراد أن يجلب الهم والحزن والغم للإمام عليه السلام؛ لكن حدث العكس فقد قابله بالفرح وأسرّه بالعتق، ليصبح من عبدٍ مملوك إلى حرٍّ طليق بفضل حليم آل البيت الحسن بن علي المجتبي عليه السلام، قال الإمام الصادق عن العفو: "... مَنْ لَا يَعْفُو عَنْ بَشَرٍ مِثْلِهِ كَيْفَ يَرْجُو عَفْوَ مَلِكٍ جَبَّارٍ..." (١٣٨) .

الخاتمة

وفي ختام البحث تظهر لنا مجموعة من النتائج وهي على النحو الآتي:

١- إنَّ الكرم لأهميَّته جعله الله تعالى اسمًا من أسمائه الحسنی، فقد تجلَّى ذلك عند أهل البيت (عليه السلام) عامَّة، وعند الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) خاصَّة فقد كان يمتلك أسباب ومؤهلات منها ذاتية وهبات رانية، وأخرى وراثية من آبائه وأجداده الطاهرين، وكذلك من نشأته وتربيته في البيت العلوي الذي عرف بالزهد والكرم والإنفاق.

٢- بعد تشتُّت الأهواء والفتن التي عصفت بالأُمَّة الإسلاميَّة زمن الإمام الحسن (عليه السلام) فقد تطلَّب الأمر منه أن يصلح الناس والمجتمعات بما يلائم متطلباتهم، فقد كان بني أميَّة يشرون الذمم والضمان والنفس بثمان بخس والوعد والوعيد، لذا فقد حمل (عليه السلام) راية الإسلام وقيادة الأُمَّة، والحفاظ على كيائها بما يصلحها، فقد وجد الناس عند أهل البيت والإمام الحسن (عليه السلام) دفع الأموال وقضاء الحوائج من دون مقابل؛ بل وهو يعتذر عند البذل والإنفاق وأحيانًا ينجل من السائل، ويأمره بكتابة الحوائج برقاع وهذا ما وجدناه في منهجه.

٣- استطاع الإمام الحسن (عليه السلام) تحويل الولاء وتغيير النفوس والأهواء بحكمته وحنكته، وما بذله من العفو والنبيل والتسامح فقد حول المبغض إلى محب والمعادي إلى موالي، والمخالف إلى موافق بتلك الأخلاق الفاضلة والتعامل الحسن، فبذل أموالاً وقضى حوائجاً لأولئك الذين يحملون الحقد والبغض له ولآبائه الطاهرين (عليه السلام).

٤- لقد جسَّد أبو محمَّد (عليه السلام) في تعامله مع أعدائه ومبغضيه كل معاني الحلم والصفح والنبيل، فقد قابل أذيتهم له وإساءتهم بالإحسان وتجاوزهم بالصفح والغفران حتَّى أخرجهم بمعالي أخلاقه وجعلهم يصدعون بحلمه ويعترفوا بإمامته.

٥- أشاع مولانا الحسن (عليه السلام) بين أهل بيته وأصحابه ومجتمعه، وأوصل رسالة إلى البشرية جمعاء بنبذ الفرقة والشحناء والدعوة للتعايش السلمي والتغاضي عن السيئات للعيش بأمن وأمان وسلاماً وسلام.

٦- جسَّد الإمام الحسن (عليه السلام) نضرة الدين الإسلامي الحنيف وتعامله مع الطبقة المحرومة في المجتمعات آنذاك، وهم طبقه العبيد (الرق) فقد كان يلبي دعوتهم ويحالسهم، وإذا أذنب فرد منهم يقابله بالعفو والتسامح، ثمَّ يعتقه ليصبح حرًّا ويجزل لهم بالعطاء.

الهوامش

- ١- إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٧٨٤.
- ٢- الجرجاني، التعريفات، ص ١٥٤.
- ٣- لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص ٦٨٢.
- ٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص ٥٢.
- ٥- القاضي عياض، شفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ١، ص ١١١.
- ٦- الحراني، تحف العقول، ص ٢٢٥.
- ٧- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٥٩.
- ٨- أبو البقاء الكفوي، كتاب الكليات، ص ٥٣.
- ٩- الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤٥.
- ١٠- المصدر نفسه، ص ٥٦.
- ١١- الابطحي، الإمام الحسين في حديث الفريقين، ج ٢، ص ٦-٧.
- ١٢- القرشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج ١، ص ٤٥.
- ١٣- فلسفي، الطفل بين الوراثة والبيئة، ج ١، ص ٦٣.
- ١٤- القرشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج ١، ص ٤٤.
- ١٥- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ص ١٢٦.
- ١٦- البجيرمي، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ج ١، ص ٥٢؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩.
- ١٧- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٠.
- ١٨- البحراني، حلية الأبرار، ج ١، ص ٢٩٣.
- ١٩- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ٢٠.
- ٢٠- الخوارزمي، المناقب، ص ٢٨١.
- ٢١- ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ١٩٩.
- ٢٢- الصفوري، نزهة المجالس، ج ١، ص ٣٢٠؛ البحراني، عوالم العلوم، ج ١١، ص ٢٣٠؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١٠، ص ٤٠١-٤٠٢؛ القزويني، فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد، ص ١٣٩.
- ٢٣- السبحاني، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٥.
- ٢٤- حسان محمود، مشاكل الأسرة بين الشرع والعرف، ص ٧٨.
- ٢٥- السبحاني، عصمة الانبياء في القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٦.
- ٢٦- الطبري، بشارة المصطفى، ج ٣، ٢١٨-٢٢٢؛ المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ٣٤؛ البحراني، عوالم العلوم، ج ١١، ص ٢٤٦-٢٥٠.
- ٢٧- البحراني، عوالم العلوم، ج ١١، ص ٢١١.
- ٢٨- ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ١٨٤؛ المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ٣٤٤؛ المجلسي، عين الحياة، ج ١،



- ٣١٢- القمي، منتهى الآمال، ج ١، ص ٣١١؛ القمي، الأنوار البهية، ص ٨٩.
- ٢٩- القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤.
- ٣٠- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٥٠؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٥.
- ٣١- الأشعث: هو ابن معدي كرب بن معاوية بن جبلة، وكان أبداً أشعث الرأس؛ فغلب عليه... ارتد في ناس من كندة، فحوصر، وأخذ بالأمان، فأخذ الأمان لسبعين... كان على ميمنة الإمام علي عليه السلام يوم صفين، ودخل على علي في شيء فتهدّد بالموت، فقال علي: بالموت تهددني! ما أباليه، هاتوا لي جامعة وقيداً! ثمّ أوماً إلى أصحابه، قال: فطلبوا إليه فيه، فتركه... عزله الإمام علي عن أذربيجان، ودعاه إلى المدينة، فهمّ بالفرار في البداية، ثمّ قدم المدينة بتوصية أصحابه، تزعم الأشعث التّيار الذي فرض التّحكيم وفرض أبا موسى الأشعريّ على الإمام علي، وعارض اختيار ابن عباس ومالك الأشتر حكّمين، وله يدٌ في نشوء الخوارج، كما كان له دور كبير في إيقاد حرب النّهر، وسمّاه الإمام منافقاً ولعنه، وكان ابن ملجم يتردّد على داره، قال أبو الفرج الأصفهاني: وللأشعث ابن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام أخبار يطول شرحها، منها: جاء الأشعث إلى عليّ يستأذن عليه، فردّه قنبر فأدّى الأشعث أنفه، فخرج علي وهو يقول: مالي ولك يا أشعث... روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام..." أمّا ابنه قيس بن الأشعث لعنه الله أخذ قطيفة الحسين عليه السلام فكان يسمّي قيس القطيفة، وأمّا ابنه محمّد فتولّى إلقاء القبض على مسلم بن عقيل بالكوفة، بعد أن آمنه زورا... وقال له: "لك الأمان لا تقتل نفسك"، ثمّ غدر به، توفي الأشعث سنة أربعين، وزاد بعضهم: بعد علي عليه السلام بأربعين ليلة ودفن في داره. وقيل: عاش ثلاثاً وستين سنة، قال الكوراني: الأشعث بن قيس الكندي كان رأس المنافقين في عهد علي عليه السلام، وتاريخه ملئٌ بالغدر والنفاق؛ للمزيد ينظر: الكليني، فروع الكافي، ج ٨، ص ١٦٧؛ المفيد، الإرشاد، ص ١٤٨-١٤٩؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين، ص ٤٧-٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٨-٤٣؛ المجلسي، البحار، ج ٤٤، ص ١٤٢-١٤٣؛ ج ٤٥، ص ٦٠؛ الأحمدي الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ الكوراني، جواهر التاريخ، ج ٣، ص ٢١٩.
- ٣٢- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٤٨؛ ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن، ص ٥٨.
- ٣٣- هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس الأموي، قال ابن كثير: أدرك النبي صلى الله عليه وآله، ولم يحفظ عنه شيئاً، وكان عمره ثمانين سنين حين توفي النبي صلى الله عليه وآله، كان كاتباً لعثمان بن عفان، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حصر عثمان فيها، وألح عليه أولئك أن يسلمه إليهم، فامتنع عثمان أشدّ الامتناع... وكان على الميسرة يوم الجمل، وهو الذي رمى طلحة بسهم في ركبته، فقتله وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وآله، وإنّا أسلم يوم الفتح وقدم الحكم المدينة، ثمّ طرده النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف، ومات بها، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان؛ لأنّه زوّر على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد، ولما كان متولّياً على المدينة لمعاوية كان يسبّ عليّاً كلّ جمعة على المنبر، وقال له الحسن بن علي: لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه، فقال: "لعن الله الحكم وما ولد"، ولما ولد دفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليدعوه فابى أن يفعل، ثمّ قال ابن الزرقاء هلاك عامّة أمّتي على يديه ويدي ذريّته، روى ابن عساكر أنّ أبا هريرة قال يوم

- دفن الحسن بن علي: قاتل الله مروان، قال: والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب أن يدفن مع رسول الله ﷺ وقد دفن عثمان بالبقيع... كان يوم الحرة مع مسرف بن عقبة يحرضه على قتال أهل المدينة... أمّا سبب هلاكه فإنّ أم خالد زوجته دبّرت أمره فسمته، ويقال: بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة، فمات مخنوقاً، ثمّ إنّها أعلنت الصراخ هي وجواربها وصحن: مات فجأةً وتوفي بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧٠٦-٧١٤؛ الذهبي سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٧٦-٤٧٩؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، ص ٢١٧؛ المروزي، كتاب الفتن، ص ٧٢.
- ٣٤- الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام)، ج ١، ص ١٩٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٦٧؛ المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ٣٤٤؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٠-٤٥١؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٥٠.
- ٣٥- ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ١٨٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٤٧؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ج ١، ص ٢٤٦؛ المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ٣٤٧؛ ابن جماعة، فوائد ابن جماعة، ص ٨؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٤٣؛ موسى علي، حليم آل البيت، ص ٧٩.
- ٣٦- الشبلنجي، نور الأبصار، ج ١، ص ٢٤٧-٢٤٨؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٥؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٥١.
- ٣٧- الخضل: اللؤلؤ الجيد والدر الصافي كأنّه قطرات الماء؛ ينظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٢٤٢.
- ٣٨- راضي آل ياسين، صالح الحسن، ص ٢٩؛ الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٦١-٦٢.
- ٣٩- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٢٩٨.
- ٤٠- أبو هارون العبدي: اسمه عمارة بن جوين عن تقريب ابن حجر، وفي تهذيب التهذيب ولسان الميزان، روى عن أبي سعيد الخدري وروى عنه: سفيان الثوري. للمزيد ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤٠؛ المزني، تهذيب الكمال، ج ٣٤، ص ٣٥٩.
- ٤١- ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، ص ١٥٢؛ موسى علي، حليم آل البيت، ص ٨٢.
- ٤٢- الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء؛ ينظر لويس معلوف، المنجد، ص ٤٦٩.
- ٤٣- القشيري، الرسالة القشيرية، ج ٢، ص ٤٠٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤١؛ راضي آل ياسين، صالح الحسن، ص ٢٨-٢٩؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٣٩.
- ٤٤- البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج ١، ص ٤٧-٤٨؛ راضي آل ياسين، صالح الحسن، ص ٢٨.
- ٤٥- الحراني، تحف العقول، ص ٢٤٧.
- ٤٦- الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٨٩؛ الأربلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ج ٤، ص ٨٩؛ المجلسي، البحار، ج ٥٠، ص ٢٥٨.
- ٤٧- المجلسي، البحار، ج ٧٥، ص ١٢٧.
- ٤٨- الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين، ص ١٩٦-١٩٧؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٦؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٤١.
- ٤٩- موسى علي، حليم آل البيت، ص ٧٧.



- ٥٠- الشبلنجي، نور الابصار، ج ١، ص ٢٤٨؛ التستري، أحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٥.
- ٥١- أبي نعيم، حلية الاولياء، ج ٢، ص ٣٨؛ المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ٣٤٩.
- ٥٢- النراقي، جامع السعادات، ص ٣٢٥.
- ٥٣- الكليني، فروع الكافي، ج ٤، ص ٢٠.
- ٥٤- النووي، المجموع شرح المذهب، ج ٥، ص ٢٧٥.
- ٥٥- الحائط : البستان؛ ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٢٠٨.
- ٥٦- المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٤٥.
- ٥٧- أنس بن مالك: هو النضر بن ضمضم... بن عدي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية، خادم رسول الله ﷺ كان يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، لقيه الحجاج فقال له: يا خبيث، جوال في الفتن، مرة مع علي، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفسي بيده، لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة، ولأجردنك كما يجرد الضب، قال ابن أبي الحديد عند ذكر المخالفين: إنَّ عدَّة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي (عليه السلام)، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، وإيثاراً للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ناشد علي (عليه السلام) الناس في رحبة القصر - أو قال رحبة الجامع بالكوفة أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من كنت مولاه فعلى مولاه)؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا توارىها العمامة قال طلحة بن عمير: فو الله لقد رأيت الوضع به بعد ذلك أبيض بين عينيه. مات سنة ثلاث وتسعين وعمره مائة وسبع سنين؛ للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٩٦-٤٠٩؛ ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٤.
- ٥٨- ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ١٨٣؛ الاربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٤١؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤٣؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٤٩.
- ٥٩- البخاري، صحيح البخاري، ص ٦٢٧.
- ٦٠- التواضع: وهو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الغير؛ ينظر: النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ٢٣٦.
- ٦١- التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٧، ووردت بألفاظ مختلفة: ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣، ص ١٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٥٢؛ راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ٢٨.
- ٦٢- القرشي، حياة الإمام الحسن (عليه السلام)، ج ١، ص ٢٩١.
- ٦٣- الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٢٢٩.
- ٦٤- عبدالله بن عباس: هو حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، قال: مسح النبي ﷺ رأسي، وقال بحقة "اللهم علما الحكمة وتأويل القرآن... اللهم بارك فيه"... كان من تلامذة:



الإمام علي عليه السلام الملازمين له، وقد أخذ منه علماً جماً حتى لقبه بالخبر وبالبحر، وشهد معه حروبه كلها وعينه الإمام علي والياً على البصرة، توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ وكان عبدالله بن الزبير نفاه إليها لرفضه بيعته، وصلى عليه محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) وقال في حقه: اليوم مات رباني هذه الأمة؛ للمزيد ينظر: البرقي، رجال البرقي، ص ٣٠؛ الذهبي سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٣٢ - ٣٤١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٩٣٣ - ٩٣٩.

٦٥- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٩.

٦٦- أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج ٢، ص ٣١٢.

٦٧- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٤٧-١٤٨؛ التستري، إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٤٤ - ٤٤٥؛ موسى علي، حلیم آل البيت، ص ٧٩-٨٠.

٦٨- الزنجشيري، ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٢١٠؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٩٢.

٦٩- قال القرشي في ذلك: إنَّ السخاء ينم عن طيب القلب، ويكشف عن الفضائل النفسية، ويحكى عن رحمة الإنسان ورأفته... إنَّ السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعي الخير، وبذل الإحسان بداعي الإحسان، وقد تجلَّت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها، وأسمى معانيها في الإمام أبي محمد عليه السلام حتى لقب بكريم أهل البيت؛ للمزيد ينظر القرشي، حياة الإمام الحسن عليه السلام، ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

٧٠- ناصر سيد أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

٧١- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٥.

٧٢- ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٣٨٣.

٧٣- لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص ٧٧١.

٧٤- الصدر، أخلاق أهل البيت، ص ١٦٢.

٧٥- البحراني، شرح مائة كلمة، ج ١، ص ٢٢.

٧٦- مجموعة من المؤلفين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم أج ٨، ص ٤٧١.

٧٧- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ١٩٥.

٧٨- الجرجاني، التعريفات، ص ٨٢.

٧٩- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ١٢٩.

٨٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص ٢٣.

٨١- النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ٢٠٠.

٨٢- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ١٢٩.

٨٣- النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ٣٧.

٨٤- الكليني، أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٢٤؛ النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ١٩٧.

٨٥- المجلسي، البحار، ج ٦٨، ص ٤٢٣.

٨٦- النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ٢٠٠.

- ٨٧- أمدي، غرر الحكم، ص ٣٠.
- ٨٨- الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٩٣.
- ٨٩- المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١١٦.
- ٩٠- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٦٧.
- ٩١- الشافعي، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص ٣٥٣.
- ٩٢- الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت... كان رجلاً مليحاً تام الشكل حسن الصورة، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، فأما حلقته في المسجد فكان يمرُّ فيها الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة وسائر العلوم، قال ابنه: عاش أبي ثمانين وثمانين سنة، لم ينظم إلى جيش ابن الأشعث ولا إلى الحجاج أيام فتنة ابن الأشعث، واعتزل الجميع... وكان يرى الحجاج الثقفي عقوبة من الله عز وجل، ومع ذلك يدعو إلى اللجوء إلى الله (عز وجل) وعدم اللجوء إلى السلاح، أمّا موقفه من الإمام علي عليه السلام فقد روي أنّ علياً أتى الحسن البصري يتوضّأ في ساقية، فقال: أسبغ طهورك يا لفتى، قال: لقد قتلت بالأمس رجلاً كانوا يسبغون الوضوء، قال: وإنّك لحزين عليهم؟ قال: نعم، قال: فأطال الله حزنك، قال أيوب السجستاني: فما رأينا الحسن قط إلّا حزيناً كأنّه يرجع عن دفن حميم أو خربندج ضلّ حماره، فقلت له في ذلك، فقال: عمل في دعوة الرجل الصالح، والفتى بالنبطيّة الشيطان، وكانت أمّه سمّته بذلك ودعته في صغره، فلم يعرف ذلك أحد حتّى دعاه به علي عليه السلام؛ للمزيد ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٦٤- ٥٦٧؛ المجلسي، البحار، ج ٤٢، ص ١٤٣ أحمد فريد، من أعلام السلف، ج ٥، ص ٢- ٧.
- ٩٣- الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٢٠٣.
- ٩٤- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٢- ٨٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٩١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ١٦، ص ٥١.
- ٩٥- الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين، ص ١٩٥- ١٩٦.
- ٩٦- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥.
- ٩٧- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٨٠.
- ٩٨- المسعودي، إثبات الوصية، ص ١٥٩.
- ٩٩- قال له الحسن بن علي: لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه، فقال: لعن الله الحكم وما ولد؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧١٢.
- ١٠٠- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ١٩٠- ١٩١؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١١٩- ١٢٠.
- ١٠١- المفيد، الأمالي، ص ١١٨.
- ١٠٢- مخطّطه بيده: صرّبه؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٩٨.

١٠٣- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص ١٥٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٦١.

١٠٤- النراقي، جامع السعادات، ج ١، ص ٢٠٢.

١٠٥- النراقي، المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

١٠٦- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٢-٨٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٩١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ١٦، ص ٥١؛ القمي، الأنوار البهية، ص ٨٩.

١٠٧- علق الكوراني على تلك الرواية بقوله: فقد اعترف مروان بأنه كان يؤذي سبط النبي وحبيبه ﷺ! ولا عجب فأبوه كان يؤذي رسول الله ﷺ ويسخر به، وقد لعنه وذريته ﷺ مرارًا ونفاهم من المدينة إلى بر الطائف، ولم يقبل أبو بكر وعمر أن يرجعهم، وأرجعهم عثمان وسلطهم على الخلافة، فتواصل أذاهم للعترة النبوية بأشد ما كان للنبي ﷺ، ثم كان مروان حاكم المدينة من قبل معاوية فزاد أذاه للعترة الطاهرة ﷺ، ورووا أنه عندما رضيت عائشة بدفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده ﷺ استنفر مروان الدولة ومرترقة بني أمية ولبس عدة حرب! فلا بد أن يكون بكاؤه عليه عندما انحلت المشكلة واتجه بنو هاشم بجنائز الإمام الحسن عليه السلام إلى البقيع، وأعجب من بكاء مروان شهادته بأنه بحلم الإمام الحسن عليه السلام عن أذاه له! فتأمل هذا السر الإلهي في شخصية الإمام الحسن عليه السلام والانحطاط في عدوه. للمزيد ينظر: الكوراني، جواهر التاريخ، ج ٣٤، ص ١٥٦-١٥٧.

١٠٨- التستري، أحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٨؛ أحمد مرشد، درر من تفسير القريظي، ٣١٣؛ المرعشي، شرح أحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٨.

١٠٩- القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤.

١١٠- التستري، أحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٩؛ المرعشي، شرح أحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٤٥٩.

١١١- الطبري، دلائل الإمامة، ص ٦١؛ الحر العاملي، اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج ٤، ص ٣٠.

١١٢- المجلسي، البحار، ج ٤٤، ص ١٥٢؛ الأبطحي، الإمام الحسين في أحاديث الفريقين، ج ٢، ص ٢٢١.

١١٣- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٨٣.

١١٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٩٠.

١١٥- روى الكليني عن أبي جعفر عليه السلام: لما احتضر الحسن بن علي عليه السلام قال للحسين عليه السلام: يا أخي إنِّي أوصيك.... فلمَّا قبض الحسن عليه السلام وضع على سريرته، فانطلقوا به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى على الحسن عليه السلام فلمَّا أن صلي عليه حمل فادخل المسجد، فلمَّا أوقف على قبر رسول الله ﷺ بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنَّهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله، فخرجت مبادرة على بغل بسرج - فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجًا - فوقفت وقالت: نحوا ابنكم عن بيتي، فإنَّه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله حجاب، فقال لها الحسين عليه السلام: قديمًا هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة، إنَّ أخي أمرني أن أقربه من



أبيه رسول الله ﷺ ليحدث به عهداً، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ستره؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم" (الاحزاب: ٣٥)، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير أذنه... وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه رسول الله ﷺ جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن، وإن رغم معطسك، قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال: يا عائشة يوماً على بغل ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك، ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم، فأقبلت عليه فقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين ﷺ: وأنتي تبعدين محمداً من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن عامر، قال: فقالت للحسين: نَحُوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون... للمزيد ينظر: الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٢١-٢٢٢.

١١٦- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧٥.

١١٧- يغوله غولا: أهلكه، كاغتاله، وغاله: أخذه من حيث لم يدر، غال الشيء زيداً: إذا ذهب به، يغوله غاله الموت: أي أهلكه؛ ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٥، ص ٥٥٦.

١١٨- القسطنطين: بَيَّتْ مِنْ شَعْرٍ؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٧١.

١١٩- المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر والجمع؛ ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ٢٢٢.

١٢٠- المفيد، الإرشاد، ص ١٣٣-١٣٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٤٠-٤١؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧١-٧٢؛ المجلسي، البحار، ج ٤٤، ص ٤٧.

١٢١- سعيد أيوب، معالم الفتن، ج ٢، ص ٢١١؛ مكارم الشيرازي، نفحات الولاية، ج ٨، ص ٢٠٢.

١٢٢- ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ١٠، ص ٧٨.

١٢٣- هو مالك بن ضمرة الضمري نزل الكوفة أوصى عمى مالك بن ضمرة بسلاحه للمهاجرين من بني ضمرة، إلا أنه لا يقاتل به أهل بيت النبوة، ومات في زمن معاوية؛ ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٩.

١٢٤- ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن ﷺ، ص ٢٠٣؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٢٦، ص ٥٥١.

١٢٥- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٢٩٥.

١٢٦- الترمذي، السنن، ج ٥، ص ١١٥.

١٢٧- روى ابن كثير: أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا؟ ينظر: ابن كثير البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤٧.

١٢٨- الأميني، الغدير، ج ١١، ص ١٠-١١.

١٢٩- أبي نعيم، حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٨؛ الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين، ص ٢٠٢.

١٣٠- المفيد، الإرشاد، ص ١٣٥؛ ابن شهر شوب، المناقب، ج ٤٣، ص ٢٠٢.



١٣١- القمي، منتهى الآمال، ج ١، ص ٣٢٨.

١٣٢- العسقلاني، المطالب العالية، ج ١١، ص ١٠٤.

١٣٣- الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٤١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ١٩١؛ الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٤، ص ٢٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٥٢؛ القمي، منتهى الآمال، ج ١، ص ٣١٢؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١٥٣.

١٣٤- الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٤٠.

١٣٥- الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ١٨٦؛ التستري، إحقاق الحق، ج ١١، ص ١١٧؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١، ص ١١٧.

١٣٦- البخاري، صحيح البخاري (كتاب الأدب)، ص ١٥٢٩؛ الحرائي، تحف العقول، ص ٤٧.

١٣٧- قال الصدر في كتابه أخلاق أهل البيت: فينبغي لنا أن نسعى في الاقتداء بهم والتأسي بجمعهم في الأخلاق الكريمة، والمكارم الفاضلة؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم ليس سواهم. القدوة الصالحة، والأسوة الحق من الله للخلق، والظاهر المظهر من كل رجسٍ ورذيلة... ولا يحقُّ لنا أن نتأسى أو نتمسك في الأخلاق وفي سواها بغيرهم عليهم السلام، أو نفتدي بسواهم؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة، والمستمسك المنجي الذين أمرنا بمتابعتهم، وعدل القرآن الذين أمرنا بالتمسك بهم في حديث الثقلين، المتفق عليه بين الفريقين؛ للمزيد: لصدر، أخلاق أهل البيت، ص ٢٥-٢٦.

١٣٨- الإمام الصادق، مصباح الشريعة، ص ١٥٩؛ النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٦.



المصادر والمراجع

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه عادل مرشد، ط ١، عمان ١٤٢٣هـ.

* ابن عساكر: تاريخ دمشق، علي بن الحسن، (ت ٥١٧هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، ط ١، بيروت ١٤٠٠هـ.

* ابن حمزة الطوسي: محمد بن علي، الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا، نشر مؤسسة أنصاريان، ط ٣، قم المقدسة ١٤١٩هـ.

* ابن جماعة: عبد العزيز محمد، فوائد ابن جماعة، ط ١، ٢٠٠٤م.

* ابن خلكان: أحمد بن محمد، (ت ٦٨٠هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

* ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، نشر دار العاصمة، ط ١، ١٤١٩هـ.

* ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ترجمة الإمام الحسن من القسم الغير مطبوع من كتاب الطبقات)، تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ط ١، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.

* ابن شعبة الحراني: الحسن بن علي، تحف العقول، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ.

* ابن شهر آشوب: محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٥هـ.

* ابن كثير: إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ.

* ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، بيروت ١٤١٤هـ.

* ابن ميثم البحراني: كمال الدين بن علي، شرح مائة كلمة.

* القرآن الكريم.

* إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، مصر.

* أحمد مرشد: أحمد بن صالح، درر من تفسير القرطبي، ١٤٤٤هـ.

* أحمد فريد، من أعلام السلف.

* الأصفهاني: أبو الفرج، (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تقديم وإشراف كاظم المظفر، ط ٢، قم المقدسة ١٣٨٥هـ.

* الإمام الصادق (عليه السلام): جعفر بن محمد (ت ١٤٨هـ)، مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت ١٤٠٠هـ.

* الأمين: محسن (ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت.

* الأميني: عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط ٤، بيروت ١٣٩٧هـ.

* آل ياسين: راضي، صلح الحسن (عليه السلام)، الأعلمي للمطبوعات ط ١، بيروت ١٤٣١هـ.

* آمدي: عبد الواحد بن محمد (ت ٥٥٠هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، تدقيق عبد الحسن دهيني، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، دار الهادي، ط ١، بيروت ١٤١٣هـ.

* ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد، (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح.

* ابن الأثير: عز الدين، (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد البنا وآخرون، القاهرة ١٣٩٣هـ.

* ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

* ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)،



* أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله، (ت ٤٣٠هـ)،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت
١٤١٦هـ.

* أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى،
(ت ١٠٩٤هـ)، كتاب الكليات، تحقيق عدنان درويش
- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

* أبو طالب المكي: محمد بن علي (ت ٣٨٦هـ)، قوت
القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق: د. عاصم الكيالي
نشر: دار الكتب العلمية، ط ٢ بيروت ١٤٢٦هـ.

* البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري،
ت ٢٥٦هـ، دار ابن كثير، ط ١، دمشق ٢٠٠٢

* البجيرمي: سليمان بن محمد، (ت ١٢٢١هـ)، تحفة
الحبيب على شرح الخطيب - حاشية البجيرمي على
الخطيب، دار الفكر ١٤١٥هـ.

* الأبطحي، علي الموحّد، الإمام الحسين (عليه السلام) في
أحاديث الفريقين، ط ١، قم المقدسة، ١٤١٨هـ.

* البحراني: السيد هاشم (ت ١١٠٧هـ)، حلية
الأبرار، تحقيق: الشيخ غلام رضا، ط ١، ١٤١٥هـ.

* البحراني: عبد الله بن نور الله (ت ١١٢٧هـ)، عوالم
العلوم والمعارف والأحوال، تحقيق ونشر مؤسسة
الإمام المهدي، ط ٢ (قم المقدسة - ١٤١٥هـ).

* البرقي: أحمد بن عبد الله، (ت ٢٧٤هـ)، رجال
البرقي، تحقيق حيدر البغدادي، منشورات مؤسسة
الإمام الصادق، ط ٢ قم المقدسة ١٤٣٣هـ.

* البيهقي: إبراهيم محمد، (ت ٣٢٠هـ)، المحاسن
والمساوي.

* التستري: القاضي نور الله، (ت ١٠١٩هـ)، إحقاق
الحق وإزهاق الباطل، ط ١، قم المقدسة ١٤٠٩هـ.

* الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن
الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد، دار الفكر ط ٢،
بيروت ١٤٠٣هـ.

* الجاحظ: عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، تحقيق
إبراهيم بن محمد، ط ١، الاسكندرية ١٤١٠هـ.

* الجرجاني: علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، معجم
التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار
الفضيلة.

* الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)،
أبواب الهداة بالنصوص والمعجزات، تقديم شهاب
الدين المرعشي، أخرج أحاديثه علاء الدين الأعلمي،
مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت ١٤٢٥هـ.

* الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد، (ت ١٠٤٤هـ)،
السيرة الحلبية، ط ٢ بيروت ١٤٢٧هـ.

* حسان محمود عبد الله، مشاكل الأسرة بين الشرع
والعرف، دار الهادي، ط ١ بيروت ١٤٢٨هـ.

* الأحمدى: الشيخ علي، مكاتيب الأئمة (عليهم السلام)، تحقيق
مجتبى فرجى، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية،
قم المقدسة، ١٤٢٦هـ.

* الخوارزمي: الموفق بن أحمد، (ت ٥٦٨هـ)، مقتل
الحسين (عليه السلام)، تحقيق محمد السماوي، ط ١، قم المقدسة
١٤١٨هـ.

* الذهبي: شمس الدين بن محمد (ت ٧٤٨هـ)، سير
أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.

* الرزاي: زين الدين محمد، مختار الصحاح، المكتبة
العصرية، ١٤٢٠هـ.

* الراغب الاصفهاني: الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)،
مفردات غريب القرآن.

* الراوندي: قطب الدين (ت ٥٧٣هـ)، الخرائج
والخرائج، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ط
١، قم المقدسة ١٤٠٩هـ.

* الريشهري: محمد، ميزان الحكمة، تحقيق دار
الحديث، قم المقدسة ط ١، ١٤١٦هـ.

* الاربلي: علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمة

- في معرفة الأئمة، دار الأضواء بيروت.
- * الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ.
- * الزرندي: محمد بن يوسف، (ت ٧٥٠هـ)، نظم درر السمطين، ط ١، ١٣٧٧هـ.
- * الزمخشري: جبار الله (ت ٥٨٣هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت ١٤١٢هـ.
- * السبحاني: جعفر، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٦هـ.
- * سعيد حوى: الأساس في السنة وفقهها - السيرة، نشر دار السلام، ط ٣، ١٤١٦هـ.
- * السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، طبع وزارة الأوقاف - قطر، ط ٢، ٢٠١٣م.
- * الشبلنجي: محمد حسن شراب، نور الأبصار، نشر دار القلم.
- * الشافعي: محمد بن طلحة، (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤول مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد العطية.
- * الصفار: محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، إشراف محمد باقر الابطحي، تحقيق مؤسسه الإمام المهدي (عج)، ط ١، قم المقدسة.
- * الصفوري: عبد الرحمن بن عبد السلام (ت ٨٩٤هـ)، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، نشر: المطبعة الكاستلية - مصر، ١٢٨٣هـ.
- * الصدر: علي الحسيني، أخلاق أهل البيت، قم المقدسة.
- * الطبري: محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى لشيعه المرتضى، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، قم المقدسة ١٤٢٢هـ.
- * الطبري: محمد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة، ط ١، ١٤١٣هـ؛ تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة قم.
- * الطبرسي: الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، أعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط ٢، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.
- * الطبرسي: الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ)، مكارم الأخلاق، بيروت ٢٠١١م، دار المحجة البيضاء.
- * فلسفي: محمد تقى، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب فاضل الحسيني.
- * الفيض الكاشاني: محمد بن شاه مرتضى، (ت ١٠٩١هـ)، المحجة البيضاء، قم المقدسة، ١٤١٧هـ.
- * القشيري: عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود - د. محمود بن الشريف، نشر: دار المعارف، القاهرة.
- * القرشي: باقر شريف.
- * حياة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) دراسة وتحليل، نشر وطبع دار البلاغة.
- * حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، النجف الأشرف.
- * القاضي: عياض (ت ٥٤٤هـ)، شفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ.
- * القزويني: محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، قم المقدسة، ١٤١٤هـ، مطبعة سيد الشهداء.
- * القمي: الشيخ عباس، (ت ١٣٥٩هـ).
- * منتهى الآمال في تواريخ النبي وآل، ط ٣، بيروت ١٤٣٢هـ.
- * الأنوار البهية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- * الكليني: محمد بن يعقوب، (ت ٣٢٩هـ).

- * أصول الكافي، ط ١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- * فروع الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية.
- * الكوراني: علي، جواهر التاريخ، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- * المجلسي: محمد باقر، (ت ١١١٠هـ):
- * بحار الأنوار، ط ٢، ١٤٠٣هـ بيروت
- * عين الحياة.
- * المزي: جمال الدين ابو الحجاج، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- * المروزي: نعيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ)، كتاب الفتن، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- * المرعشي: نور الله الحسيني، (ت ١٠١٩هـ)، شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تعليق شهاب الدين المرعشي، قم المقدسة.
- * المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد، تحقيق حسين الأعلمي، ط الخامسة ٢٠٠١ م.
- * المسعودي: علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات مكتبة بصيرتي، ط ٥، قم المقدسة.
- * مكارم الشيرازي: ناصر محمد:

- * الأمل في تفسير كتاب الله المنزل.
- * نفحات الولاية، قم المقدسة ١٤٢٦هـ.
- * معلوف: لويس، المنجد في اللغة، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت ٢٠١٠م.
- * موسى محمد علي، كريم آل البيت الإمام الحسن بن علي، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- * مجموعة من المؤلفين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إشراف صالح بن عبد الله، نشر: دار الوسيلة، ط ٤، السعودية - جدة.
- * النراقي: محمد مهدي (ت ١٢٠٩هـ)، جامع السعادت، قدم له محمد رضا المظفر، تعليق السيد محمد كلانتر، مؤسسة الأعلمي، ط ١ بيروت ٢٠٠٦.
- * ناصر سيد أحمد آخرون، المعجم الوسيط، دار أحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨ م.
- * النوري: ميرزا حسين (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرک الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط ١، بيروت ١٤٠٨هـ.
- * النووي: يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، مطبعة المنيرية.
- * الهيثمي: نور الدين علي، مجمع الزوائد، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ.

الأبعاد الفكرية والعقدية ومقاصدها
عند الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في بناء المجتمع



الباحثة سندس سعدون مهدي الشمري

شعبة مدارس الكفيل الدينية النسوية / العتبة العباسية المقدسة

ملخص البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الحسن (عليه السلام) حلقة الوصل في نقل آثار جدّه رسول الله وأبيه سيد الأوصياء الإمام علي (عليه السلام) وتراثهم، وحرصه على تجسيد مفهوم الانقياد لإمامه علي (عليه السلام)، وأثره البارز في حياة أبيه لجملة من الوقائع.

بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وجّه السبط أوّل بيان له بعد رحيل القائد العظيم، فقال: "لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه..."

أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير^(١).

وبهذا طرح الحسن (عليه السلام) مواصفات القائد الراحل (عليه السلام) كما طرح مؤهلاته للحكم، ومكانته في دنيا الإسلام والمسلمين.

لذا وقع الاختيار على المحور الأوّل: الفقه والتفسير والعقيدة، وارتأينا له العنوان (الأبعاد الفكرية والعقدية ومقاصدها عند الإمام الحسن (عليه السلام) وأثرها في بناء المجتمع).

اقتضت صورة البحث أن تُرسم صورة جليّة للإسلام المحمديّ الأصيل، وأهمّها الأصول العقدية والفقهية؛ ولكي يتضح الموضوع جاءت خطة البحث من مقدّمة يعقبها تمهيد ومبحثان، انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان، ثمّ جاء المبحث الأوّل: (الأبعاد الفكرية والعقدية ومقاصدها عند الإمام الحسن (عليه السلام))، أمّا المبحث الثاني فقد أسهم في تجسيد المعارضة والإصلاح في فكر الإمام الحسن (عليه السلام)، ثمّ ختم البحث بأهمّ النتائج والتوصيات.

Abstract

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful Al-Hassan (peace be upon him) is considered the chain to convey the effects and heritage of his grandfather, the Messenger of Allah, and his father, the Master of Guardians, Imam Ali (peace be upon them), and his acumen to embody the concept of submission to his Imam Ali (peace be upon him), and his prominent impact on the life of his father for a number of events.

After the martyrdom of Imam Ali (peace be upon him), the grandson made his first statement after the departure of the great leader, saying: "A man has been taken away this night, whom the first ones did not precede in deeds, and whom the others will not reach in deeds. He was fighting with the Messenger of Allah, protecting him with his own self ...

O people, whoever knows me has known me, and whoever does not know me, I am Al-Hassan bin Ali, and I am the son of the Prophet, and I am the son of the Guardian, and I am the son of the bearer of good tidings, I am the son of the warner, I am the son of the caller to Allah by His permission, I am the son of the shining lamp."

Thus, Al-Hassan (peace be upon him) presented the specifications of the late leader (peace be upon him) as well as his qualifications for ruling and his position in the world of Islam and Muslims.

Therefore, the choice falls on the first axis: jurisprudence, interpretation and doctrine, and (Intellectual and Doctrinal Dimensions and Their Objectives according to Imam Al-Hassan (peace be upon him) and Their Impact on Building Society) .

The research image required that a clear image of the authentic Muhammadan Islam be drawn, the most important of which are the doctrinal and jurisprudential principles; and to clarify the subject, the research plan came from an introduction , a preface and two chapters. The preface was held to define the concepts of the title, then the first chapter tackles : (The intellectual and doctrinal dimensions and their objectives according to Imam Al-Hassan (peace be upon him)), while the second chapter contributed to embodying: opposition and reform in the thought of Imam Al-Hassan (peace be upon him), then the research was concluded with the most important results and recommendations.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

إنَّ البحث في سيرة العظماء يكاد يكون صعباً أو مستعصياً؛ لأنَّه يستدعي معرفة أسرارهم، وهذا يتطلب مهارة ودقَّة، فكيف إذا أردنا أن نبحث في من خصَّهم الله تعالى وامتدحهم في كتابه الكريم أعظم وأنبل الكائنات في الوجود، وهم محمد وآل بيته الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام)، الذي خصَّهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وأشار إلى مُبتغى ذلك الإمام علي (عليه السلام): "إنَّ الله تبارك وتعالى طهَّرنَا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجَّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا" (٢).

فإنَّ التأمل في أثر الإمام الحسن (عليه السلام) خلال المدة التي عاشها مع أبيه علي (عليه السلام) يتجلى في تجسيد مفهوم الانقياد التام لإمامه وملهمه، فإنَّ الإمامة تعدُّ أصلاً من أصول الدين، ومن خلال بيان هذا الأصل في تحديد مقاصد الشريعة عند الإمام الحسن (عليه السلام) سوف يتبيَّن لنا الفرق بين الإمام الشرعي المنصَّب من لدن الله تعالى والحاكم غير الشرعي.

إنَّ الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) يمثل إحدى النماذج الإنسانية المميَّزة؛ بسبب ما توفَّر له من التربية والإنشاء الروحي والفكري على يد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والإمام علي (عليه السلام) والسيدة الزهراء (عليها السلام).

بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقف السبط بين جموع الناس في مسجد الكوفة ووجَّه إليهم أوَّل بيان له بعد رحيل القائد العظيم فقال: "لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوَّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه..."

ثمَّ قال: أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير

وبهذا طرح الإمام الحسن عليه السلام مواصفات القائد الراحل عليه السلام، وطرح كذلك مؤهلاته للحكم، ومكانته في دنيا الإسلام والمسلمين.

لذا وقع الاختيار على المحور الأول: (الفقه والتفسير والعقيدة)، وارتأينا له العنوان مقتبس من معطيات المحور نفسه (معالم الفكر السياسي ومقاصدها عند الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في بناء المجتمع).

أهمية البحث: تتضح أهمية البحث من خلال الأسرار المكنونة في حقيقة الإمام الحسن عليه السلام، التي تجلّت في خطبه ورسائله في الكشف عن المقاصد القرآنية في الشريعة المحمدية المقدسة، غايته استمرار رسالة النبي صلى الله عليه وآله؛ لما يحمل من خصائص وسجايا في شخصيته الفذة من حلم وعلم والخلق الرفيع، وصفات شابهت صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وأخلاقه، وإعادة توجيه خطاب الإسلام الذي انحرف فكرياً وعقائدياً، وعليه تأتي أهمية بيان فكره العقدي ومقاصده عليه السلام في بيان الشريعة مستنداً على القرآن الكريم.

أهداف البحث: تسليط الضوء على الجوانب المضيئة في حياة الإمام الحسن عليه السلام وإظهار الحقيقة التي نبذها المعترضون على الصلح وعدم الجهاد؛ إذ تطلّب البحث في خطبه البليغة وبيان مقاصد الشريعة فيها مع تثبيت دوره فيه، الذي تميّز بالوقوف بوجه الطغاة الظلمة، والتصدي للسلطة الحاكمة بصلابة؛ لتحقيق الهدف المنشود بالانقياد والانصياع للإمام والخليفة الشرعي، وتأثير ذلك على فكر الأمة ومعتقداتها.

منهج البحث: اعتمدنا المنهج التحليلي مع الاستعانة بآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وتحليلها، وتارة أخرى اعتمدنا على المنهج الوصفي المقارن، ومحاولة الإجابة على الإشكالات أو الأسئلة التي طرحت، ومن ثمّ توصّلنا إلى النتائج التي جاء بها البحث.

هيكليّة البحث: لغرض تحقيق أهداف البحث وغاياته اقتضت صورة البحث أن تُرسم من مقدّمة يعقبها تمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان، ثمّ جاء المبحث الأوّل لتسليط الضوء على الأبعاد الفكرية العقدية ومقاصدها عند الإمام الحسن عليه السلام، مشتملاً على مطلبين رئيسيين أولهما: علاقة الإمام الحسن عليه السلام بالقرآن الكريم، أمّا الثاني فقد أسهم

في الكشف عن (مقاصد الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي عند الإمام الحسن (عليه السلام))، ثم انعقد المبحث الثاني ليوضح المعارضة والإصلاح في فكره (عليه السلام) هو الآخر احتوى على مطلبين أولهما: المواقف الجهادية للإمام الحسن (عليه السلام) والثاني: (أثر المقاصد الفكرية والعقدية في بناء المجتمع)، ومن ثم ختمنا البحث بأهم النتائج والتوصيات، بعدها أدرجنا قائمة بأهم المصادر والمراجع.

التمهيد

الغاية من وضع التمهيد تكمن في بيان المفردات التي جاءت في العنوان الذي وقع عليه البحث، وما يتعلق بموضوع العنوان من المصطلحات الذي استند عليها البحث (المقاصد، الإمام، الإصلاح والمعارضة، السياسة)

أولاً: المقاصد في اللغة والاصطلاح:

١ - المقاصد في اللغة: المقاصد مفاعل واحدتها (مقصد)، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): "القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدهما على إتيان شيء وأمه، والآخر على كسر وانكسار، الآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصداً ومقصداً، ومن الباب: أقصده السهم: إذا أصابه" (٣).

٢ - المقاصد القرآنية في الاصطلاح

المقاصد: "الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغراء، وأثبتتها الأحكام الشرعية، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان" (٤).

ثانياً: الإمام في الاصطلاح

١ - رأي الشيعة: "إن الإمام يمتلك كل مناصب النبي ﷺ سوى النبوة والرسالة، وكما أن أحاديثه حجة في بيان الحقائق والتشريعات والأحكام الإسلامية، فكذاك تجب طاعته وأوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكومية" (٥).

وتكون غير شاملة؛ بل مقيدة بحدود خاصة، فيكون الإمام إماماً ضمن تلك الحدود، وفي تلك الجهة المصرحة بها، كما في إمام الجماعة أو الجمعة أو بالنسبة إلى إمامة الحجاج أو غير ذلك.

٢- الإمام عند أهل السنة: الإمام هو القائد العام للمسلمين الذي يخلف النبي محمد ﷺ في كلِّ أو بعض لم يمت له صلة^(٦)، والإمام: (هو صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)^(٧).
 ٣- الإمامة في مصطلح علم الكلام: "عبارة عن الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية من كل الأبعاد والجوانب الدينية والدنيا، وإنَّما ورد ذكر كلمة الدنيوية لأجل التأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها وإلا فإنَّ تدبير القضايا الدنيوية للأمة الإسلامية وإدارتها جزء من الدين الإسلامي"^(٨).
 ٤ - الإمامة في الاصطلاح الشرعي: فهي المنصب الإلهي الذي أولاه الله تعالى بمن اختاره قدوة للناس في أمور الدين والدنيا^(٩).

٥ - الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا^(١٠).

والتعريف الأخير هو الذي يرجّحه الباحث من التعاريف على مذهب الإمامية، وبه يتّضح الفرق بين الإمام الشرعي المنصب من قبل الله تعالى والخليفة غير الشرعي.

ثالثاً: مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح

١ - الإصلاح في اللغة: ضد الإفساد، وهو من الصلاح المقابل للفساد، وكذلك هو قبال السيئة. صلح: الصلاح: ضد الفساد^(١١)، ونقل الفراء صَلَحَ أيضاً بالضم، وهذا يصلح لك أي هو من بابتك... و(الإصلاح) ضدُّ (الإفساد والمصلحة) واحدة (المصالح)، و(الاستصلاح) ضد الاستفساد^(١٢).
 جاء في القرآن الكريم: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦)، فكلمتي (الإصلاح، والإفساد) من الكلمات المتقابلة وردت متكررة في القرآن فهما من المصطلحات الإسلامية والاجتماعية التي يمكن معرفة إحداها بالثانية، من قبيل: التوحيد والشرك، العدل والظلم... وأمثالها.

٢- الإصلاح في الاصطلاح: هو التغيّر إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة. فالحركات الإصلاحية هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما قد في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالاً بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني^(١٣).
 تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان، وإعادة صياغة نفسه على وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحي الجديد^(١٤).

رابعاً: مفهوم المعارضة في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعارضة في اللغة: تعريف ومعنى المعارضة في معجم المعاني الجامع:

١- مُعَارَضَةٌ: [ع ر ض]، (مصدر عَارَضَ). المعارضة: الاحتجاج، المخالفة، الممانعة.

٢. معارضة: حزب أو أحزاب في الهيئة التشريعية تعارض الحزب أو الأحزاب التي تشكل

الأغلبية وتتحكّم في التشريع. (مصطلحات سياسية).

ثانياً: المعارضة في الاصطلاح: مفهوم المعارضة السياسية

يعرّف روبرت دال: المعارضة "تعريفاً بسيطاً فمثلاً (أ) هو الطرف الذي يمارس السلطة ويقرر سياسة الدولة، و(ب) هو الطرف الذي لا يقرر سياسة الحكومة، و(ب) في هذا الاصطلاح هو المقصود بالمعارضة ... يقول سربست: المعارضة السياسية: هي قوى وهيئات تعبّر عن آراء ومصالح فئات اجتماعية، لها أهداف ومشاريع وخطط تختلف عن أهداف وخطط السلطة السياسية القائمة..."^(١٥).

ثالثاً: مفهوم السياسة في اللغة والاصطلاح

١ - "السياسة" في اللغة:

جاء في "المصباح المنير": "سَاسَ زيد الأمر يسوسه: أي دَبَّرَه وقام بأمره"^(١٦)، وجاء في "لسان العرب": "السَّوْسُ الرياسة"، قال: ساسوهم سَوْسًا... وساس الأمر سياسة: قام به... ويقال: سَوَّسَ فلان أمر بني فلان، أي كَلَّفَ سياستهم... والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"^(١٧). وفي الصحاح سياسة: (س و س) - (ساس) الرعيّة يسوسها (سياسة) الكسر^(١٨).

٢ - تعريف السياسة اصطلاحاً:

السياسة الشرعية في اصطلاح العلماء منها:

١ - ما يراه الإمام أو يصدره من الأحكام والمقرّرات، زجرًا عن فساد واقع، أو وقاية من فساد مُتَوَقَّع، أو علاجًا لوضع خاص^(١٩).

٢ - تدبير شؤون الدولة الإسلامية، التي لم يرد بحكمها نصّ صريح، أو التي من شأنها أن تتغيّر وتبدّل بما فيه مصلحة الأمة، ويتّفق مع أحكام الشريعة وأصولها العامة^(٢٠).

وترى الباحثة أنَّ السياسة الشرعيَّة هي: تدبير شؤون الدَّولة القائمة على قواعد الشرع وأحكامه وتوجيهاته من خلال المعرفة الدقيقة بمقاصد الشريعة، مع مراعاة المصالح العامَّة ودرء المفسد والمخاطر عن أبناء الأُمَّة.

المبحث الأوَّل

الأبعاد الفكرية والعقدية ومقاصدها عند الإمام الحسن (عليه السلام)

دعا الإمام الحسن (عليه السلام) إلى ربط الأُمَّة بالقرآن الكريم وبيان مقاصده وحقائقه عبر خطبه البليغة في شتَّى النواحي؛ مستمداً ذلك من عظمة القرآن ومكانته العظيمة في تكوين الدين الإسلامي في مجال (العقيدة والشريعة والأخلاق)، وسنستعرضها على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل

علاقة الإمام الحسن (عليه السلام) بالقرآن الكريم

لا يخفى على كلِّ عاقلٍ لبَّيْ أَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) هم حملة القرآن وترجمانه، وقد نزل فيهم وبهم، ومَّا ورد شاهدًا على ذلك ما جاء في الكافي وتفسير العياشي بإسنادهما عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام، وزاد العياشي: ولنا كرائم القرآن، وإسنادهما عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول نزل القرآن أثلاثًا: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام" (٢١).

إِنَّ خَيْرَ مَا نَسْتَدُلُّ بِهِ حَدِيثَ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّ مِنْهُجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مِنْهُجُ الثَّقَلَيْنِ؛ إِذْ قَالَ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، فَإِنَّهُ قَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَتَمُّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ؟

فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ شَهِدْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ (عليه السلام): حَسْبِيَ اللَّهُ" (٢٢)، فَالْكِتَابُ وَالْعِتْرَةُ صَنَوَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ وَثِقْلَانِ لَا يَتَجَزَّأْنَ، وَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبِينُ صَاحِبَهُ، فَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ قِيَمُوا الْقُرْآنَ كَمَا كَانَ جَدُّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْقُرْآنِ وَعُطِفَ

عليه أولوا الأمر، قال تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)

فقد قال الإمام الحسن (عليه السلام) في بيان حقيقة القرآن "إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بصره، وليحم الصفة^(٢٣) فكره، فإنَّ التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور"^(٢٤).

ومن كلامه (عليه السلام) الذي نستنبط منه إلى التمسك بوصية الرسول ﷺ التي وردت في حديث الثقلين بالتمسك بالكتاب والعتره: "... واعلموا علماً يقيناً أنَّكم لن تعرفوا التقى حتّى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتّى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله، ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهلهم فإنَّهم خاصّة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم"^(٢٥).

أثر الإمام الحسن (عليه السلام) في بيان مقاصد القرآن التفسيرية

إنَّ تفسير القرآن الكريم يعدُّ من أكثر العلوم التي اعتنى بها المسلمون قديماً وحديثاً ممَّا يعكس شدّة حاجة المسلمين لذلك، مع أنَّ القرآن عربي ونزل في بيئة عربية، فإنَّ العرب في عصر نزول القرآن على الرغم من أنَّهم قادرون على الفهم العرفي للقرآن، بيد أنَّهم في كثير من الأحيان كانوا يحتاجون إلى التفسير النبوي للنصّ؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة حيوية كثر فيها المشترك والترادف والظواهر اللغوية الأخرى كالمفاهيم الشرعيّة التي لم تكن معروفة كمصطلح شرعي، وعليه فإنَّ اللفظ الواحد يحتمل معاني كثيرة، لذلك نحتاج إلى ضوابط لغويّة وأصوليّة لتحديد المراد من النصّ، لذلك اقتضت الحاجة إلى بيان النصّ القرآني، وعليه جاء دور الإمام الحسن (عليه السلام) في بيان المراد الحقيقي للمفاهيم متّخذاً القرآن الكريم الركيزة الأساسيّة في تفسيره كما يُسمّى اليوم تفسير القرآن بالقرآن ومنه:

فقد روى المؤرّخون نماذج من تفسير للإمام الحسن (عليه السلام) للقرآن الكريم منها: "جاء رجل إلى مسجد الرسول ﷺ ليسأل عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾

(البروج: ٣)، فرأى ثلاثة أشخاص قد احتفَّ بكلِّ واحدٍ منهم جمع من الناس يحدِّثهم عمَّا سمعه من رسول الله ﷺ، فسأل أحدهم عن الشاهد والمشهود، فقال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، ثمَّ سأل الآخر فقال له: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر، ثمَّ سأل الثالث فأجابه: "الشاهد رسول الله ﷺ والمشهود يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥)، وقوله تعالى عن يوم القيامة: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣)"، فسأل عن الأوَّل ف قيل له: عبد الله بن عباس، وسأل عن الثاني ف قيل له: عبد الله بن عمر، وسأل عن الثالث ف قيل له: الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب ؑ.

فإنَّ الله تعالى جعل ولاية محمَّد وآل محمَّد ﷺ المحور الذي يدور عليه القرآن، فهم قطب القرآن وقطب لجميع الكتب السماوية، كما دلَّ عليه الحديث الشريف، قال الإمام الصادق ؑ "إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، وعليها يستدير محكم القرآن، وبها نوهت الكتب ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمَّد ﷺ... " (٢٦)، وهذا دليل على أنَّ الإمام الحسن ؑ قد أحاط بجميع مقاصد القرآن ومكوناته وأسراره، ولا يسعنا المجال للتفصيل في اقتباساته الرائعة لآيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني:

مقاصد الشريعة عند الإمام الحسن ؑ وأثرها في فلسفة التشريع الإسلامي

تتكون المنظومة الإسلامية من ثلاث مفاصل رئيسية، ولو تصورنا الإسلام على شكل مثلث فأضلاعه الثلاث (العقيدة والشريعة والأخلاق)، ولكي تتضح مكانة القرآن الكريم، وقدرة الإمام الحسن ؑ الخطابية في بيان مقاصد الشريعة في فلسفة التشريع الإسلامي من هذه المفاصل الثلاثة نحتاج أولاً أن نعرفها:

العقيدة: هي مجموعة الأفكار أو القواعد أو المبادئ أو القيم المترابطة التي تقدِّم تصور من شأنه أن يكون راسخاً في النفس، ويحصل بسببه الانتفاء أو الاتِّصاف بمضمون ذلك التصور.



وتختلف العقائد باختلاف مضمونها فهناك عقائد دينية كعقيدة التوحيد وعقيدة النبوة مثلاً، وعقائد سياسية كالشيوعية والرأسمالية، وهي ما يُسمّى أيضاً بالأيديولوجيات. وهناك عقائد فلسفية كالمثالية والمادية، وهناك عقائد علمية كالتطورية والوضعية وغير ذلك^(٢٧)، وهي ما تُسمّى بأصول الدين "التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد"^(٢٨).

مقاصد الشريعة: هي الأهداف العليا التي نظرت إليها الشريعة عندما سنّت القوانين وأسست الأحكام وأصدرت التشريعات، فكلُّ الأهداف العليا التي نظرت إليها الشريعة تُسمّى بمقاصد الشريعة لتنظيم العلاقات الثلاث، فلكلِّ إنسان ثلاث علاقات: علاقة مع الله، علاقة مع الطبيعة التي يعيش فيها، وعلاقة مع المجتمع الإنساني^(٢٩). فكلُّ منظومة تتكون من هذه الأركان الأربعة ألا وهي العقيدة والقانون والحقوق والأخلاق تُسمّى الشريعة^(٣٠).

الشريعة: هي ما تُسمّى بفروع الدين، التي تشتمل على أحكام شرعية تنقسم على عبادات ومعاملات، والعبادات من قبيل الصلاة والصوم والحج والزكاة، والمعاملات من قبيل البيع والشراء^(٣١).

المقاصد القرآنية العقائدية في خطب الإمام الحسن (عليه السلام):

كان الإمام الحسن (عليه السلام) ذا قدرة خطابية عالية، فقد هيأ الإمام علي (عليه السلام) الأمة الإسلامية بالتعريف عن مكانته وسمو قدره؛ لئلاَّ يبتعد الناس عنه بعد رحيله عنهم، وألقى الحجة عليهم، وأمر الإمام الحسن بإلقاء الخطبة، فأطاعه وخطب الخطبة التي تشتمل على بيان المبدأ والمعاد وولاية علي (عليه السلام). فكان في كلامه البليغ الوعظ مع قوة البيان، ممّا جعل الإمام علي (عليه السلام) أن قام إليه، وقبّل ما بين عينيه، وقال له: ذرية بعضها من بعض.

أولاً: التوحيد في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)

لقد عرض الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته المباركة إلى التوحيد الإلهي وبيان صفاته ونعوته وعلمه الأزلي؛ نافعاً عنه سبحانه التجسيم وقدرته اللامتناهية، وبدأ (عليه السلام) أولاً بالحمد لله، وهذا الأسلوب أسلوب متميّز لم يُلاحظ في الديانات السابقة؛ لكن في الحالة الإسلامية نجد هذا الأسلوب في القرآن الكريم كما في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهو خطاب الله للإنسان وخطب المعصومين (عليه السلام) يبدؤون



بالحمد، ومَن تأثر بمنهجهم، فالإمام الحسن عليه السلام استعمل هذا الأسلوب "الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد يَحْتَى، ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها".

فقد حمد الله تعالى على ماذا؟ - فتقول: ((ولا بدئ مَّا ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما)) أقول: وقوله أول معلوم إلخ، أوصاف توضيحية أي ليس له أول، ولو كان له أول كان من الجائز أن يتعلّق به علم ولا آخر، ولو كان له آخر كان متناهيًا، ولا قبل ولو كان لكان جائز الإدراك، ولا بعد وإلا لكان محدودًا. وقوله: ولا بدئ مَّا أي لم يبتدأ من شيء حتى يكون له أول، ولا ظاهر على ما أي يتفوق على شيء بالوقوع والاستقرار عليه كالجسم على الجسم، "ولا باطن فيما"، أي لم يتبطن في شيء بالدخول فيه والاستتار به.

وفي نهج البلاغة: وكل ظاهر غيره غير باطن، وكل باطن غيره غير ظاهر ^(٣٢).

أقول: معناه أن حيثية الظهور في غيره تعالى غير حيثية البطون وبالعكس، وأمّا هو تعالى فلما كان أحدي الذات، لا تنقسم ولا تتجزأ إلى جهة، وجهة كان ظاهرًا من حيث هو باطن، وباطنًا من حيث هو ظاهر، فهو باطن خفي من كمال ظهوره، وظاهر جلي من كمال بطونه. وفيه: الحمد لله الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه ^(٣٣).

أقول: المراد بالقبليّة والبعدية ليس هو القبليّة والبعدية الزمانيّة بأن يفرض هناك امتداد زمني غير متناهي الطرفين، وقد حلّ العالم قطعة منه خاليًا عنه طرفاه ويكون وجوده تعالى وتقدّس منطبقًا على الزمان كله، غير خال عنه شيء من جانبيه، وإن ذهبنا إلى غير النهاية، فيتقدّم وجوده تعالى على العالم زمانًا، ويتأخّر عنه زمانًا، ولو كان كذلك لكان تعالى متغيرًا في ذاته وأحواله بتغير الأزمنة المتجددة عليه ^(٣٤).

وكذلك نفى عنه تعالى التشبيه بقوله: "الحمد لله الواحد بغير شبيهه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدوديّة، العزيز الذي لم يزل قديمًا في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزّته، وخضعت الرقاب لقدرته،



فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمت، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير التفكير بتدبير أمورها... " (٣٥).
وهناك العديد من كلامه في التوحيد، وبهذا ندرك القدرة المعرفية للإمام الحسن (عليه السلام) بما يجسد عدل القرآن وترجمانه .

ثانياً: النبوة والإمامة

هنا دجت أصليين من أصول الدين معاً (النبوة والإمامة)؛ لأنَّ كلاً منهما مكمل للآخر، كما ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) عندما عرّف نفسه للناس ومكانته وحسبه ونسبه قائلاً "أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير" (٣٦). ولا ينحصر بهذا الكلام فحسب وإنَّما تركناه للاختصار، ففي كلامه هذا جمع بين الأصلين، وسوف نشير إلى أمرٍ مهمٍّ الذي يجب أن ننصاع إليه في العقيدة الإسلامية أنَّ بعد النبوة الإمامة التي من أجلها جاهدت الزهراء بقولها (عليها السلام)، ووهبت حياتها من أجل الدفاع عن إمام زمانها علي (عليه السلام)؛ إذ قالت في خطبتها الفدكية: (وطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً من الفرقة)؛ لو أنَّ المسلمين أقاموا هذا النظام وأتبعوا هذا الإمام الذي جعله رسول الله ﷺ بمقتضى حديث الثقلين؛ لما حلَّ بالأمة الإسلامية من ويلات، وبأبي دور ابنها وابن أمير المؤمنين (عليه السلام) مبيناً لحقيقة الثقلين وموقع كلٍّ منهما من الآخر: "... واعلموا علماً يقيناً أنَّكم لن تعرفوا التقى حتّى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقَّ تلاوته حتّى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله، ورأيتم كيف يهوى من يهوى، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهلهم فإنَّهم خاصّة نور يستضاء بهم، وأئمةٌ يُقتدى بهم..." (٣٧)، فكان الحسن (عليه السلام) طوال المدّة التي عاشها مع والده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يتجلّى في تجسيد مفهوم الانقياد من لإمامه .

ثالثاً: العدل

ومن كلماته في مفصل العدل، هذه الكلمة المستفيضة في هذا المعنى "... إنَّ الله لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد من الملكة؛ ولكنّه المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم، فان ائتمروا



بالطاعة لم يكن عنها صاءً مثبطاً، وإن ائتمروا بالمعصية، فشاء أن يمنَّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل فإن فعل وإن لم يفعل، فليس هو حاملهم عليهم قسراً، ولا كلفهم جبراً..." (٣٨).

المعاد:

وله في المعاد، هذا العنوان الجامع والذي يسمَّى بالبعث أو اليوم الآخر أو يوم القيامة، والذي يحمل مضامين الثواب والعقاب من حساب وجنة ونار، كلمات منها قوله: "أمّا بعد: فإنَّ القبور محلّتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا، وإنَّ عليّاً باب من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً" (٣٩).

وقوله: "...النَّاس طالبان: طالب يطلب الدنيا حتّى إذا أدركها فهو هالك، وطالب يطلب الآخرة حتّى إذا أدركها فهو ناج فائز..." (٤٠).

مقاصد التشريع وفلسفته عند الإمام الحسن (عليه السلام)

وقد تحدّث (عليه السلام) عن فلسفة التشريع وعن ارتباط الأحكام بولاية أهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ قال: "ولولا محمّد (صلى الله عليه وآله) وأوصياؤه كتّم حيارى، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخلون داراً إلّا من بابها" (٤١)، ولا يخفى علينا أنّ علم الإمام الحسن (عليه السلام) علم لديّ نابع من الله تعالى، وعلم الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو المشرع الأوّل العالم بالكتاب والشرعة، فقد بيّن (سلام الله عليه) أنّ لكلّ تشريع في الإسلام حكمة، وأنّ هذه العبادات ليست من غير فلسفة، فثبت وجود التشريع ولزومه، سوف نبحت في أهمّ نقطة أثارت جدل الناس وهي:

الجهاد: كان الإمام الحسن (عليه السلام) يشحذ الهمم ويحثُّ على مسألة الجهاد قال (عليه السلام): "أمّا بعد فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦) - فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه إنّنا كُنّا أزعجنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتّى ننظر وتنظرون، ونرى وترون" (٤٢).

وفي خطبة أخرى قال (عليه السلام): "فعلّيكُم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر، والاستعانة بالله، والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل



طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه؛ واستغفر الله العظيم لي ولكم" (٤٣). كشف الحسن (عليه السلام) عن أهمية الجهاد في الإسلام وأعطاه الصبغة الفكرية بما لاحظته من خلال الانقياد للإمام والطاعة، كأنه يمثل القوة والعظمة التي تعصم الإنسانية وتصون كرامتها بالتقوى والصبر في محاربة الأعداء.

((من يريد أن يستوجب الأجر ويصل إليه، لا بدَّ له من الصبر على ما يواجهه، فهذا الأمر لا يحتاج إلى صرف أشياء كثيرة. هناك بعض الأمور لكي تحصل فيها على الثواب تحتاج إلى معاناة، فالحجُّ يحتاج إلى سفر، والجهاد يحتاج إلى أن تبذل شيئاً كثيراً من بدنك. أمّا الشيء الذي تريده ولا يحتاج إلى صرف وتريد عليه الأجر الكثير هو الصبر على ما تلاقي، الصبر على المصائب التي تأتي إليك، وهذا لا يحتاج إلّا إلى موقف نفسي، يحتاج إلى صمود وتجلد وإلى احتساب، أن تقول حسبنا الله ونعم الوكيل. تحتسب عند الله سبحانه وتعالى، وتصبر على ما أصابك، فيما ذا بلغ أيوب ما بلغ؟ بلغ بما تشير إليه الآية المباركة: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، وفي هذه الآية من أبدع أساليب الاستعطاف والاسترحام. فهو لا يقول اكشف عني ضري أو أزل كربى، وإنّما يشير إلى حاله، ويشير إلى فضل ربّه ورحمته... مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين. هذا النحو من التعريض هو من أفضل أنحاء الأدب مع الله سبحانه وتعالى)) (٤٤).

إذا أردنا أن نتحدّث عن آلام الحسن (عليه السلام) نجدّها آلاماً كبيرة جدّاً، من الناحية الروحية والمعنوية من اتّهامات قاسية وباطلة لن يتمكّن من الصبر عليها أي إنسان، وكذلك من الناحية المادية وما جرى على بدنه الطاهر.

المبحث الثاني

المعارضة والإصلاح في فكر الإمام الحسن (عليه السلام) وأثره على المجتمع

ليس من الخفي على عامّة المسلمين والمؤمنين خاصّة من فساد وإفساد من جميع نواحي الحياة، بعد رحيل الرسول الأكرم مباشرة، فلا بدّ من وجود حاجة ملحة للإصلاح ومعارضة الطرف الفاسد، ولا يوجد طريق أفضل من اتّباع طريق الأنبياء والأولياء بهذا الخصوص؛ لأنّه طريق الحقّ وتطبيق رسالة السماء؛ إذ قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ



وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿سورة البقرة: ٢١٣﴾. إنَّ الإمام الحسن عليه السلام يمثل أفضل قدوة لمن يحمل راية الإصلاح في عصره، وهذا لا يختص بالإمام فحسب، وإنَّما على شرائح المجتمع كافة؛ لتحمل المسؤولية تجاه الدين والعائلة والمجتمع والمطالبة بالحق والعدل والحقوق قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧)؛ إذ مارس سليل النبوة والإمامة الحسن المجتبي عليه السلام الحرية والفكرية بالتصدي والوقوف في وجه الظالم المستبد، ومعارضة سياسته، والاستعداد لتقديم التضحيات في سبيل الحق، وهذا ناتج عن عمق الإيمان والتمسك بالرسالة المحمدية.

المطلب الأول:

المواقف الجهادية للإمام الحسن عليه السلام

أولاً: المواقف الجهادية للإمام الحسن في حياة الإمام علي عليه السلام

تؤكد الروايات جميعها على شجاعة الإمام الحسن عليه السلام واشتراكه في جميع المعارك التي خاضها مع أمير المؤمنين عليه السلام سواء في صفين أم غيرها، فقد جاء في نهج البلاغة قال علي عليه السلام في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب: "املكوا عني هذا الغلام لا يهديني" (٤٥)، وقوله عليه السلام: "املكوا عني أي خذوه بالشدة وأمسكوه؛ لئلا يهديني أي يهدمني، ويقوض أركان قوتي بموته في الحرب. هذه الرواية كافية في توثيق شجاعة الإمام الحسن عليه السلام وعدم تنصله عن القتال والجهاد في سبيل الله تعالى.

١. عندما تحرَّك البغاة في الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان أثر تمرد طلحة والزبير، فاختار الإمام علي عليه السلام لهذه المهمة نجله الإمام الحسن عليه السلام؛ وذلك لشحذ همم أهل الكوفة وحملهم على دعم الموقف الإسلامي الأصيل، فانطلق الإمام الحسن برفقة عمار بن ياسر إلى الكوفة حاملاً كتاب علي عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، باستغنائه عن خدماته بسبب تحريضه الناس على القعود عن نصرته الإمام علي عليه السلام، وقد نجح الإمام الحسن عليه السلام في استنفار الجماهير لنصرة الحق والدود عن الرسالة (٤٦).

ولما دخل الإمام الحسن عليه السلام بمن معه الكوفة استقبلهم أهلها، فقرأ عليهم كتاب أبيه، بينما



افتعل أبو موسى الأشعري حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) ليصد الناس عن مساندة أمير المؤمنين (عليه السلام) فادّعى أنه سمعه يقول: "ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم، والنائم خير من القاعد، فردّ عليه عمار: إذا صحَّ أنك سمعت رسول الله يقول: ذلك فقد عناك وحدك فالزم بيتك، أمّا أنا فأشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نهاك وحدك وحذرک من الدخول في الفتنة" (٤٧).
وقف الإمام الحسن (عليه السلام) يستنفر الناس، قال: "أيها الناس إنّا جنناكم ندعوكم إلى الله وكتابه وسنة رسول، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة، ندعوكم إلى من قرّبه الله ورسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم... ويأمركم بالمسير إليه لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله ونهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله" (٤٨).

وكانت كلماته هذه لها وقع كبير في نفوس المسلمين فتهيؤوا وانطلقوا مسرعين لنجدة أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢. موقفه في معركة صفّين، عندما انتهت معركة الجمل، وتحرك معاوية لقتال الإمام علي (عليه السلام) فوقف الإمام الحسن (عليه السلام) خطيباً بين الجماهير موقظاً للهمم، باعثاً العزم والنشاط في النفوس (٤٩).
٣. بعد النزاع الذي ساد جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) على أثر قضية التحكيم في معركة صفّين وانقسام الجيش بين مؤيد ومعارض استطاع الإمام الحسن (عليه السلام)، وبتكليف من أبيه أن يحكي للقوم حقيقة الأمر في كون التحكيم فاسداً، فقام (عليه السلام) واعتلى المنبر وهو يقول: "أيها الناس! قد أكثرتم في هذين الرجلين، وإنّا بعثنا ليحكم بالكتاب على الهوى، فحكمنا بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يسمّ حكماً؛ ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله بن قيس؛ إذ جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه؛ إذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى، وأخرى أنه لم يستأمره في نفسه، وثالثها أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس، وأمّا الحكومة فقد حكّم النبي (صلى الله عليه وآله) سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم بما يرضى الله به، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله (صلى الله عليه وآله)" (٥٠).



٤. اشترك الإمام عليه السلام في جميع الحروب مع والده علي عليه السلام في البصرة والنهروان وصفين، وكان له دوره الحاسم فيها؛ إذ خاض تلك المعارك وأخذ تلك الفتن متجرّدًا من كلّ دافع أو باعث سوى الحرص على منهج الإسلام.

ثانيًا: المواقف القياديّة للإمام الحسن بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام

بدأت المرحلة الثانية من حياة الإمام الحسن عليه السلام القياديّة باستلامه الخلافة والإمامة بعد رحيل أبيه عليه السلام؛ إذ أوصى الإمام علي عليه السلام ولده الحسن بقوله: "يا بني إنّه أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ رسول الله ﷺ، ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضر الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين... عليه السلام" (٥١).

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وقف الإمام الحسن عليه السلام بين جموع الناس في مسجد الكوفة، ووجه إليهم أوّل خطاب له فقال: "لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ في نفسه، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه..."، ثمّ عرّف نفسه للناس ومكانته وحسبه ونسبه، "أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي..."، وبهذا طرح الإمام الحسن عليه السلام مواصفات القائد الراحل كما طرح مؤهلاته للحكم ومكانته في دنيا الإسلام والمسلمين (٥٢).

وما أن أنهى خطابه حتّى نهض ابن عباس يحضّ الناس على البيعة، وهكذا كان فقد بويع الإمام، وفي الجانب الآخر كان معاوية بن أبي سفيان يترصد الأخبار، وعاصمته تحتفل بقتل أمير المؤمنين ويعمها السرور، ولكن خبر البيعة للإمام الحسن هزه وأرعد فرائصه، وقد بادر معاوية فورًا إلى وضع خطط المؤامرة موضع التنفيذ، فشكّل شبكة تجسّسية، وعين للنهوض بمهامها رجلين من أمكر رجاله، أحدهم (صميري) أرسله للكوفة، وآخر (قيني) أرسله للبصرة (٥٣).

على أنّ خطط الإمام الحسن عليه السلام القاضيّة بإحكام أجهزة الدولة وبنائها بناء راسخًا سرعان ما أنت أكلها بكشف الخطط الأموية، وأرسل الإمام إلى معاوية رسالة على أثر

كشف هذه المحاولات الخبيثة يهدده فيها ويتوعده .

كثر تبادل الرسائل بين الإمام (عليه السلام) ومعاوية، وكان أهمها كتاب الإمام له بوجوب التخلي عن انشقاقه والانضمام تحت لوائه الشرعي، وكتب معاوية للإمام (عليه السلام) يطلب منه التنازل عن الحكم وانقطعت الرسائل بعد ذلك، وأعلنت حالة الحرب بين الطرفين. أعلن الإمام الحسن (عليه السلام) نداء للأمة إلى الاستعداد للحرب؛ ولكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة حينما انكشف له واقع الناس؛ نتيجة الترويج والاشاعات التي تبثها السلطة الأموية، وهناك ثلة مخلصه أبدوا استعدادهم وإخلاصهم للنهوض بمسؤولياتهم الرسالية، وعاهدوا الإمام الحسن (عليه السلام) على المضي قدمًا في نصرته الحق ومواجهة الطغيان فأثنى الإمام (عليه السلام) عليهم وخاطبهم قائلاً: "صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة النصيحة فجزاكم الله خيرًا" (٥٤).

على الرغم من ذلك استطاع الإمام (عليه السلام) أن ينظم جيش كبير ورسم الخطط للقادة، وانتصر عليهم من أول مواجهة لهم مع خيل معاوية؛ لكن عندما أدرك معاوية تصميم جيش الإمام على القتال التجأ إلى طريق الغدر المكر والحيلة التي من سماته، فبث الإشاعات المضللة في صفوف جيش الإمام بأن الإمام صالح معاوية مما أدى إلى تمزيق وحدة الصف وتشتت المعسكر، وعندها اضطر الإمام (عليه السلام) على عقد هدنة مع معاوية.

ثالثاً: البعد الفكري عند الإمام (عليه السلام) والهدف من الصلح

إن الحفاظ على الشريعة الإسلامية من أهم الأهداف التي أراد أن يحققها الإمام (عليه السلام) والحرص عليها من الضياع والتحريف؛ بسبب الأوضاع السياسية وغيرها، فقد قال مخاطباً أبا سعيد: "يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل..." (٥٥).

إن انتشار دعوة معاوية للصلح بين صفوف جيش الإمام الحسن (عليه السلام) قبل قبولها من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) جعله (عليه السلام) أمام واقع لا بدّ منه، وهو توقيع الصلح؛ لأن اختيار الحرب لا تعدو نتائجها عن أحد أمرين:



أ - إِمَّا قَتَلَ الإِمَامَ (عليه السلام) هو ومؤيديه المخلصين.

ب - وإِمَّا حَمَلَهُ أَسِيرًا ذَلِيلًا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ الإِمَامُ (عليه السلام) يَدْرِكُ أَبْعَادَ ذَلِكَ وَنَتَائِجَهُ؛ لِذَلِكَ فَضَّلَ الصَّلَاحَ؛ لَكِي يَحْبِطَ مَكْرَ مُعَاوِيَةَ وَمُؤَامَرَتَهُ، وَيُفْسِحَ الْمَجَالَ لِمُعَاوِيَةَ لِيُظْهَرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ أَمَامَ الْأُمَّةِ الَّتِي خَدَعَتْ بِمُظَاهَرِهِ الْمَاكِرَةَ^(٥٦)، وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ قَالَ: "وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتُ مُعَاوِيَةَ لَأَخَذُوا بَعْنَظِي حَتَّى يَدْفَعُونِي إِلَيْهِ سَلَامًا، وَاللَّهِ لَئِنْ أَسَالَهُ وَأَنَا عَزِيزٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقْتُلْنِي وَأَنَا أَسِيرٌ، أَوْ يَمُنَّ عَلَيَّ فَيَكُونُ سَنَةً عَلَى بَنِي هَاشِمٍ آخِرَ الدَّهْرِ، وَمُعَاوِيَةُ لَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا وَعَقْبُهُ عَلَى الْحَيِّ مَنَا وَمِلَّتْ"^(٥٧).

وَيَتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ فِي صَلَاحِهِ (عليه السلام)، وَأَنَّهُ كَانَ هُوَ الرَّأْيُ وَالصَّوَابُ، وَهَكَذَا فَإِنَّ حَرَصَ الإِمَامِ (عليه السلام) عَلَى الْمَهْدَفِ وَالْحَقِّ جَعَلَهُ يَخْتَارُ التَّوْقِيعَ عَلَى الْوَثِيقَةِ لِيُمَارَسَ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْرُهُ فِي بَيَانِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا.

المطلب الثاني

أثر المقاصد التشريعية الفكرية والعقدية عند الإمام (عليه السلام) في بناء المجتمع

لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مَنْ أَحَاطَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالشَّرِيعَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَلَوْ النُّزْرُ الْقَلِيلُ لِمَا تَحْتَ عَنْ أَهْمِيَّةِ طَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأُولَتْ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ اهْتِمَامًا بِالْغَا فِي وَصَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ الْقُرْآنِ الصَّامِتِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ وَالْقُرْآنِ الْنَاطِقِ هُمُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ، فَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى الإِمَامِ وَالْإِمَامُ يَدُلُّ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنَّ مَكَانَةَ دَوْرِ الإِمَامِ الْحَسَنِ (عليه السلام) وَعَظَمَتَهُ فِي سِيرَتِهِ الْغُرَّاءِ فِي بَيْتِ النَّبَوَّةِ، وَفِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ؛ لِمَا يَحْمِلُ مِنْ خِصَالٍ وَسَجَايَا فِي شَخْصِيَّتِهِ الْفَذَّةِ مِنْ حِلْمٍ وَعِلْمٍ وَالخَلْقِ الرَّفِيعِ وَصِفَاتٍ شَابَهَتْ صِفَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْلَاقِهِ، فَهُوَ الْأُسْوَةُ وَالْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ الَّتِي يَجِبُ الْإِتِّبَاعُ وَالْإِذْعَانُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ (عليه السلام) يَرْشِدُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَهُوَ طَرِيقُ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُتَأَلِّفَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ هِيَ الرِّكِيزَةُ الْأَسَاسِيَّةُ وَالْمَنْبَعُ الْأَصِيلُ أَنْبَقَ الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيُّ، وَكَانَ أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَّةِ هُمْ حَمَلَةُ لَوَاءِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ بِأَسْمَى غَايَاتِهِ، وَأَنَّ الإِمَامَ الْحَسَنَ (عليه السلام) جَامِعَ لِهَذَا الْفِكْرِ الرَّصِينِ.



فإن كثيراً من قادة الأفكار والعقائد المنحرفة ظلُّوا وأضلُّوا ونشروا الفرقة بسبب الجهل بالدين، ومقاصد الشريعة الحقَّة، وهو أساس الانحراف وبالخصوص في المجتمع الإسلامي، فثبت (عليه السلام) وجود التشريع ولزومه ممَّا ينفي قول بعض المتصوفة، ومن يؤمن بأفكارهم من أنَّ الغاية هي الإيمان والتقوى، وإنَّما العبادة طريق إلى ذلك وجسر للوصول، فإذا حصل الفرد على الغاية فلا داعي للطريق وهو العبادة، كما يقول بعضهم إنَّ قلبه عامر بالإيمان فلا داعي للصلاة أو تقول إنَّها مؤمنة في قلبها فلا داعي للحجاب؛ لأنَّ المهم هو الجوهر كل ذلك كلام باطل! نعم هذه العبادات ليست بلا غرض وإنَّما بهدف أن توصل الإنسان للتكامل.

يقول الشاطبي (في أنَّ الاختلاف في القواعد الكلية لا يقع بين المتبحرين في علم الشريعة الخائضين في لجتها العظمى، العالمين بمواردها ومصادرها، والدليل على ذلك اتِّفاق العصر الأوَّل وعامَّة العصر الثاني...) (٥٨).

وأما (الجهل بمقاصد الشريعة، والتخصُّص على معانيها بالظنَّ من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأوَّل... لا يكون ذلك من راسخ في العلم...) (٥٩)، وكم من القادة السياسيين دَمروا شعوبهم وأتباعهم بأوامرهم التي تعبر عن أهوائهم ومطامعهم كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم: ٨) وزرع الأفكار العقائدية المنحرفة في أذهان الضعفاء ممَّن ينفي الإمامة ويكتفي بكتاب الله وسنة رسول؛ إذ قالوا (حسننا كتاب الله) فيؤكد عليهم بعظيم هذا الأمر فقد قال (عليه السلام) مبيِّناً لحقيقة الثقلين وموقع كلٍّ منهما من الآخر وهي الهدايا العامة لتنظيم حياة البشر، الذي تكفلها الأنبياء والرسل في خطبته الآتية: "اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً وليس ببارككم سدى... وأوصاكم بالتقوى وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (النبا: ٣١)" (٦٠)، ولن يغفل الإمام (عليه السلام) القيم الأخلاقية للمجتمع الإنساني والاهتمام بشؤون الرعية والمحتاجين ومعرفته الحقيقية والكاملة بمبادئ الدين ومقاصده، فضلاً عن موقعه في قيادة الأمة، فقد وهب نفسه، في قراء المجتمع ومحتاجيه.

قال الشيخ محمد الخضر حسين: (وإذا وجدت في زائغي العقيدة من يتحدث عن الأخلاق، ويوهم الناس أن الأخلاق تكفي في استقامة السيرة، والاحتفاظ بالعفاف، فإن ذلك كله رياء ونفاق، نعم، للأخلاق أثر في تقليل الشر، ولكنها لا تأتي بأثر عظيم في انتظام حال الاجتماع، إلا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة)^(٦١).

يقول بعض الباحثين الغربيين عن موقف مذهب التطورية الملحد من الأخلاق: (لقد نجحت الدارونية - وهو مذهب إلحادي معروف - أو تأويلاتها الطبيعية في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم بأن أبشع الجرائم العالمية كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة)^(٦٢).

وأظهر من ذلك كله مذهب فلسفة الإلحاد في الأزمان المتأخرة، الفيلسوف الألماني: (نيتشه)، وهو الذي ينشر هذا الفكر بين أوساط المجتمع وتنشق منه الفلسفات الملحدة اليوم في الغرب، وتدافع عن هذه النظرية وهذا المشروع لإنجاحه، فيما بات يعرف بعصر الحداثة وما بعد الحداثة، ويعتبر (نتشه: الأب الروحي) لما بعد الحداثة، وهو يرى في أخلاق التسامح والرحمة والمواساة والعطف، أوصاف تسف من مكانة الإنسان، وكان يسميها بأخلاق العبيد، ويرى أن البطش والقوة والقهر والنفي وإعدام الفقير والمسكين والضعيف وذوي العاهات من المجتمعات هي التي تخدم الإنسانية في مسيرتها نحو الرفاه والتقدم، وهو ما انعكس في فلسفة الغرب المعاصر في نظرتهم وتعاملهم بما يعرف بالعالم الثالث عندهم، حين استبدوا بأمره وسلطوا عليه الحروب بذرائع واهية وحيل خبيثة، بينما المقاصد التشريعية في فكر الإمام الحسن عليه السلام في كل مظاهرها وشؤونها تدحض كل ذلك، فقد قال الإمام عليه السلام "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ نَصَحَ اللَّهَ وَآخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَوَفَّقَهُ اللَّهُ لِلرَّشَادِ وَسَدَّدَهُ لِلْحُسْنِ، فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِنٌ مُحْفُوظٌ، وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ مُحْدُولٌ، فَاحْتَرِسُوا مِنَ اللَّهِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ"^(٦٣)، وحرص الحسن عليه السلام في توعية الأمة الإسلامية وحثها على الجهاد، وشحذ الهمم والصبر عليه مع أنه يعتبر كرهاً، ولولا الجهاد لتسلط ضعاف النفوس والفئات المنحرفة على المجتمع فلا أمان ولا استقرار، كما حصل عندما هجم داعش التكفيري على العراق وعاث في الأرض فساداً؛ لولا الحنكة من

أهل العلم والورع والتقوى وهم المرجعية التي يستند عليها المجتمع المتمثلة بالسيد السيستاني باعتباره نائب الإمام المعصوم في زمن الغيبة الكبرى حين أطلق فتوى الجهاد والدفاع الكفائي، فهم يستمدون مقاصد الشريعة من أهل بيت النبوة والأئمة عليهم السلام.

ومن جملة كلامه عليه السلام في مكارم الأخلاق الذي كان هدفه الحفاظ على المجتمع وبنائه باعتباره الولي الشرعي، والحافظ لنواة المجتمع معبراً عن فكره كما ورد في خطابه: "اعلموا أن العقل حرز، والحلم زينة والوفاء مروءة، والعجلة سفه والسفه ضعف، ومجالسة أهل الزنا شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة، ومن استخف بإخوانه فسدت مروءته وما يهلك إلا المرتابون، وينجو المهتدون... ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومرواتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون منه شيئاً منها بمعاصي الله، ومن عقل المرء مروءته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه وإن لم ينزلوها به..." (٦٤).

ومن خلال ما تقدّم نستلهم من فكر الإمام الحسن عليه السلام دوره اللامتناهي في بناء المجتمع ما لو تمسكوا بالعقيدة الإسلامية وتطبيق الشريعة الغراء التي رسم خطوطها من خلال خطبه، ونبذ الأفكار الدخيلة ليعيش المجتمع في قمة الرقي والتقدم.

الخاتمة

بعد المرور السريع على سموّ ورفعة الإمام الحسن (عليه السلام) لعلّنا قد وفّقنا في كشف الحقائق في بيان المقاصد التشريعيّة في فكر الإمام الحسن (عليه السلام) الجهاديّة وإظهار الحقّ وإصلاح المفاصد التي حدثت بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) توصلّ البحث إلى جملة من النتائج منها:

١- يتجلّى أثر الإمام الحسن (عليه السلام) في المدّة التي عاشها مع أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الانقياد لإمامه، واشتراكه مع أبيه في حياته الجهاديّة بدافع الحرص على بيضة الإسلام .

٢- اضطرار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الهدنة مع معاوية؛ لتخاذل الأمّة عن الجهاد وعدم الاستجابة لدعوة الإمام (عليه السلام) .

٣- إنّ القيادة مهما كانت حكيمة تحتاج إلى المساندة من وجود قاعدة شعبيّة تمتثل لأوامر قادتها مع الإيمان بتوجيهاتها، والحوادث التاريخيّة خير شاهد على ذلك، كما جرى في مجتمعنا المعاصر عندما امتثل للسيد السيستاني (حفظه الله)، ممّا يدعونا إلى ضرورة التمسك بهذه القيادة المستمدّة من فكر محمّد وآل محمّد (عليهم السلام) .

٤- عملت القيادة الأمويّة على تشكيل المنظومة الإعلاميّة ودعمها بشتّى الوسائل من أجل الحفاظ على السلطة غير الشرعيّة، وحمايتها من المعتدين عليها.

٥- كشف النظام الأموي على حقيقته وفضح إعلامهم المظلل أمام المجتمع، وهذه دعوى بعدم نشر الخبر قبل التأكّد منه .

٦- التفريق بين منهج الثقلين والاكتفاء بالكتاب والسنة جعل المجتمع الإسلامي في خلاف مستمر، فلو تمسك المجتمع بالعقيدة وطبق الشريعة الغراء التي رسم خطوطها الإمام (عليه السلام) من خلال خطبه، ونبذ الأفكار الدخيلة لعاش المجتمع في قمة الرقي والتقدم.

التوصيات

١. ينبغي على كل مؤمن أن يردّ بما يتمكّن على مزاعم المخالفين لنصرة الرسول الأعظم وآل بيته الأطهار عليه السلام، فيعد هذا واجباً مقدّساً، خصوصاً ونحن أمام ما نواجهه اليوم من اعتداءات على الإسلام عامّة وآل البيت عليه السلام خاصّة .

٢. الاهتمام بموضوع الخطابة في المدارس الدينية والأكاديمية لتحسين القدرة على التكلّم الارتجالي.

٣. ضرورة إغناء المكتبات بالبحوث والمقالات التي تصدر من المغرضين عن المؤمنين لكي نكون - وبالأخصّ الجيل الجديد الذي ابتعد عن النهج المحمديّ الأصيل - على اطلاع تام على ما يضمّره المعادون للإسلام بالأفكار المنحرفة.

الهوامش

- ١- حياة الإمام الحسن (عليه السلام): باقر القرشي، ج ٢، ص ٣٣.
- ٢- الكافي: الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٩١.
- ٣- المقاصد القرآنية الكبرى في خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام)، أ. د. رحيم كريم علي الشريفي، جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية.
- ٤- مقاصد الشريعة الإسلامية: المفيد، ج ١، ص ١، جامع الكتب الإسلامية،
<https://ketabonline.com/ar/books/97714/read?page=4&part=1#p-97714-4-1>
- ٥- دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي، ج ٢، ص ٣٤٠.
- ٦- علم الأئمة المعصومين مقارنة فلسفية كلامية، ش. خليل رزق، ص ١٦.
- ٧- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص ١٩١.
- ٨- دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي، ج ٢، ص ٣٤٠.
- ٩- نظرات في عقيدة الإنسان المسلم: عبد الرزاق فرج الله، ص ١٣٩.
- ١٠- الإلهيات: جعفر السبحاني، ج ٤، ص ٨.
- ١١- لسان العرب: ابن منظور، (حرف الصاد)، صلح، ج ٨، ص ٢٦٧.
- ١٢- مختار الصحاح: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، ص ٣٦٧.
- ١٣- ينظر: الحركات الإسلامية: مطهري مرتضى، ص ١٠.
- ١٤- المصدر السابق نفسه.
- ١٥- ينظر: الموسوعة السياسية: الهام ناصر، (٢٠١٧-٢٠١٥-١٥). المعارضة السياسية: <https://political>
- ١٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن الفيومي، ص ١٧٧.
- ١٧- لسان العرب: ابن منظور، ج ٦، ص ١٠٨.
- ١٨- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ص ٣٢١.
- ١٩- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها: د. يوسف القرضاوي، ص ٣.
- ٢٠- نظام الدولة في الإسلام: د. محمود الصاوي ص ٣٩.
- ٢١- تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج ١، ص ٢٤.
- ٢٢- كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس، ص ٣٠٠.
- ٢٣- كذا في نسخة الأصل بخط يده قدس سره مكتوبا عليها « كذا » وفي نسخة الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ « ويفتح للضيء نظره »، وقد مر عن النوادر ص ١٧ « وليبلغ النصفة نظره ».
- ٢٤- بحار الأنوار: المجلسي، ج ٨٩، ص ٣٢.
- ٢٥- بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٥، ص ١٠٥.
- ٢٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٩.

٢٧- مركز الأبحاث العقائدية: الأسئة والأجوبة العقائدية،

<https://aqaed.net/faq/2183>

- ٢٨- علوم القرآن: د. الشيخ طلال الحسن، ص ١٨
- ٢٩- التراث الفكري في الخطبة الفاطمية، السيد منير الخباز، سيهات، ١/ ٥ هـ / ١٤٤٣.
- ٣٠- المصدر السابق .
- ٣١- علوم القرآن: د. الشيخ طلال الحسن، ص ١٩ .
- ٣٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٥٧ .
- ٣٣- المصدر السابق: ج ٧، ص ٦٧ .
- ٣٤- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ج ١٩، ص ١٤٨ .
- ٣٥- بحار الأنوار: المجلسي، ج ٤٣، ص ٢٥١ .
- ٣٦- حياة الإمام الحسن (عليه السلام): باقر القرشي، ج ٢، ص ٣٣ .
- ٣٧- بحار الأنوار: المجلسي، ج ٧٥، ص ١٠٥ .
- ٣٨- الجوانب الفكرية في كلمات الإمام الحسن: الباحث مهنا مضر رؤوف، ص ٤٧١ .
- ٣٩- العدد القوية: رضي الدين علي الحلي، ص ٣٨.
- ٤٠- المصدر السابق نفسه .
- ٤١- أعلام الهداية: المجمع العلمي، ج ٤، ص ٢٠٢- ٢٠٤ .
- ٤٢- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام): السيد مصفى الموسوي، ص ٦٧ .
- ٤٣- بحار الأنوار: المجلسي، ج ٣٢، ص ٨٩، ١٤٦٣ .
- ٤٤- ينظر: إني فاطمة وأبي محمد، الشيخ فوزي آل السيف، ص ٢٤- ١٢٥ .
- ٤٥- شرح نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٨٦ .
- ٤٦- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار: خليل رزق، ص ١١٥ .
- ٤٧- صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، الأسعد بن علي، ج ١، ص ٢٦ .
- ٤٨- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ١١ .
- ٤٩- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار: الشيخ خليل رزق، ص ١١٥ .
- ٥٠- حياة الإمام الحسن (عليه السلام): القرشي، ج ١، ص ٥٣٠- ٥٣٢ .
- ٥١- الكافي: الكليني الرازي، ج ١، ص ٢٩٨، وكتاب سليم بن قيس، ص ٤٤٥ .
- ٥٢- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار (عليهم السلام): الشيخ خليل رزق، ص ١١٦- ١١٧ .
- ٥٣- المصدر السابق، ص ١١٧ .
- ٥٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١٦، ص ٣٨ .
- ٥٥- علل الشرائع: الصدوق، ج ١، ص ٢١١ .
- ٥٦- للتفاصيل: يراجع كتب التاريخ والسيرة .



- ٥٧- الاحتجاج: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، ج ٢، ص ١٠.
- ٥٨- الاعتصام: أبي إسحاق الشاطبي، ج ٢، ص ١٢٨.
- ٥٩- المصدر السابق نفسه.
- ٦٠- تحف العقول: ص ١٦٤ - ١٦٥.
- ٦١- الدعوة إلى الإصلاح، ص ٤٥٩.
- ٦٢- من داروين إلى هتلر: ريتشارد وايكارت، ص ٢١٥.
- ٦٣- تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ٢٢٧.
- ٦٤- إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي: ج ١، ص ١٩٩.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الأصول من الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨-٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣، ١٣٨٨ هـ .

* الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: الشيخ جعفر السبحاني، حسن مكّي العاملي، دار إحياء التراث العربي .

* الاحتجاج: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، دار النعمان، العراق - النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

* إرشاد القلوب: الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، دار الأسوة، طهران - إيران، ٢، ١٤٢٤ هـ .

* أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام): المجمع العلمي، موقع إلكتروني.

* الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، موقع إلكتروني .

* إني فاطمة وأبي محمد: الشيخ فوزي آل سيف، ١، الوراثة، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م .

* بحار الأنوار: المجلسي محمد باقر، مؤسّسة الوفاء، بيروت ١٤٠٤ هـ .

* تفسير الصافي: المولى محسن الفيض الكاشاني (قدس سره) (ت ١٠٩١ هـ)، ٢، ١٤١٦ هـ، مؤسّسة الهادي - قم المقدّسة، مكتبة الصدر - طهران .

* تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام): أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، الأعلمي، بيروت - لبنان، ٧، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

* تفسير العياشي: محمد بن مسعود التميمي الكوفي السمرقندي العياشي، تحقيق هاشم رسولي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٨٠ هـ .

* حياة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) دراسة وتحليل:

باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٥ م .

* دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار (عليهم السلام): الشيخ خليل رزق .

* دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقّي مصباح اليزدي، دار الرسول الأكرم (عليه السلام)، ٨، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

* الدعوة إلى الإصلاح: محمد الخضر حسين الحلبي، مكتبة النور .

* الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام): السيد مصفى الموسوي، ١، دار المعلم للطباعة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، المسجد الجامع - طهران .

* كتاب سليم بن قيس الهلالي: سليم بن قيس الهلالي: دار زهرايون، ١، بيروت - لبنان، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م .

* السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر .

* شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، ٢، قم - إيران، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

* شرح نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، دار المعرفة، بيروت، لبنان .

* العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلي، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي العامة، قم - إيران، ١، ١٤٠٨ هـ .

* علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

* علوم القرآن: د. الشيخ طلال الحسن، العتبة

* من داروين إلى هتلر: ريتشارد وايكارت، موقع إلكتروني.

* نظرات في عقيدة الإنسان المسلم: عبد الرزاق فرج الله، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٢٧ هـ.

* نظام الدولة في الإسلام: د. محمود الصاوي، ط ١، دار الهداية، مصر، ١٤١٨ هـ.

* البحوث السابقة:

* الجوانب الفكرية في كلمات الإمام الحسن (عليه السلام): الباحث مهند مضر رؤوف، ط ١، كربلاء - العراق،

العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦ م.

* المقاصد القرآنية الكبرى في خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام)، أ. د. رحيم كريم علي الشريفي، جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية.

* المعارضة السياسية: الهام ناصر، (٢٠١٧-٢٠١٧-١٥). الموسوعة السياسية، تاريخ آخر دخول:

2023-09-06:https://political

* المحاضرات:

* التراث الفكري في الخطبة الفاطمية، السيد منير الحجاز، مسجد الحمزة بن عبد المطلب، سيهات، ٥ / ١ هـ / ١٤٤٣.

الحسينية، دار القرآن الكريم، مركز البحوث الإسلامية، ط ١، ٢٠١٤ م - ٢٠١٥ م.

* القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، موقع إلكتروني.

* الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، الفجر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

* لسان العرب: ابن منظور الأفرقي المصري، جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.

* مختار الصحاح: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: ٧٧٠)، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١ هـ.

* مقاصد الشريعة الإسلامية: المفيد، جامع الكتب الإسلامية،

https://ketabonline.com/ar/books/97714/read?page=4&part=1#p-97714-4-1

* مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، موقع إلكتروني

References

Fey, William F. (March 1955). "Acceptance by others and its relation to acceptance of self and others: a revaluation". *The Journal of Abnormal and Social Psychology*. 50 (2): 274–276.

Goff, Ashley (2010). "The Mindful Path to Self-Compassion: Freeing Yourself from Destructive Thoughts and Emotions Christopher K. Germer New York: The Guilford Press, 2009. pp. 306.

Harris, A., R. (2018). *Writing with Clarity and Style: A Guide to Rhetorical Devices for Contemporary Writers*. London: Routledge Press.

Huang .(2007).*Pragmatics*. New York: Oxford University Press.

Mikics, D. (2007) .*A New Handbook Of Literary Terms*. London: Yale University Press.

Richards, Jerald (1995). " Gandhi's Qualified Acceptance of Violence". *Acorn. The Journal of Abnormal and Social Psychology*. ISSU 8 (2): p p 5–16.

Wales, K. (2011). *A Dictionary of Stylistics*. 3rd.ed. London and New York : Routledge.

Williams ,J and Jay Lynn ,S.(n.d) . *Acceptance: An Historical and Conceptual Review*. New York : University of New York at Binghamton.

Yule, G.(1996). *Pragmatics*. Oxford: Oxford University Press.

هشام ال قطيط.(٢٠١١). سلو الحسن عن صلحه .بيروت :دار الفجر للطباعة و النشر.

Web Resources

<https://www.merriam-webster.com/dictionary/acceptance> (29/8/2024)



16.6% . Finally, the least percentage is given to the commissive speech act which is about 8.3%.

Table (3) Results of Analysis of the Utilized Stylistic Devices by AL-Imam AL-Hasssan (PBUH)

Stylistic Devices	Times of use	Percentage
Parallelism	5	25%
Enumeration	2	10%
Metaphor	3	15%
Rhyme	5	25%
Oxymoron	1	5%
Allusion	1	5%
Euphemism	1	5%
Proverbs and Sayings	2	10%
Total	20	100%



It is inferred from Table (3) that parallelism and rhyme are the highest used devices .The second and third rank are given to metaphor , proverbs and sayings and enumeration. Finally, the least used stylistic devices are oxymoron, allusion and euphemism.

6. Conclusions

It is concluded that

1.Speech acts and various syntactic, lexical, phonological and rhetorical devices are utilized by Al- Imam Al-Hassan (PBUH) in the selected sermons to express acceptance.The most frequently used ones are : assertive speech act, directive speech act, parallelism, rhyme and metaphor.

2.Self acceptance, social acceptance, implied acceptance, conditional acceptance are the utilized types by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) . The most frequently used one is the conditional acceptance.



5. Results and Discussion

Table (1) Results of Acceptance Utilization by Al-Imam Al-Hassan(PBUH)

Type of Acceptance	Times of use	Percentage
Self Acceptance	1	20%
Social Acceptance	1	20%
Implied Acceptance	1	20%
Conditional Acceptance	2	40%
Expressed Acceptance	0	0%
Total	5	100%

According to Table (1), conditional acceptance represents the highest type used by Al -Imam Al-Hassan (PBUH) .That indicates the his wisdom and cautiousness of accepting any pledge without being studied.

Table (2) Results of Analysis of Speech Acts Utilization by Al-Imam AL-Hassan (PBUH)

Speech Acts	Times of use	Percentage
Assertive	4	33.3%
Directive	3	25%
Expressive	2	16.6%
Commissive	1	8.3%
Declaration	2	16.6%
Total	12	99.8%

Table (2) reveals that the most frequently used type of speech act by Al-Imam Al-Hassan(PBUH) is assertive speech act for the sake of informing, reminding, presenting and stating while he is speaking. The second rank is given to the directive speech act which is used to direct and warm people specially Mu'awia. Additionally, declaration and expressive speech acts are utilized equally .Their percentage is



2.Speech Acts

2.1 Directive

: فان الله يفعل في عبادته من يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب
Al-imam directly warns Mu'awia from the excess desire in doing bad deeds that lead him to be killed by people and getting God's agony .

2.2 Assertive

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) uses speech act of informing to let Mu'awia lose the hope of controlling Al-Imam Al-Hassan and his good friends by not being able to find any fault about them when he says : ايس من أن تحد فينا غميمة

2.3 Commissive

Al-Imam (PBUH) demonstrates his use of commissive speech act by making a pledge with Mu'awia about the reconciliation.

2.4 Declaration

Al-Imam (PBUH) declares that he accepts the succession of Mu'awia if he adheres the conditions of the reconciliation contact.



3.Stylistic Devices

3.1 Parallelism

Al-Imam (PBUH) uses parallel constructions in sentences that start with verbs like :

* فأحذر أن تكون منيتك على يدي رعاي الناس ، و ايس من أن تحد فينا غميمة
* أنت أعرضت عما أنت فيه ، و بايعتني وفيت لك بما وعدت ، و اجزت لك بما وعدت ، و أحزت لك ما شاركت

3.2 Rhyme

The utilization of verbs ends with consonant sounds like (أحزت ، بايعت ، أعرضت) adds a stylistic effect to the conveyed message.

3.3 Euphemism

It can be seen in referring to the bad people who do a very bad and shameful deed with رعاي القوم

3.4 Proverbs and Sayings

Al imam employs this device by recalling a verse that is said by A'shaa Bin Qais .



الآخرون The use of such words reflect Al-Imam's massive outcome of words to convey his message effectively.

3.3 Euphemism

It can be seen in using words like ، الحتوف ، الحمام ،etc to refer to the death of his beloved people.

Sermon 5

اما بعد فان الله يفعل في عباده من يشاء لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب ، فأحذر أن تكون منيتك على يدي رعاي الناس ، و ايس من أن تحد فينا غميمة وإن انت أعرضت عما انت فيه ، و بايعتني وفيت لك بما وعدت ، و اجزت لك بما وعدت ، و أحزت لك ما شاركت ، و اكون في ذلك كما قال أعشى بن قيس :

وان احد أسدى اليك كرامة فأوف بما يدعى اذا مت و افيا
فلا تحسدوا المولى اذا كان ذا غنى ولا تحفه أن كان للمال نائل

ثم الخلافة لك بعدي وانت اولى الناس بها.

(هشام ال قطيط، ٢٠١١: ٢٧٣)

As for what follows, God does as He wills with His servants; there is no one to overturn His decree, and He is swift in reckoning. Beware of meeting your fate at the hands of the rabble. Do not allow yourself to be swayed by what you are currently facing. If you pledge allegiance to me, I will fulfill my promises to you, grant you what I have promised, and provide for you what you have shared in. I will be in this regard as Al-A'sha ibn Qais said:

"If someone grants you a favor,
Fulfill what is asked of you if you die in faith."

Do not envy the master if he is wealthy,
And do not begrudge him if he has money.

Then, the caliphate will be yours after me, and you are the most deserving of it.(Hisham Al-Qutait, 2011: 273)

1.Types of Acceptance

1.1 Conditional Acceptance

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) expresses his acceptance to Wu'awia's succession under one condition which is stopping the bad deed that he is doing and adhering to Al-Imam 's contact of succession.



our eyes and peace to our hearts, we find that the days have taken them, and death has befallen them. They have left behind fear, and the threats have taken them away; they are now fallen among the ranks of the dead, dwelling in a place where there is no true companionship, no connection, and no visiting, and they cannot emerge from the closeness of their grave. Their bodies are distant from their loved ones, devoid of their caretakers; they have become silent to their kin. I have seen no home like hers, nor a resting place like hers—in desolate houses, in lonely abodes, which have turned into those empty lands. I departed from it without disdain, leaving her to decay. She was a beloved soul, following the paths of those who have gone before her, and those who will come after her. Peace be upon you. (Hisham Al-Qutait, 2011: 269-270)

1.Types of Acceptance

1.1Implied Acceptance

Al-Imam (PBUH) demonstrates an implied acceptance in all what happened with him from lamentations including his daughter's death.

2.Speech Acts

2.1 Expressive

Al-Imam (PBUH) expresses his acceptance and satisfaction with God's fate about his daughter's death with lamentation when he says :
 فعند الله احتسبها تسليما
 لقضائه ، وصبرا على بلائه

2.2 Assertive

Speech act of stating is utilized by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) when he narrates how life takes those whom he loves from his family .

3.Stylistic Devices

3.1Parallelism

It can be seen in texts in this utterance like :

* احتسبها تسليما لقضائه ، وصبرا على بلائه
 * اوجعتنا المصائب ، وفجعتنا النوائب

3.2 Rhyme

It can be seen in words like:المصائب، النوائب، المحبون، الناظرين، الايام، الحسام، الخوف،:المصائب، التحاور، تزاور، أهلها، أربابها، اخوانها، موجهة، مضجعة، مؤنسة، قلى، للبللى، الأولون،



It can be portrayed in lamenting Al-Imam Ali (PBUH) when he says :

أن علياً عليه السلام في المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل

3.Stylistic Devices

3.1 Parallelism

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) frequently uses similar syntactic structures like:

* الحمد لله على ما قضى من أمر وخص من فضل و عم من أمر و جلال من عافية

* حمداً يتم به علينا نعمة ، و يستوجب به رضوانه

* فازهدوا فيما ينفى و ارغبوا فيما يبقى

* اني أبايعكم على أن تسالموا من سالم و تحاربوا من حارب

These texts reflect Al-Imam's ability to use various structures to convey his message with a stylistic effect.

3.2 Rhyme

Al-Imam uses various words that ends with the same sounds like ، ارغبوا ، ازهدوا ، تسالموا ، تحاربوا for the sake of adding a stylistic impact..

3.3 Metaphor

Al-Imam (PBUH) makes an implied comparison between life and the house but not any kind of house .It is a house of affliction to refer to the examinations that face human in this life.

Sermon 4

اما بعد فقد بلغني كتابكم تعزوني بفلانة ، فعند الله احتسبها تسليماً لقضائه ، وصبراً على بلائه ، فإن اوجعتنا المصائب ، وفجعتنا النوائب بالاحبة المألوفة التي كانت بنا حفية ، و الاخوان [المحبون] الذين يسر بهم الناظرين و تقر بهم العيون ، اضحوا بهم قد اخترمتهم الايام ، و نزل بهم الحيام ، فخلفوا الخوف ، و أودت بهم المخاوف ، فهم صرعى في عساكر الموتى ، مجاورون في غير محلة التجاور ، ولا صلات بينهم ولا تزاور ولا يتألقون عن قرب جوارهم ، أجسادهم نائية من أهلها ، خالية من أربابها ، قد اخشعها اخوانها ، فلم أر مثل دارها داراً ، ولا مثل قرارها قراراً ، في بيوت موحشة ، و حلول مضجعة قد صارت في تلك الديار الموحشة و خرجت من الديار المؤسسة ، ففارقتها من غير قلى ، فاستودعتها للبللى ، و كانت أمة مملوكة سلكت سبلاً مساومة صار إليها الأولون و سيصير إليها الآخرون و السلام. (هشام ال قطيط ، ٢٠١١ : ٢٦٩-٢٧٠)

As for what follows, I have received your letter condoling me over the loss of so-and-so. I entrust her to God, accepting His decree and being patient in the face of His trial. Indeed, when calamities strike us and we are devastated by the loss of beloved ones who were dear to us, and cherished friends who brought joy to



Sermon 3

الحمد لله على ما قضى من أمر وخص من فضل وعم من أمر وجلل من عافية، حمداً يتم به علينا نعمة ، ويستوجب به رضوانه ، أن الدنيا دار بلاء وفتنة وكل ما فيها إلى زوال وقد نبأنا عنها كي ما نعتبر ، فقدم لنا بالوعيد كي لا يكون لنا حجة بعد الانذار، فازهدوا فيما ينفي وارغبوا فيما يبقى وخافوا الله في السر والعلانية ، أن علياً عليه السلام في المحيا والممات والمبعث عاش بقدر ومات بأجل ، واني أبايعكم على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت . (هشام ال قطيط ، ٢٠١١: ٢٦٦)

Praise be to God for what He has decreed and the grace He has bestowed, for the matters He has ordained and the blessings of health He has granted. Praise that completes His favor upon us and earns His pleasure. Indeed, this life is a place of trial and temptation, and all that is in it will perish. He has informed us about it so that we may take heed, presenting us with warnings so that we have no excuse after the admonition. So, be detached from what will fade and desire what will remain, and fear God in secrecy and openly. Indeed, Ali (PBUH) lived and died by a predetermined measure, and I pledge allegiance to you on the condition that you be at peace with those I am at peace with and wage war against those I wage war against. (Hisham Al-Qutait, 2011: 266)



1.Types of Acceptance

1.1 Conditional Acceptance

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) demonstrates his acceptance of succession that relies massively on one condition which is giving the peace to those who give peace with Al-Imam Al Hassan (PBUH) and fight those who fight him.

2.Speech Acts

2.1 Expressive

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) starts his speech with thanking God سبحانه و تعالى about all the graces that is specified to Muhammad and his offspring.

2.2 Directive

It is seen in Al-Imam (PBUH) فازهدوا فيما ينفي وارغبوا فيما يبقى وخافوا الله في السر والعلانية: It is recommended people to be generous with things that go past in this life and forget them and urge them to endeavor to get the coming. Additionally , he insists on keeping adhering to God's rights and instructions secretly or public ally.

2.3 Expressive



3.Stylistic Devices

3.1 Enumeration

It can be seen in the chain of events that Al-Imam (PBUT) presents when he enumerates what happens with Mousa and Haroon (PBUH), with what happens to Muhammad and Ali (PBUH) , and what happens with Al-Imam Al-Hassan and his brother (PBUT).

3.2 Rhyme

For the sake of adding a stylistic effect to his utterance, Al-imam Al-Hassan (PBUH) elects his words cautiously. Words like بايعوني، اطاعوني، نصروني أقطرها، بركتها reflect the wonderful test of presenting the idea via proper words.

3.3 Parallelism

Structural parallel is seen in the following texts :

* وقد ترك بنو إسرائيل هارون

* وقد تركت الأمة عليا

* وقد سمعوا رسول الله يقول لعلي انت مني بمنزلة هارون

* وقد هرب رسول الله من قومه وهو يدعوهم إلى الله

* وقد جعل الله النبي في سعة حين فر من قومه

For the sake of ensuring what happened , Al-Imam (PBUH) uses (قد) followed by the past tense of the verbs frequently.

3.4 Metaphor

It is illustrated in the implied comparison that is made by Al-Imam Al-Hassan between Mousa and Haroon (PBUT), Ali and Muhammed (PBUT), and what happens with him and his brother (PBUT) .

3.5 Allusion

The evocation of Mousa and Haroon (PBUT) , Ali and Muhammed [as historical personalities] to connect the events with each other , represents another stylistic device that reflects the rhetoric of Al- Imam Al Hassan (PBUH).

3.6 Proverbs and Sayings

It is illustrated in Al-Imam's appealing of the prophet's saying about Ali when he says: انت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي



1.Types of Acceptance

1.1 Self Acceptance

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) portrays a sacred image that reflects the strong acceptance with a massive proud of his self and ancestors. He wants to show Mu'awia and all people that he is convinced of and satisfied with himself and the decision of making a 'peaceful treaty' instead of war because it is the best option looking forward the circumstances.

2.Speech Acts

2.1 Declaration

It can be embodied in Al-Imam's declaration of Mu'awia's claim that he deserves the succession more than Al-Imam Al-Hassan (PBUH) when he says : ايها الناس ، أن معاوية زعم أني رأيت أهلا للخلافة ولم أر نفسي أهلا وكذب معاوية ايها الناس ، أنكم لو . when he declares that if people go around the earth from the east to the west searching a person with the same qualities that Al-Imam Al-Hassan (PBUH) and his brother Al-Imam Al-Hussein (PBUH) carry , they will not find any more.



2.2 Assertive

It can be seen when Al-Imam Al-Hassan (PBUH) reminds people of what happened with Mousa when he asked people to obey and follow Haroon in his absence , but they did the opposite which leads them to God's agony . The same thing happened with the Prophet Muhammad (PBUH) when people of his tribe did not help him and tried to kill him . A similar thing happened with Al-Imam Ali (PBUH) when the Prophet Muhammad (PBUT) asked people to follow him , yet what they did is the opposite .He wants to connect the dots to refer to one thing which is God's anger which will not pass those who hypocritically follow a person who does not deserve the succession while they know that there is another one who deserves it.

As for denying , Al-Imam (PBUH) demonstrates his denying towards Mu'awia's claim that he deserves the succession.



اسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأمة علياً عليه السلام و قد سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي : انت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي ، وقد هرب رسول الله ﷺ من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار و لو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم و ما وجدت أعواناً ، وقد جعل الله النبي ﷺ في سعة حين فر من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم ، و كذلك أنا و ابي في سعة من الله حين تركتنا الأمة و بايعت غيرنا و لم نجد أعواناً . وانما هي السنن و الامثال يضرب بعضها بعضاً . ايها الناس ، أنكم لو التمسستم فينا بين المشرق و المغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري و غير اخي . (هشام ال قطيط ، ٢٠١١: ٢٤٨)

O people, Muawiya claimed that Isaw that he was fit for leadership, while I did not see myself as such, and Muawiya lied. I am the most deserving of people according to the Book of God and the words of the Messenger of God. I swear by God, if the people had pledged allegiance to me, obeyed me, and supported me, Ksky would have given them the rain of the heavens and the blessings of the earth, and I would not have desired any of it, O Muawiya. The Messenger of God (peace be upon him) said: "A nation will never give their affairs to a man when among them is one who is more knowledgeable than he, except that their affairs will decline until they return to the religion of the calf worshipers." Israel's offspring abandoned Haroon and turned to the calf, even though they knew Haroon was the successor of Moses. The nation has abandoned Ali (PBUH), although they heard the Messenger of God (PBUT) say to Ali: "You are to me as Aaron was to Moses, except for prophethood; there is no prophet after me." The Messenger of God (PBUH) fled from his people while calling them to God until he sought refuge in the cave, and if he had found supporters, he would not have fled from them. Likewise, God provided the Prophet (PBUT) with space when he fled from his people because he found no supporters. And so it is with me and my father; we have been given space from God when the nation abandoned us and pledged allegiance to others, and we found no supporters. These are the established precedents and examples that illustrate one another. O people, if you were to seek among us from the east to the west, you would find no man from the descendants of the Prophet except for me and my brother. (Hisham Al-Qutait, 2011: 248)



2.2 Directive

It is illustrated in Al-Imam 's recommendation of people to be believers as in :

فاقتفوا آثارهم -رحمكم الله- واقتدوا بهم فإن الله تعالى وصف لنبيه ﷺ صفة ابائه ابراهيم واسماعيل و ذريتهما وقال « فبهذا هم اقتده »

3. Stylistic Devices

3.1 Parallelism

It is embodied when Al-Imam Al-Hassan (PBUH) says ينظرون إلى الجنة ونعيمها و النار و حميمها He uses a similar structure to leave stylistic effect while conveying his message.

3.2 Enumeration

This can be seen in ، أنفقوا أموالهم بالجنة فباعوه ، و ربحتم تجارتهم ، و عظمت ، افلحوا ، Al-Imam (PBUH) makes a wonderful chain of actions that leads people (believers) to the internal acceptance and happiness .He states that it starts with giving money for honorable purposes just like the traders in the life exchange money with goods while believers exchange life with heaven by giving money .

3.3 Metaphor

It can be illustrated in the implied comparison that Al-Imam (PBUH) makes between traders and believers. Both exchange thing by another thing , yet the difference is that traders' purpose is temporary while believers' purpose is permanent.

3.4 Rhyme

It can be seen in words like ، ربحتم ، أنفقوا خولوطوا ، ربحتم ، حميمها ، نعيمها ، افلحوا ، انجحوا ، أنفقوا خولوطوا ، ربحتم ، عظمت which reflect Al-Imam's (PBUH) ability to elect words that leave an impact on the addressees.

3.5 Oxymoron

Oxymoron is seen in the appeal of heaven and hell one after the other one at the beginning of the sermon despite of their being contrastive fates.

Sermon 2

ايها الناس ، أن معاوية زعم اني رأيته اهلا للخلافة ولم أر نفسي اهلا وكذب معاوية ، أنا اولى الناس بالناس في كتاب الله و على لسان نبي الله ، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني و أطاعوني و نصروني لأعطيهم السماء قطرها و الارض بركتها و لما طمعت فيها يا معاوية ، و قد قال رسول الله ﷺ : ما ولت أمة أمرها رجلاً قط و فيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً - حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل ، و قد ترك بنو



وما بهم من مرض ، أو قد خولطوا وإنما خالطهم أمر عظيم ، خوف الله ومهابته في قلوبهم ، كانوا يقولون : ليس لنا في الدنيا من حاجة وليس لها خلقنا ولا بالسعي لها أمرنا ، أنفقوا أموالهم بالجنة فباعوه وربحت تجارتهم وعظمت سعادتهم وافلحوا وانجحوا ، فاقتنوا آثارهم -رحمكم الله- واقتدوا بهم فإن الله تعالى وصف لنبيه ﷺ صفة آبائه إبراهيم وإسماعيل وذريتهما وقال « فبهدهم اقتده » (هشام ال قطيط ، ٢٠١١ : ٢٤٧)

I have accompanied people who looked at Paradise and its delights, and at Hell and its torment. The ignorant might think they were sick, but they were not ill; rather, they were affected by a great matter: the fear of God and His awe in their hearts. They would say, "We have no need for this world; we were not created for it, nor were we commanded to strive for it." They spent their wealth in the pursuit of Paradise, and they sold it, making a profit in their trade, achieving great happiness, and succeeding. Follow in their footsteps—may God have mercy on you—and emulate them, for Allah has described to His Prophet (peace be upon him) the qualities of his forefathers, Ibrahim and Isma'il and their descendants, saying, "So follow their guidance" (Hisham Al-Qutait, 2011: 247)

1.Types of Acceptance

1.1 Social Acceptance

In this text , Al-Imam Al-Hassan (PBUH) presents specific merits that are existed in believers which make them accepted in Islam .He states that those people believe in the existence of heaven and its blessing and hell with its lava that represent the fate of human . Those people exchange their money and life in this life with the heaven of the hereafter. Over and above , he urges people to carry these merits in order to be believers when he says واقتدوا بهم فإن الله تعالى This line reflects the social acceptance of those people in Islam.

2. Speech Acts

2.1 Assertive

Assertive speech act is seen in the presentation of believers and numerating their characteristics by Al-Imam Al-Hassan (PBUH). Additionally , assertive speech act is seen in reminding people how God describes the Prophet Muhammad (PBUT) .



A lexical stylistic device by which the speaker presents an effected proverb or saying to support his idea. (Harries ,2018 :74).

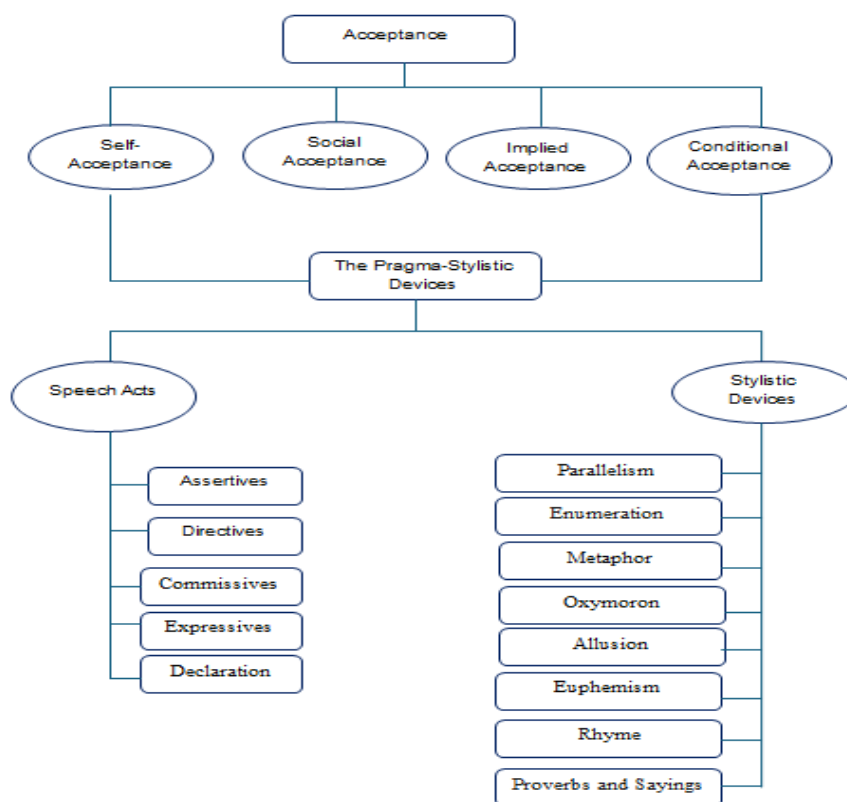
7.Euphemism

The substitution of unpleased words with other words that express the same idea but with less offensive effect to mitigate their negative impression the addressee. (Wales ,2011 :146).

8.Rhyme

A phonological stylistic device in which idea is presented with phrases or sentences ending with similar sound. (Wales ,2011 :14).

3.The Model of Analysis



4. Data Analysis

Sermon 1

لقد صحبت اقواما كانوا ينظرون إلى الجنة و نعيمها و النار و حميمها يحسبهم الجاهل مرضى



nounce you as the new manager).

3.Expressive

In this classification, what the speaker says reflects his/her feeling towards people , things , or situations, e.g : (Sorry about what happened yesterday).

4.Commissive

It is a classification in which speaker's words reflects his/her adherence to do something like a pledge, agreement or a promise as in (I am going to buy you a new car , I promise).

5.Directive

In this classification, the speaker adheres the addressee to do something like: advising , request or a suggestion as in (You should go to the doctor).

4.2 Stylistic Devices

1.Parallelism

A significant syntactic stylistic device in which idea is presented in similar grammatical structures . For example: If you want success , think wisely, work hardly , persist motivationally (Harries ,2018: 5).

2.Enumeration

A syntactic stylistic device in which idea is presented in a form of enumerated things that are linked with each other as a chain. (Harries ,2018 :50).

3.Metaphor

Metaphor means making an implied comparison between two things .For example between the sun that awakes the creatures every morning and the mother who awakes her children every morning . (Mikics ,2007 :180).

4.Oxymoron

A lexical stylistic device that leaves a paradoxical effect on the addressee's mind .It is presenting two ideas that seem to be contrasted frequently. (Harries 2018 :181).

5.Allusion

Allusion is a supporting device of the presented idea. In this device the speaker presents a historical or famous personality or event and link it with his/her idea .(Harries 2018 :113).

6.Proverbs and Sayings



there are various types of acceptance including the following:

1. Self Acceptance

This type of acceptance refers to the personal acceptance and respect to his/her self under any conditions or circumstances. Self acceptance refers to the agreement with one's self that reflects his/her positive image and personality .

2. Social Acceptance

In this type the person tries to tolerate others' differences and diversities in order to accept them . There is a strong association between this type and the first one in that psychologically , people with high self acceptance have no problems in accepting others' difference .

3. Conditional Acceptance

It refers to specific condition or set of conditions that are put by one party and should be achieved to make the contact acceptable.

4. Expressed Acceptance

It is an unambiguous expression or word that indicates speaker's acceptance and approval of specific condition or state , like saying " I agree , I approve , we accord , ...etc.



5. Implied Acceptance

It is the opposite of the expressed acceptance , a type in which acceptance is implicit .The addressee infers it from the context , the implied meaning and intention.

2.3 Speech Acts

Huang (2007, p.93) defines speech acts as a set of verbs presented by utterance. This theory gets back to J.L. Austin who is a philosopher in Oxford University ;Searle classifies speech acts into five classifications which are summarized by Yule (1996:53-55) as the following:

1. Representative

In this classification , a speaker tells things that represent the actual world like : (Elbert Anestian didn't invent the camera).

2. Declaration

It means that what the speaker says changes the world . For example :(I an



ized by Al-Imam Al-Hassan (PBUH). The most frequently used ones are : assertive speech act, directive speech act, parallelism, rhyme and metaphor.

2.Four types of acceptance are employed which are : self acceptance, social acceptance, implied acceptance, and conditional acceptance. The most frequently used one is conditional acceptance.

1.4 Procedures

To accomplish the aims of this study and verify its hypothesis , the following procedures are followed:

1.Presenting theoretical background about acceptance and pragma-stylistic theories.

2.Electing five extracts from five sermons by Al-imam Al-Hassan and analyzing them quanlitatively according to an eclectic model and quantatively by making simplified statistical analysis with percentages and frequencies.

1.5 The Model

To analyze the selected sermons , the researcher presents an elected model relying on :

1.Goff (2019 :127) , Fey (1955:271-274) , and Richards' model of acceptance types.

2.Searle's taxonomy of speech acts classifications.

3.Harries (2018) , Mikics (2007) and Wales (2011) model of stylistic devices.

1.6 Limits

This study is limited to the pragma-stylistic analysis of acceptance in five extracts from five elected sermons to Al-Imam Al-Hassan.

2.Theoretical Background

2.1 Acceptance

According to Merreim Webster (Web source -1-) , acceptance is the state of being acceptable by others or accept others . Another definition by Merriem is "the act of accepting someone or something. In other words , she wants to refer to acceptance as an act performed by the speaker to demonstrate his/her approval toward things, situations or people.

2.2 Types of Acceptance

According to Goff (2019 :127) ,Fey (1955: 271-274) and Richards (1995:5-16)



1.Introduction

The term "acceptance" has received various definitions. Etymologically, its root gets back to the Latin word "acceptare" which means "to receive willingly or with approval". Linguistically, it is defined according to Marreim Webster in (Williams and Jay, n.d, 4) as the act of receiving something with satisfaction. A speaker can express his/her acceptance toward something basing on five types of acceptance which are: self acceptance, social acceptance, expressed acceptance, implied acceptance and conditional acceptance.

The notion of acceptance has been found widely in literary, social and religion contexts. Consequently, the current study attempts to detect the pragma-stylistic devices utilized to express each type of acceptance by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) while showing his acceptance toward people and succession with Mu'awia.

1.1 The Problem

Linguistically, acceptance is studied and analyzed from different angles by many researchers. Yet, to the best of researcher's acquaintance, none has talked acceptance in Al-Imam's Al-Hassan's sermons from a pragma-stylistic perspective. Hence, the current study is a pragma-stylistic analysis of acceptance in five selected sermons by Al-Imam Al-Hassan. It attempts to answer the following questions:

- 1.What pragma-stylistic strategies are employed by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) while demonstrating acceptance and which are the most frequently used ones?
- 2.What types of acceptance are used by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) and which one is used most frequently?

1.2 The Aims

The study aims at:

- 1.Investigating the pragma-stylistic devices used by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) to demonstrate acceptance and specifying the most frequently used ones.
- 2.Identifying types of acceptance used by Al-Imam Al-Hassan (PBUH) and determining the most frequently used one.

1.3 Hypotheses

It is hypothesized that:

- 1.Speech acts, lexical, syntactic, and phonological stylistic devices are utal-



ملخص البحث

هذا البحث دراسة تداولية-اسلوبية للقبول في خطابات مختارة للإمام الحسن عليه السلام. يتكون هذا البحث من جزئين: نظري وعملي. نظرياً، تم تعريف القبول وشرح أنواعه وربطه بأفعال الكلام والادوات الاسلوبية. عملياً، تم اختيار خمس مقتطفات من خطابات مختلفة للإمام الحسن عليه السلام وتحليلها من وجهة نظر تداولية-اسلوبية. الكلمات المفتاحية: خطابات الامام الحسن عليه السلام، القبول، افعال الكلام، الادوات الاسلوبية.



Abstract

This paper is a pragma-stylistic study of acceptance in selected sermons by Al-Imam Al-Hassan. It consists of two parts : theoretical and practical. Theoretically, acceptance definition and types are presented and allied with speech acts and stylistic \devices. Practically , five excerpts from five sermons to Al-Imam Al-Hassan (PBUH) are chosen and analyzed from a pragma-stylistic perspective.

Key Words: Al-Imam Al-Hassan's sermons , Acceptance, Speech acts , stylistic devices .



**A Pragma-Stylistic Study of
Acceptance in Selected Sermons by
AL-Imam AL-Hasssan**



Asst. Lect. Saja Sattar Ali Hamza
Al-Imam Al-Kadhum University for Islamic Sciences





Title: Academic researches that participating in the activities of the eleventh annual international scientific conference on the thought of Imam Hassan Al-Mujtaba

Publisher: Intellectual and Scientific Society of Al-Ameed- Publishing Department

General supervision: Aqeel Abdul Hussein Al-Yasiri

Prof. Dr. Shawqi Mustafa Al-Moussawi

Coordination and Execution: Asst. Lect. Dhiea Mohammed Hassan

Technical Administration: Asst. Lect. Ali Razzaq Khudhair

Print Output: Ali AL-Mudaffer - Ahmed Hashem

Number of copies: 250

2025 AD - 1447 AH



ISBN: 9789922262031

Deposit number in the House of Books and Documents in Baghdad (2921)